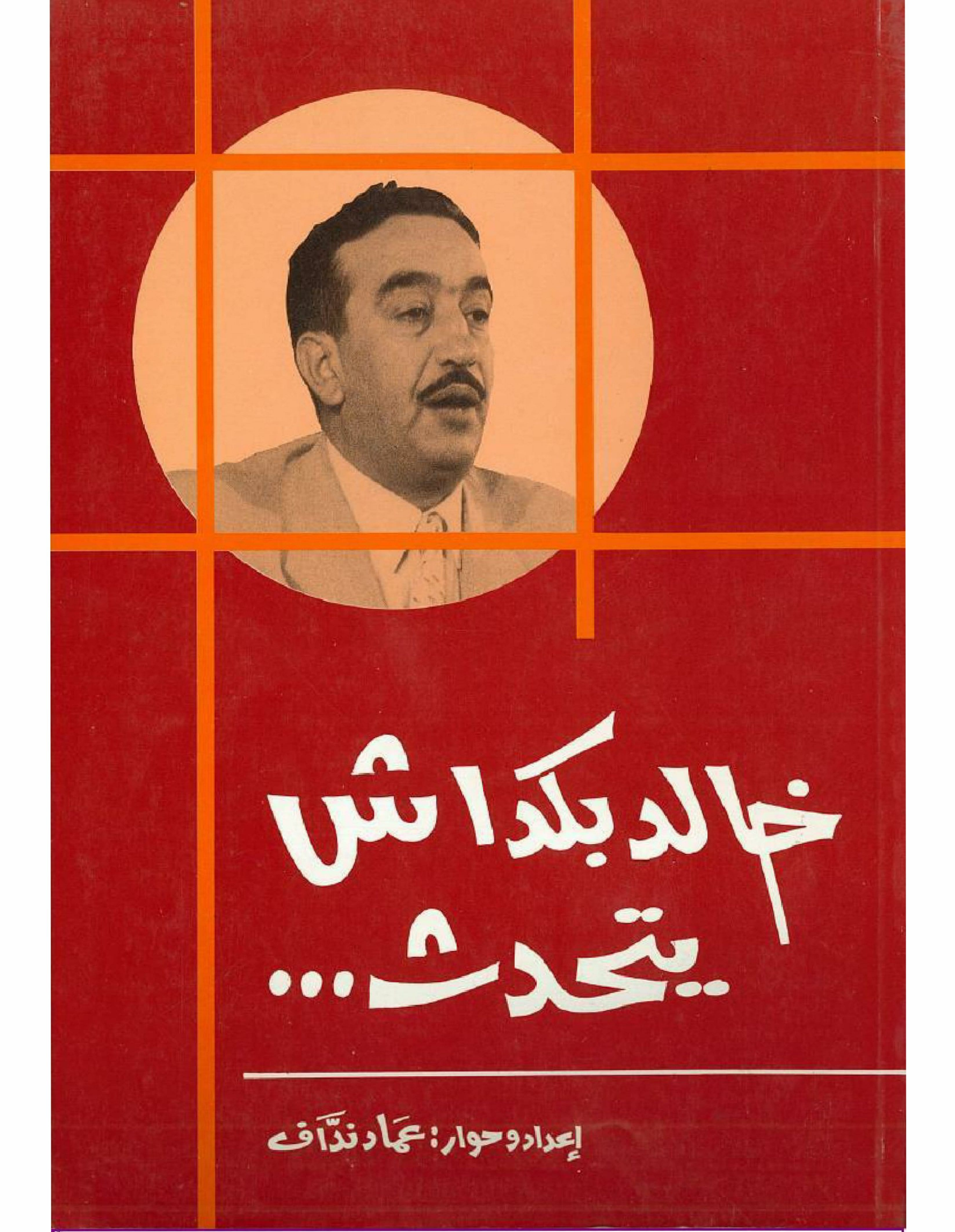

خالد بكداش
يتحدث...
إعداد وحوار: عمّاد ندّاف

الطبعة الأولى

بيروت - ١٩٩٣

[illegible]

□ إشارات

ـ لابد من التنويه إلى المساعدة التي قدمها كل من السادة : وصال فرحة بكداش ، عمار بكداش ، قدري جميل ، خلال مراحل عمل هذا الكتاب .

ـ سجل مضمون هذا الكتاب على أشرطة كاسيت بصوت السيد خالد بكداش خلال عدد من الجلسات جرت جميعها خلال عام ١٩٩٢ .

ـ انتهى العمل في هذا الكتاب مساء : ٣١ / ١٠ / ١٩٩٢ .



ظروف الحوار

- ١ -

ها نحن نعيش الطوفان الثـاني ! وليس هنـاك من يصنع لنا سفينة نوح جديدة تركب الموج العاتي القادم من الشمال ! وإذا كان انتصار الوحش ، هو نهاية العالم ، فإننا نعبر عن هذا ، بتعبير درامي آخر ، هو : الخراب !

لم يكن هذا الطوفان موجوداً في حسابات الفلاسفة والسياسيين ، ولا بروج الأفلاك . فجأة ! ودون حاجة للأسلحة النووية لإشعال الأرض ، ودون حاجة لحرب الفضـاء ، والحروب الكونية والمحلية والصواريخ العابرة للقارات ... دون كل هذا احترق الثلج السوفييتي ! احترق ، وذاب ... تلاشت القوة الهائلة العملاقة التي أرعبت الغرب منذ احتلال سمولني . منذ الأيام العشرة التي هزت العالم على حد تعبير جون ريد . وبقينا وحيدين نرد عنّا الأذرع القوية التي تهوي على وجوهنا !!

وفي هذه اللحظة فهمنا ماذا يعني وجود الاتحاد السوفييتي . ماذا تعني أزمة الصواريخ في كوبا . ماذا يعني إنذار بولغانين . ماذا تعني الحرب بوجود الاتحاد السوفييتي ، والحرب بدون الاتحاد السوفييتي !!

لقد أخبرنا ميخائيل غورباتشوف ، يوم كان الغرب يناديه باسم : غوربي ، ويوم كان غوربي هذا يخطف الأضواء مع رايسا غورباتشوفا في الساحة السياسية العالمية ... لقد أخبرنا غورباتشوف يومها أنه يعد العدة لما قد صار مصطلحاً سياسياً هاماً بعد ذلك ، أي : البيريسترويكا . لقد دبج

وجهة نظره حول إعادة البناء عبر العلنية المذهلة (الغلاست نوست) التي أذهلت الأعداء في لعبة الأمم قبل أن تذهل أبناء الجلدة الواحدة .

ولكن النبوءة الحقيقية كانت فوق ، عند أشعيا ، في عالم الغيب . لذلك لم نكن قادرين على تخيلها كما حصلت بالفعل . وهنا يبرز سؤال جديد حول النبوءة الجديدة لمستقبل هذا العالم وقد خلا من الاتحاد السوفييتي : تُرى أتكون هذه الإجابة عند أشعيا أيضاً . أم أنه صار بإمكاننا أن نلامس آثارها على أرض الواقع ؟!

* * *

كانت الرؤى الفلسفية ، تعبر عن نفسها ، من خلال الموضوعي والثابت : وهو وجود العملاق السوفييتي . وجود القوة الضاربة التي تحد مثيلتها في الغرب ، وتخلق التوازن ، الروحي على الأقل ، ليتمكن السادة الفلاسفة من وضع نظرياتهم في أتون حرب سباق التسلح .

لقد وصل الأمر آنذاك إلى : التخوف المماثل ، أو الجدي تماماً من دمار العالم . وكانت عملية تصاعد حدة التوتر تشعل ضوءها الأحمر في كل لحظة . وكان العالم يشاهد الأفلام المبتكرة التي تتخيل ما يمكن أن يؤول إليه هذا العالم نتيجة للحرب النووية الضروس . وهذا ما دفع جماعة البجواش التي شكلها الفيلسوف برتراندرسل لكي ترفع شعارها الفتان :

أن تكون أحمر أفضل من أن تكون ميتاً !!

لم يكن هذا الشعار سوى أدلجة فلسفية غربية لاستسلام مسبق في لعبة عض الأصابع النووية .

وكانت وجهات النظر تدور في فلك الذاتية ، ولا تقارب الموضوع . إنها لا تفسر الواقع لتغييره كما يريد ماركس ، وإنما تفسر الواقع من أجلها هي . كانت ببساطة تدور في فلك الذاتية ، أو « الفانتازيا » في الذاتية ، إذا أحببنا هذه العبارة .

ففي الوقت الذي أعلن فيه زبيغنيو بريجنسكي أن الماركسية أظهرت عجزها العضوي في مواجهة القضايا الاجتماعية في النصف الثاني من القرن العشرين كان ن . سمسلير عالم الاجتماع الأمريكي يجري استفتاء بين علماء غربيين بارزين حول موضوع النظرية الاجتماعية التي غدت أكثر هيبة خلال العشرين سنة الأخيرة . ولقد سمع سمسلير بأذنه ، أن ثمانين في المائة منهم يقولون : إنها الماركسية !

وكانت الفلسفة المعاصرة تتشعب أيضاً في محاولة لحسم مسألة نهاية التاريخ : هل هي في معركة أيانا ؟ كما تنبأ هيغل في فينومينولوجيا الروح ...

أم هل هي لحظة اكتمال هذه المعركة مع الثورات الأمريكية والفرنسية ؟... وكالعادة ، ولأن المسألة في إطار الإيهام ، اندلعت وجهات النظر تبحث عن جواب :

● قال آلان بوزانسون : إن التاريخ لم ينته بعد . والمعركة متواصلة ، ولكن قد يدخل السوفييت عصر ظلمات شديدة !

● قال آلان بلوم : إن للفاشية مستقبلاً في أوربا ...

وأيد جان فرانسوا ريغال آلان بلوم في هذه الرؤيا . في حين كان كل شيء محسوماً عند فوكوياما ، الذي روّج الغرب لنظريته بطريقة لم نشهدها من قبل .

● قال فوكوياما في نظريته : إن ما حدث هو الانتصار النهائي للفكر الغربي الديمقراطي الليبرالي : « فالنظم التي كانت تطمح لتقويضه وتعويضه فقدت كل مصداقيتها ! » . وكان ذلك قبل تفكك الاتحاد السوفييتي ... فراحت وكالات الدعاية والأنباء تترجم ما قاله الفيلسوف الأمريكي ، الياباني الأصل الشاب فوكوياما إلى عشرات اللغات . وتوزعها بكثافة وسرعة ، ككثافة وسرعة الخبر !

هكذا كان يفكر الغرب بمصير الماركسية والاتحاد السوفييتي ، والماركسية في هذه الحالة واقفة بوقوف الاتحاد السوفييتي ، وقوية به . وهذا ما دفع كولن باول رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة ، والذي لم يعجبه ذلك الهراء الفلسفي ، ليقول : إن المشاكل المتوقع أن تواجه « نا » في أرجاء العالم كافة تبعد كل البعد عن أي ميل لإعلان نهاية التاريخ !

* * *

إن من حق كل مواطن سوفييتي أن يسأل غورباتشوف الآن :

ـ أين الحلوى يا سيدي الرئيس ؟

وغورباتشوف الذي وعد شعبه بالحلوى يعرف المثل الانكليزي الذي يقول : إن الدليل على وجود الحلوى هو أن نأكلها . وهذا يعني أن شعوب الاتحاد السوفييتي لم تأكل الحلوى الغورباتشوفية بعد . لقد ذاقت طعم العلقم الغورباتشوفي !!

وفي الإطار العام ، لا بد أن نسأل : من الذي سيحكم العالم ؟... كانت هذه الكلمة بشعة في التعبير الدبلوماسي وعلى هذا الأساس قدمت لنا وسائل الإعلام الغربية صيغة جديدة تعادل العبارة نفسها في كيمياء السياسة الدولية ، وهي : النظام الدولي الجديد !

وهذا النظام ... هذه الصيغة الجديدة ، تعطي الدور كاملاً للهيئات الدولية

التي أصبحت بكاملها تحت ذراع الغرب إلى غير رجعة كما يبدو ! إن الغرب ببساطة لم يعد يفكر في تدمير الاتحاد السوفييتي ، وأن الولايات المتحدة التي هي على رأسه أضحت تحكم العالم !! فهل آن لنا أن ننصاع ؟!
هذا هو الطوفان الذي أسفر عنه الحريق السوفييتي !

ـ ٢ ـ

وهذا السؤال يوجّه لنا نحن العرب . فتاريخنا ، تاريخ صراع على مر الأجيال ، ولقد تأثّرنا ، وأثّرنا ، بكل أنواع الصراع العالمي . لا لأهمية موقعنا في الخارطة العالمية فحسب ، وإنما أيضاً ، لأننا كنا ذات يوم قوة تهابها الامبراطوريات ، وتتراجع أمام فتوحاتها جحافل الشعوب الأخرى... ... وأيضاً لأننا أغنياء بالنفط ، وبالزراعة ، وبالمعادن وبأشياء أخرى ...

وهنا يطرح نفسه سؤال جديد : أين نحن من النظام الدولي الجديد ؟! وهذا السؤال يحدد اللحظة التاريخية المطروح فيها ، وبالأصل ، كان جمال عبد الناصر يبحث عن موقع ثورته في إطار عدة دوائر ، فإذا به يستغرق تماماً في الدائرة العربية ، حتى أن هذه الدائرة التي رفعته إلى سدة الزعامة هزته مراراً : بالانفصال مرة ، وبهزيمة حزيران مرة ثانية ، وفي المرة الأخيرة ، أي في أحداث أيلول ١٩٧٠ قتلته تماماً !

في ذلك الوقت ، وليس بإرادة ذاتية من عبد الناصر ، كانت كل الدوائر التي يفكر فيها تجتمع في دائرة واحدة كبيرة بحكم التوازن العالمي وقتها .

توحد النضال القومي مع النضال الاجتماعي مع النضال التحرري وصولاً إلى حركة عدم الانحياز ... توحد هذا النضال تحت الغطاء الذي فوضه المعسكر الاشتراكي بمواجهة المعسكر الآخر .

ولقد طرح عبد الناصر جملة مفاهيم ، أو بالأحرى ، استراتيجيات ، حازت على تأييد جماهيري عارم ، غذاه النزوع إلى حب القائد / الفرد / الزعيم ، والذي يسمونه أحياناً : الديكتاتور المحبوب ! إلا أن ذلك النهوض ، ما لبث أن خبا وراحت تلك الاستراتيجيات تغرّب عيونها أمام تفكك الجماهير ويأسها ...

كان جمال عبد الناصر مواجِهاً قوياً وقادراً . وبنفس البساطة التي يقود بها رب الأسرة بيته كان يقود شعبه وأمته ! ومنذ بدأ نجمه بالأفول ، وصدّقت الجماهير فعلاً أن من كان يعبد جمال عبد الناصر ، فإن جمال عبد الناصر قد مات ... منذ تلك اللحظة أصيبت هذه الجماهير . أصيبت هذه الأسرة بنوع من الإنصات للصدى .

ومرت الأيام بسرعة عجيبة كما تمر السيول ... ولكن ورغم هذا ، من ينسى الدور الذي لعبه الاتحاد السوفييتي فيما بعد ؟ من ينسى أن جمال عبد الناصر أورثنا علاقة وطيدة مع المعسكر الاشتراكي الذي نحس اليوم ، واليوم فقط ، بمعنى الصداقة معه !

* * *

أما في سورية ، والتي أثرّت وتأثرت بكل هذا ، بل إنها عاشت فاعلة ومنفعلة بقوة شعبها ، فإنها أيضاً شعرت بحجم هذا الذي جرى .

واليوم نشهد في سورية حركة غريبة متنامية على أكثر من صعيد ، وتندفع هذه الدولة الصغيرة لتفرض نفسها ، وموقعها ، وشروطها رغم كل شيء .

في سورية اليوم : جَيش قوي ... نظام مستقر وقوي أيضاً ... ورئيس جمهورية ذو شخصية قوية وحازمة .

في سورية : أكثر من عشرة ملايين فم ، وعشرين مليون يد ، وتوجد أجيال جديدة تتوالد باستمرار ... توجد طبقة عاملة ... وبرجوازية جديدة . توجد حركة هدم وعمران ... مشاريع ومرافيء وسدود وأنهار وطرق وسكك حديدية وزراعة وصناعة .

ولكن وفوق كل هذا توجد مشاكل اجتماعية ، بالإضافة إلى القضية القومية والوطنية التي يُسَخَّر لها كل شيء ... ولقد انعكست أول دلائل التغييرات في الاتحاد السوفييتي على سورية ، وسعى الغرب لضرب مواقعها . ربما لأنه وجد الفرصة مناسبة ، ولكنه عاد واصطدم بدولة قوية لها موقعها وشروطها بمعزل عن وجود الاتحاد السوفييتي أو غيابه .

ـ ٣ ـ

في هذه الظروف تماماً التقيت مع خالد بكداش ! ولا أخفي أنني ومنذ سنوات طويلة أتمنى اللقاء مع هذا الرجل . لا كلقاء صحفي عابر ، وإنما ، كمحطة ، يمكن من خلالها طرح كل شيء ، وبصراحة .

وغابت أمنياتي بحكم السنين الطويلة التي حالت دون اللقاء ، إلى أن تجسدت الفكرة ثانية ، فأحسست بجمال المشهد ، حيث يتحدث أقدم أمين عام لحزب شيوعي في العالم عن مستجدات الحدث العالمي وانعكاساته على الحدث الإقليمي والمحلي والذاتي ... وتساءلت ، بيني وبين نفسي : لم لا أبدأ مثلاً بياسر عرفات أو جورج حبش أو غيرهما ؟ ولكني وجدت الإجابة

بسرعة : ثمة فارق كبير بين وجهة النظر الفلسطينية ، وهي هامة طبعاً ، وبين وجهة نظر رجل يعتبر صامداً في حزب صغير من أحزاب هذا العالم الكبير ... وقررت : سألتقي مع خالد بكداش !

وكان قراري هذا مصحوباً بأمنية دفينة ، وهي : أنه آن الآوان لفتح حوار ديمقراطي بين جميع القوى والأحزاب والشخصيات السياسية في سورية على أرضية واحدة ومتينة ألا وهي : الوحدة الوطنية ، والاعتراف بالآخر ، فإذا أنا أمام مشروع كبير ابتدأ مع خالد بكداش بالذات !

إن هذا يعني بالتالي ، أهمية سورية ، وحركية الساحة السياسية السورية . وقد تطرق السيد الرئيس حافظ الأسد إلى هذه النقطة في ١٣ / ٣ / ١٩٩٢ عندما باح لنا بما قاله لأحد الغربيين من أن الشعب السوري كله يتحدث بالسياسة !

ولقد كنت موفقاً في انتقاء شخصية خالد بكداش ، لأن هذا الرجل عتيق ، وعتيق هنا بمعنى : تزداد أهمية خطابه في المرحلة الراهنة !

إن خالد بكداش أمضى أكثر من ثمانين عاماً من الحياة ، وأكثر من ستين عاماً من الشيوعية ، ولم يكتب مذكراته بعد ، على الرغم من أنه عايش كل الفترات بدءاً من مقاومة الاستعمار الفرنسي ووصولاً إلى الآن !

وعندما رأيته أول مرة ، وهو يرتدي عباءته المشمشية المطرزة بالقصب الذهبي اللون ، ويتوكأ على عصاه برزانة وهدوء قلت في نفسي : إن عملي يبدو صعباً من البداية ، فلو أن هذا الرجل حكى لي عن الصحف التي قرأها في حياته لأدهشني ! ولقد قلت له في أحد اللقاءات الطويلة : لو كان التاريخ رجلاً لسألته : ما علاقتك بخالد بكداش ؟

واكتشفت : أن خالد بكداش رجل لا يتكلم كثيراً ... يتحدث بثقة وتركيز وهدوء ... واكتشفت أيضاً ، وربما كان غيري قد اكتشف ذلك أيضاً ، ثباته في الموقف ، حتى في صياغة العبارة التي ينطقها . ولكن خالد بكداش يجب أن يكتب . إن كتابته هامة اليوم ، ويجب أن نساعده جميعاً على هذا العمل الصعب .

وأخيراً أقول : إن هذا الرجل جعلني أصدق أن بالإمكان التفكير حالياً بأنه يجب أن لا ننصاع !!

● **عماد نداف**

١٥ / ٩ / ١٩٩٢

القسم الأول

خالد بكداش يتحدث

حديث ذكريات

إن الذي يعرف عسال الورد اليوم ، يمكن أن يتصور معنى اللقاء الذي تم قبل أكثر من ستين عاماً ، بين شخصيتين هامتين في تاريخ الحزب الشيوعي السوري ...

كانت عسال الورد تربض هادئة ، فوق إحدى الهضاب الكثيرة في سلسلة جبال لبنان الشرقية . وكانت الصخور والوديان المترامية الأطراف تردد صدى طلقات الرصاص التي أطلقت إثر الاشتباك الذي حصل بين علي بك المؤيد ورجاله وبين الأمراء الجزائريين ...

لم تكن الأشجار المثمرة الكثيفة ، التي نشاهدها اليوم ، موجودة في تلك الأيام لتشهد على ما نقول ! كانت مزرعة «تل فطايا» وحدها تنتصب في تحد واضح لكتل الصخر التي ترقّشها بقايا غابات شجر اللزاب الأخضر الداكن ...

وفي تلك المزرعة ، شبت مجموعة من أشجار الصفصاف ، حول عين الماء التي سميت باسم عين علي بك صاحب المزرعة في انتظار همسات ما ستهمس عندها !

وعندما أمر علي بك المؤيد بزراعة هذه الأشجار ، لم يكن يتصور الحدث القصير الذي سيجري تحت ظلالها ... كان يومها يفكر جدّياً في التمدد في كل الاتجاهات والاستيلاء على أراضي الفلاحين في عسال الورد ...

ولأن هؤلاء لم يستطيعوا مواجهته ، استنجدوا بالأمراء الجزائريين الموجودين في دمشق ، وطلبوا عونهم لمواجهة علي بك وجماعته !

وبالفعل ، استجاب الأمراء الجزائريون لطلب الفلاحين ، وذهبوا إلى عسال الورد لحسم المسألة ، إلاّ أن علي بك المؤيد ، وعندما علم بالأمر ، خرج إلى التلال المجاورة للمزرعة ، وتحصّن في تلة الحقبان ، حيث وقع الاشتباك الدموي مع الأمراء الجزائريين ، والذي أدى إلى هزيمته ، ورحيله إلى أوربا فيما بعد !!

* * *

ومرّت الأيام ، واشترى ملاّكون جدد قسماً من الأرض ، وحصل الفلاحون على قسم منها . جاء من يبرود ، القريبة من عسال الورد ، أسرتان صغيرتان توطنتا في مزرعة تل فطايا ، بعد شراء قطعة أرض من قبل كل أسرة ...

كانت الأسرة اليبرودية الأولى تنتمي إلى بيت عقيل ، في حين كانت الأسرة الثانية تنتمي إلى بيت حدّة !

وعلى هذا الأساس ، راحت عسال الورد ، تطوي تاريخاً جديداً في انتظار الأيام الآتية !

* * *

وأمام عين علي بك المؤيد ، حيث كانت أشجار الصفصاف تتمايل فوقها ، التقى خالد بكداش مع ناصر حدة ، اليبرودي القادم مع أسرته إلى عسال الورد ... وتهامسا حول مسألة محددة !

كانت وعورة الطرقات ، في هذه المنطقة الجبلية ، والتي يعمل خالد بكداش في ورشات إصلاحها ، تأخذ بُعداً رمزياً في هذا اللقاء التاريخي الذي سيرسم نقطة البداية للطريق الوعر والطويل مع الحركة السياسية والاجتماعية في سورية .

* * *

وعندما التقيت مع خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري ، وعضو القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية في سورية ، فوجئت أنه يعرف قريتي التي أنتمي إليها ، بل ويرتبط اسمها بتاريخ طويل ، جئت أصلاً لتدوين جانباً منه .

فما أن التقينا في جلسة التعارف الأولى ، حتى سألني :

□ □ **أنت من عسال الورد ... أليس كذلك ؟!**

وعندما أجبته أن نعم . بدأ حديثه عن الذكريات التي تمنيت أن يطول الحديث عنها .

ولم نكن في تلك اللحظة نقوم بتسجيل الحديث ، فسارعت إلى كتابة ما يقوله على ورقة كانت بحوزتي ، ثم بدأنا تسجيل الحديث بصوته ، وتركنا خالد بكداش في حديث ذكرياته :

□ □ في عسال الورد بدأت رحلتي الطويلة مع الحزب الشيوعي السوري ، كنت أشتغل مراقباً على تعبيد الطرقات في هذه المنطقة . كانت هذه الفترة قصيرة ، ولكنها هامة . وهناك التقيت مع ناصر حدة في مرزعة تل فطايا ... وأثناء حديثه معي تكلم عن شخص اسمه : فوزي الزعيم ... لم يكن يعرف أن فوزي صديقي . فقلت له :

ـ أنا أعرف فوزي الزعيم . إنه صديقي في الشام ونسكن في حيين متجاورين .

وكانت صدفة هامة . فهذا اللقاء مع ناصر حدة ، هو الذي لفت نظري إلى الجانب الآخر في حياة فوزي الزعيم ... الجانب السياسي والنضالي ...

وعندما عدت إلى دمشق ، التقيت مع فوزي كعادتنا ... وحكيت له عما جرى في عسال الورد ... كنا عائدَيْن من السينما ليلاً ، نمشي سوية ، وعادة نفعل ذلك دائماً ، فيمشي معي إلى بيتي ، ثم يتابع طريقه إلى بيته !

والآن أتذكر تلك الليلة . عندما مشينا في حي ركن الدين الذي أسكن فيه . قطعنا ساحة شمدين . ومشينا باتجاه المخفر ، ثم صعدنا نحو بيتي .

وفي هذه الأثناء قال لي :

ـ يوجد في الشام حزب سري ، اسمه : الحزب الشيوعي !

فقلت له :

ـ وماذا يريد هذا الحزب ؟

فقال :

ـ ضد الاستعمار ... ضد الرأسمالية ... ضد الإقطاع ... يريد الاستقلال وتوزيع الأراضي على الفلاحين ، وأيضاً إزالة الرأسمالية طبعاً ...

ولا أخفيك . وجدت ما قاله فوزي الزعيم ، قد لاقى هوى في نفسي ، فقلت له :

ـ نعم .

وقبلت معه ...

... كنت في مكتب عنبر . كنت أسمع عن البولشفيك ، وماذا يجري في روسيا ... والاهتمام في حالة الفقراء ... إلى آخره . فوزي الزعيم حكى لي أشياء عن الحزب الشيوعي . وأنا سألته بدوري بعض الأسئلة ، فأجاب عليها .

وفي تلك الفترة كانت هناك محاولات من الأحزاب لكي تقام معاهدة مع فرنسا مثل المعاهدة العراقية ـ البريطانية على أساس أن هذا هو طريق الاستقلال !

قال فوزي الزعيم : إن هذا الطريق لا يؤدي إلى نتيجة ! لذلك نحن ضد الزعماء الذين يسيرون في هذا الاتجاه . نحن نعتبر أن هذا الاتفاق خيانة للبلاد . أي الاتفاق مع الاستعمار الفرنسي ...

كانت وقتها الكتلة الوطنية . فقلت لفوزي :

ـ كيف نتهم هؤلاء بالخيانة ، وقد اشتركوا في الثورة السورية ، بالإضافة إلى أن قسماً منهم لازال منفياً الآن ؟ وبعضهم حكم بالإعدام ؟!

فقال لي :

ـ والله لا أعرف ! غداً ، سآتي إليك بواحد يشرح لك كل هذه الأمور .

وبعد عدة أيام ، جاءني بواحد . وقال :

ـ إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني أرسلته .

فأوضح لي أن هؤلاء انتهوا تاريخياً ، ولن يخوضوا النضال الوطني . لذلك نقول عنهم إنهم خونة .

لم أقتنع أنا بذلك فعلاً . قلت له :

ـ على كل حال ... أنا موافق على سياسة الحزب . وأنا موافق أيضاً على الدخول فيه .

تركني ، ثم عاد بعد مدة ، وجاء بمواد مكتوبة ، وطلب منا أن نصدر في الشام جريدة الحزب ، وكان اسمها : المطرقة والمنجل .

* * *

كان ذلك في سنة ١٩٣١ . وبينما كنا نطبع جريدة **«المطرقة والمنجل»** ، فوجئنا بدخول قوى الأمن العام الفرنسي . كان معي رشاد عيسى ، وهيكازيون بويجيان ، وسيساك

تيلاليان ، وشخص خامس تبين أنه كان مخبراً للأمن العام الفرنسي ... لم يكن فوزي الزعيم وناصر حدة متواجدين آنذاك في دمشق ...

أخذونا إلى النظارة ، ثم إلى العدلية ، التي كانت في المرجة ، وقيدوا أيدينا في شريط ، ومشينا مثل قافلة !

كان باعتقادهم ، أنهم بذلك يبهدلوننا . قال لي هيكازيون بوياجيان :

ـ عندما نصل إلى المرجة ، ونجد أن هناك مجموعة من الناس ، نقعد على الأرض ، ونهتف للحزب ، وضد الاستعمار .

كان هيكازيون متحمساً جداً . وبالفعل ، وبينما نحن نمشي باتجاه زقاق رامي ، وكان هناك ترامواي ... جلسنا على الأرض ، في المرجة ، وصرنا نهتف :

ـ يسقط الاستعمار ... عاش الاستقلال ... عاش الحزب الشيوعي السوري .

أخذونا إلى الأمن العام من أجل الاستنطاق (أي التحقيق) ، ثم إلى المحكمة المختلطة ، ثم إلى القلعة ، ومن القلعة كانوا يجلبوننا إلى المحكمة ...

*في المحكمة كان موقف الرفاق جيداً . حكينا ضد الاستعمار . هتفنا بخروج القوات الأجنبية من سورية . دافعنا عن جريدة «**المطرقة والمنجل**» ...عن محتواها ...*

كل ذلك كان داخل المحكمة ! بالنسبة لرشاد عيسى خرج براءة . قلنا إنه لا علاقة له بالجريدة . جاء زائراً ، ولا علاقة له بهذا الأمر .

*كانت جريدة «**المطرقة والمنجل**» في بدايتها وكانت تحوي مقالات جيدة . ونحن دافعنا عن هذه المقالات ...*

في النهاية حكمونا أحكاماً بسيطة ، بين ثلاثة أشهر وستة أشهر ، بالاضافة الى الغرامة ، وكانت نحو خمسين ليرة أوخمسة وعشرين ليرة .. وما الى ذلك ..

كانت التهمة هي تهمة التحريض لاسقاط الانتداب الفرنسي . نحن لم نعترف بأننا أعضاء في الحزب الشيوعي . ولابد أن اذكر أنهم حكموا هيكازيون بوياجيان أكثر منا . لأنه كان ذا سوابق ، فقد حكم في لبنان عدة أشهر من قبل .

* * *

في السجن كانت حياتنا مثل حياة بقية المساجين . وضعونا أول الأمر في سجن سفلي سيء ، كان اسمه : قاووش الخستخانة . أي المستشفى . وفيما بعد ناضلنا لتغييره ، فنقلونا الى قاووش آخر اسمه . السياسي !

وفي هذا القاووش كان يوجد كتب . كان لدينا أحد الكتب عن الاشتراكية ، أعطاني إياه ناصر حدة . الكتاب عن الاشتراكية ، لا أذكر اسمه . ولكنه كان لنقولا حداد .

بالإضافة إلى ذلك ، أنا كنت أعرف الفرنساوية . كانت لغتي جيدة ولا تزال . وكان الحزب يرسل لنا الكتب إلى البيت ، ومن البيت يأتون بها إلى السجن . وكنت أقرأ هذه المطبوعات وأغلبها عن الحزب الشيوعي الفرنسي ...

كذلك ، كان هيكازيون بوياجيان ، وهو عضو في اللجنة المركزية ، يلقي علينا محاضرات عن الرأسمالية وعن القيمة الزائدة . يعني عن الاقتصاد . كان يحكي لنا أيضاً عن

الاستعمار ، وعن الإمبريالية . كان يرفع بأنفسنا الثقة بالمستقبل ، وقد خرجنا من السجن أفضل من لحظة دخولنا إليه .

ويجب أن أقول إن هيكازيون كان واحداً «كدعاً» كثيراً . جمعنا تبرعات من السجناء القضائيين ، وأرسلناها للحزب في الخارج ، رغم أنها لم تكن كثيرة . كانت شيئاً رمزياً ...

لم نكن نضرب في السجن . وكان رجال الدرك لطفاء جداً معنا . وذلك لأننا كنا وطنيين وهتفنا ضد فرنسا ، وفي الواقع هتفنا ضد الاستعمار الفرنسي ، وكانوا نتيجة لذلك يعاملوننا بشكل جيد عندما كنا ننقل إلى المحكمة ، أو نعود منها ... وفي إحدى المرات ، كنا ذاهبين إلى المحكمة . والدرك وقفوا موقفاً نبيلاً . إذ لم يريدوا أن يضعوا القيد في أيدينا . وضعونا في عربة ، وطلبوا منا العهد بعدم الهرب ، ولم نهرب ... كانت كلمة شرف !

* * *

وهنا سأذكر لكم حادثة . ففي المحكمة كان فخري البارودي موجوداً . كانت القاعة مليئة عندما عرضنا سياسة الحزب ، واتهمنا من يريدون المفاوضات مع فرنسا بأنهم خونة ...

ومن المعروف ، أن فخري البارودي ، الذي سمع ذلك وهو بين الجمهور ، كان من الكتلة الوطنية . كان أحد زعماء الكتلة الوطنية ... وفوجئت ذات يوم ، وبعد خروجنا من السجن ، بفخري البارودي ماشياً في طريق الصالحية ، فناداني ، وصافحني بحرارة . وقال :

ـ برافوا عليكم ، ولكن يا خالد ، أنا خائن ؟

فقلت له :

ـ لا ... نحن لا نقصدك أنت !

فسكت !

طبعاً ... لقد عدلنا عن هذه السياسة فيما بعد ، وخاصة بعد المؤتمر السابع للأممية الشيوعية ، وخطاب ديمتروف ... لقد ذهبت سراً إلى باريس ، ومنها إلى موسكو ، لحضور هذا المؤتمر .

ولكن لا أخفيك ، لقد كان عند هؤلاء شبه شعور بعدم القدرة على مقاومة فرنسا ، لذلك جاءت دعوتهم بضرورة الاتفاق معها ... وكان هؤلاء البرجوازيون يريدون تقاسم السيطرة مع الفرنسيين على السوق الداخلية . أنا أتذكر معركة كبرى في الثلاثينات بشأن إنشاء مصنع لصنع الأجواخ في الشام ... الفرنسيون عارضوا معارضة كبرى . وجرت معركة كبيرة حول هذا الموضوع . وبعدها تأسس المعمل . إنهم يريدون أن نستورد الأجواخ من فرنسا !

* * *

عندما اعتقلنا . اعتقلوا تقريباً كل الحزب في دمشق ! كان الحزب صغيراً ، دخلنا إلى السجن ، وكان الشيوعيون في الشام ، خمسة أشخاص . وعندما خرجنا من السجن اشتغلنا وتوفقنا . وقد أفادتنا المحاكمة ، لأن الصحف في ذلك الوقت نشرت عنا . وهذه طبيعة الفرنساويين . الانكليز لم يكونوا يفعلون ذلك . أما الفرنسيون ، فكانوا إذا اكتشفوا

خلية شيوعية يعتقلونها فوراً وينشرون ذلك ... وهناك تجربة حدثت في مصر . فقد اعتقلوا واحداً من الشيوعيين المصريين ... دبّروه ، فأعطاهم معلومات ... لكنهم لم يعتقلوا أحداً . قالوا له : تابع ! وصاروا يزودونه بأعضاء للحزب لكي يدخلوا في قلبه ... هكذا يفعل الانكليز ... الإفرنسيون لم يكونوا هكذا ... عملوا ضجة ، فأفادونا !

... نشطنا في الأحياء والمعامل ... بين الطلاب والنساء والشباب . وقد نظمنا فرقاً في الحارة والمعمل والدائرة . وفي عام ١٩٣١ أصدرنا الوثيقة البرنامجية الأولى . وعندما بعثوا لنا مشروع هذه الوثيقة للنقاش قرأناها ... وأبدينا بعض الملاحظات ، وأكثرها أخذت بعين الاعتبار . أرسلنا هذه الملاحظات كأعضاء في الحزب . وكانت الوثيقة البرنامجية الأولى وثيقة جيدة .

حدث كل شيء بالتدريج .. قمنا بتوزيع المناشير . وأنا وزعت هذه المناشير بيدي . وزعتها أنا وفوزي الزعيم والعامل أحمد خضركي في الشام . وقمنا بتعليق الأعلام الحمراء في أماكن التجمعات ... في طريق الشيخ محي الدين مثلاً ... في طريق الربوة ... كذلك عادت «**المطرقة والمنجل**» الى الصدور ، فصدر منها عدة أعداد . ونسيت أن أخبرك أننا ونحن في السجن اطلعنا على جريدة أخرى جاءتنا من لبنان . لقد جاءنا بها الكاتب الأديب سليم خياطة الى السجن . كان اسمها: «**الفجر الأحمر**».

كذلك قمت بترجمة البيان الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك انجلز من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية عام ١٩٣٣ على ما أذكر ...

هكذا كان عملنا بعد الخروج من السجن . وبقيت أنا فترة من الوقت لست عضواً في اللجنة المركزية . كانت الوثائق ترسل لي كعضو في التنظيم ... وفي أوائل عام ١٩٣٣ سافرت إلى موسكو سراً عن طريق فرنسا .

كان اسمي الحركي في الكومنترن : **رمزي** . وبقيت في موسكو سنتين ونصف . درست الماركسية ــ اللينينية والاقتصاد السياسي ، وتعلمت اللغة الروسية ... وفي عام ١٩٣٧ أصبحت أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوري . حدث ذلك بعد عودتي من موسكو حيث عقد اجتماع لممثلي الكادر . وصار حكي ، وتناقشنا ... وكان ممثلو جميع المنظمات موجودين في هذا الاجتماع الذي انتخبت فيه .

علي خلقي كان حاضراً ... لقد ظل معنا حتى موته ... وأتذكر في هذا السياق نكتة حلوة حوله . فقد وقع إضراب لعمال النسيج في حمص ، وألفنا لجنة لجمع التبرعات ، وكان معنا إيصالات لهذه التبرعات . وهذا ما دفع الأمن العام الفرنسي إلى اتهامنا بالاحتيال . وهذه مسألة تنظر فيها المحاكم العادية . لم نعتقل ... حُوّلت أنا وعلي خلقي وآخرون إلى محكمة البداية الجزائية ... وكان رئيس المحكمة من حارتنا وهو غالب ميرزو . التقيت معه في الحي ، فقال لي : كلهم كذابون ! لذلك ستخرجون براءة . ولكن رجاء لا تعملوا محاضرة سياسية في المحكمة . فوعدته بذلك . وفي المحكمة ، كان كل واحد منا يقف ويجيب : ما اسمك ؟ ما مهنتك ؟ وعندما جاء دور علي خلقي ، قال لهم : عامل بطال ! فقال له غالب ميرزو مازحاً : والنعم على هذه المهنة !! بعدها خرجنا براءة .

لقد خدمنا غالب ميرزو خدمة جيدة ، كان يحب شكري القوتلي كثيراً . ونحن وفينا

بوعدنا ، ولم نتكلم بالسياسة . لأن مجرد الكلام بهذا يعتبر تهمة تستدعي الحكم .

كل الرفاق الذين كانوا في ذلك الوقت عملوا بجد . وأنا أذكر فوزي الزعيم . كان جيداً كثيراً ... شعبياً ... كدعاً أمام الاضطهاد ... إنه قبضاي أمام الاستعمار ... وعندما أصبحت أميناً عاماً انبسط ، وأيدني ، وساعدني ...

كان فوزي من قبضايات دمشق ... كان معروفاً كقبضاي ... أنت تعرف ماذا كانت تعني كلمة قبضاي في الشام . وهكذا استطعنا تحييد هؤلاء القبضايات واستجلاب عطف وتأييد بعضهم .

يوجد من حيدناه ، ويوجد من كسبناه صديقاً . وسأورد لك بعض الأمثلة :

من أصدقائنا مثلاً : فريد جلال من المهاجرين . وكذلك صار لنا أصدقاء في حي السمانة وفي سوق ساروجة . حتى محمود خدام السروجي من الشاغور تعاطف معنا . وكذلك توفيق الحبوباتي الذي أصبح فيما بعد صاحب نادي الشرق .

ولكن هؤلاء لم يتحولوا إلى شيوعيين ، ما كانوا شيوعيين .

في ركن الدين كان معنا عدة قبضايات . لقد كان حسين عاقو من قبضايات حي ركن الدين . أنت تعرف كيف استشهد حسين عاقو !

* * *

والآن سأحكي لك عن مكتب عنبر . كنا في هذا المكتب عدة مئات من الطلاب . كان معنا صلاح البيطار . كان معنا كامل عياد ، بسام كرد علي ... كان معنا بشير العظمة الذي أصبح رئيساً للوزراء بعدها ، وكان معي في الصف : وجيه السمان الذي أصبح وزيراً في عهد الوحدة ، ومحمد العالم الذي أصبح وزيراً أيضاً ، وهو من حلب . أما صلاح البيطار ، فلم يكن موجوداً في صفي ، كان أعلى مني . وكان حديثنا دائماً ضد فرنسا ، وكنا نتحدث عن البلاشفة في الاتحاد السوفييتي وعن لينين ... عن التناحر بين المستعمرين ، عن الوضع في فرنسا ...إلخ وكان من أصدقائنا كامل عياد الذي كان قد تخرج حديثاً من ألمانيا كدكتور في الفلسفة وأصبح ماركسياً خلال دراسته !

أما أهم استاذ درسني في مكتب عنبر ، فهو الأستاذ أحمد جودت الهاشمي الذي سميت التجهيز باسمه . كان استاذي لأن البكالوريا التي أخذتها كانت بكالوريا علوم .. رياضيات ، وكان أحمد جودت الهاشمي يعلمنا الرياضيات والجبر والهندسة والفلك . كان يعلمنا هذه المواد في الصف الحادي عشر والثاني عشر .

ومن الأساتذة الآخرين الذين درسوني : هاشم الفصيح ، والشيخ عبد القادر المبارك ، وهو والد محمد المبارك من الاخوان المسلمين الذي كان معنا في البرلمان عام ١٩٥٤ .

وأتذكر الآن ، وبعد انتخابي نائباً في هذا البرلمان عن دمشق جاء أحمد جودت الهاشمي إلى بيتي في حي ركن الدين من أجل أن يقدم لي التهاني . لا أنسى ذلك أبداً . كان هذا الأستاذ وطنياً ..كان وطنياً !

وكنت نشيطاً في الحركة الطلابية ، كنت أشارك في المظاهرات ضد الإفرنسيين . قبل أن أصير شيوعياً ، كنت أهتف : لتسقط فرنسا ! وعندما أصبحت شيوعياً، صرت أهتف: ليسقط الاستعمار الفرنسي ! لقد تعلمت من ماركس وانجلز ولينين أن كل أمة ، فيها أمتان ،

واحدة ظالمة وواحدة مظلومة . وفي فرنسا كان الشيوعيون يؤيدون نضال الشعب السوري من أجل استقلاله ، ففي البرلمان الفرنسي هتف النواب الشيوعيون أثناء الثورة السورية :

ـ سورية للسوريين ...

وسأذكر لك في هذا الصدد أن رفاقاً في الحزب الشيوعي السوري شاركوا في الثورة السورية عام ١٩٢٥ ، مثلاً : فوزي الزعيم كان عنده سلاح واشترك وحارب المستعمرين الفرنسيين .

كان عمري وقتها ١٣ سنة . أنا من مواليد ١٩١٢ ، والثورة السورية حدثت عام ١٩٢٥ . كنت صغيراً ، ولكني كنت واعياً ، والذي أعرفه أن محمد علي فرحة والد زوجتي أم عمار كان من أبطال الثورة السورية . كان قرار الحزب المشاركة في الثورة . وأصدر الحزب بياناً هاماً باللغة الفرنسية وزعوه على الجيش الإفرنسي حثوا فيه الجنود أن لا يطلقوا النار على الثوار ، وأن يوجهوا بنادقهم إلى صدور جنرالاتهم المستعمرين الظالمين . لقد كانت المنشورات حدثاً كبيراً وقتها . لقد نفي الكثيرون ، ومن الذين نفوا هيكازيون بوياجيان الذي نفي إلى الرقة ، وفيما بعد نقلوه مع آخرين إلى أرواد . وكذلك اعتقل العامل أوهانس أغباشيان عام ١٩٢٧ .

وفي أثناء الاستعمار الفرنسي قُصفت دمشق أكثر من مرة ، على ما أذكر أثناء الثورة السورية في عام ١٩٢٦ .

كنت إذ ذاك في مدرسة التجهيز الداخلية ... مكتب عنبر ، ويومها خرجنا وذهبنا إلى بيوتنا . أخرجتنا الإدارة ، فسرنا في الطرقات ، كنا نسمع دوي المدافع ، كنا نشاهد القتلى في الشوارع ، كان شيئاً فظيعاً جداً . لقد قصفوا مدينة آمنة . قصفوا الأسواق والأحياء . وكانت عملية فظيعة جداً . كما قصفوا دمشق أيضاً عام ١٩٤٥ وهاجموا البرلمان وقتلوا حاميتها ومن أفرادها رفيقنا **الطيب شربك** .

إن لينين يتكلم عن الإمبريالية الفرنسية ، ويقول : إنها الإمبريالية الأكثر عسكرية ، الأكثر دموية .

ونحن شاهدنا ذلك ، لمسناه بأيدينا ، كان عندنا عداء للاستعمار الفرنسي قبل أن يقصفوا . وبعد أن قصفوا دمشق ازداد العداء تجاههم .

وآنذاك كنا طلاباً ، لا نهاب الموت ضد هؤلاء الأوغاد ، لقد خرجت المظاهرات من مكتب عنبر ضد الاستعمار وكنا نغني .

ـ موطني ... موطني ...

هذا النشيد الوطني المعروف .

لكنهم واجهونا بالدبابات في شارع النصر !

* * *

بعد تخرجي من مكتب عنبر تسجلت في كلية الحقوق ، ولكني لم أتمكن من متابعة دراستي فيها بسبب الملاحقات . وإلى جانب ذلك أعطيت دروساً خصوصية في الرياضيات واللغة الفرنسية ، ثم توظفت في وزارة المالية بمصلحة : البندرول حيث كان هناك معامل خاصة للسكائر والتنباك . وكان البندرول يضع على كل علبة مصنعة شريطة بثمنها . وفي

كل معمل كان يوجد مراقب من الدولة . وأنا كنت مراقباً في معمل الصحناوي بباب شرقي .

كما اشتغلت في الصحافة . في «**جريدة الأيام**» التي كان مديرها عارف النكدي من جبل العرب . وكانت تابعة لرئاسة الجمهورية ، وكان يشرف عليها سكرتير القصر الجمهوري : جميل الأرمنازي . كما عملت في جريدة «**القبس**» وكان رئيس تحريرها الوطني المعروف الأستاذ نجيب الريس .

كنت أترجم ، وأكتب المقالات أحياناً . وأتذكر حادثةوقعت معي في جريدة «**الأيام**» إذ جاؤوني بمقال عن جريدة «**لوموند**» الفرنسية ، وكان المقال ضد الاتحاد السوفيتي ، طلبوا مني أن أترجم هذا المقال ، فرفضت ! قلت لهم : أرفض ، ولا أريد ترجمتها ! وأظن كلفوا أنطون سعادة مؤسس القوميين السوريين فترجمها ! كان يعمل أيضاً كمحرر في جريدة الأيام . أما أنا فرفضت الترجمةلأنه ضد الاتحاد السوفييتي ، ولأني كنت وقتها في الحزب الشيوعي السوري . وفي سنة الثلاثين ، وكنت قد أصبحت عضواً في الحزب ، صرت مراسلاً قضائياً لجريدة «**القبس**» التي كان يرأس تحريرها نجيب الريس ...وبعد ذلك تفرغت للعمل السياسي بعد خروجي من السجن سنة ١٩٣١ .

* * *

سأحكي لك عن الإضرابات العمالية أيضاً . ففي تلك الآونة قام العمال بإضرابات كبيرة . من بينها إضراب عمال الكهرباء بدمشق (الترامواي) ، وإضراب عمال النسيج اليدوي في حمص عام ١٩٣٢ .

لقد أرسلني الحزب إلى عمال المطابع المضربين في بيروت على أساس أنني مندوب من عمال الشام جاء لتأييدهم . وآنذاك اشتغلنا بشكل جيد ، وأذكر أنني وهيكازيون بوياجيان عملنا بجد مع عمال المطابع في بيروت . وهذا ما حدث في إضراب الترامواي وعمال النسيج في حمص عام ١٩٣٢ وكنت رئيساً للجنة التضامن معها . لقد أيدنا جميع هذه الإضرابات .

كان يوجد عمال شيوعيون في هذه التجمعات العمالية ، وكان هؤلاء وغيرهم يقومون بهذه الإضرابات . كانت الإضرابات في ذلك الوقت عملية موجهة ضد الاستعمار الإفرنسي . شركة الترامواي كانت للإفرنسيين ، يعني كان الإضراب طبقياً وطنياً ، وقد أصدرنا بيانات في هذه الإضرابات ... وقفنا مع العمال لبلورة مطالبهم ووضعها بشكل معقول .

لقد نجحت هذه الإضرابات : نجح جزئياً إضراب عمال الترامواي ، وفي بيروت قام عمال المطابع بعمل العمايل . احتاروا كيف يكسرون هذا الإضراب . لقد شغّلوا مطابع جريدة الأوريان الفرنساوية من أجل ذلك . وها أنا أتذكر الآن توفيق الأسود ، وهو أحد العمال ، وكان يعمل معي في الحزب . كان الصلة معي . نظمنا يومها حملة على جريدة الأوريان حيث كانت مطبعتها تشتغل ، وقام العمال بتحطيم المطبعة ، وأوقفوا الجريدة عن الصدور، لقد طلبنا من العمال أن يذهبوا إلى الأوريان لتتوقف عن الصدور فلا تكسر إضراب عمال المطابع ، العمال تحمسوا ، وراحوا ... لم يخافوا ... ذهبوا وكسروها ... ولم تعد تصدر صحيفة الأوريان خلال هذا الإضراب .

كذلك لعبنا دوراً في توجيه الحركة النقابية طبقياً لأنه كان يوجد نقابات فيها أصحاب العمل والعمال معاً ، لقد عملنا لتحويل النقابات الحرفية إلى نقابات طبقية ... إننا حققنا نجاحاً كبيراً في هذا المجال .

ونشأ عندنا رعيل من الشيوعيين النقابيين الأوائل ، وأذكر منهم : سعد الدين مومنة وحنا الزرقا وعامل النسيج حسين عاقو من دمشق وأوهانس أغباشيان .

* * *

وفي هذه المرحلة لم تكن فرنسا قد خرجت بعد . كان الحزب الشيوعي الفرنسي يدعمنا دعماً قوياً ، وكان يضغط على حكومته لكي لا تُضطهد الحركات الوطنية في سورية ومن بينها الحزب الشيوعي السوري .

وبعد إقامتي في موسكو سنتين في عام ١٩٣٤ و١٩٣٦ ذهبت إلى باريس ، وكانت قد نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا بعد التمرد الفاشي ضد حكومة الجبهة الشعبية في إسبانيا وتطوعت للذهاب إلى إسبانيا للمشاركة في الحرب الأهلية ، فرفضوا تطوعي ... نعم رفضوا . قالوا لي إذ ذاك : عملك في سورية.فإن لدينا متطوعين كافيين من بلاد أخرى . وذهبت لفترة قصيرة إلى الجزائر ، ومن الجزائر سافرت إلى مراكش لأشارك في تنظيم الحملة ضد التمرد الفاشي في إسبانيا .

وأثناء بقائي في باريس عملت مع الوفد السوري(*) كان هناك فارس الخوري وسعد الله الجابري وهاشم الأتاسي من سوريا ورياض الصلح من لبنان .

وفي فرنسا كتبت مقالاً في صحيفة «**لومانتييه**» :إن الشعب السوري ينتظر !

جاء رياض الصلح إلى الصحيفة وطلب مقابلتي . فدلوه على مكاني ، وبالفعل اجتمع بي ، واشتغلت مع الوفد السوري . رحنا إلى الشيوعيين الفرنسيين وزرناهم ، وهم أيضاً زارونا . كان «**موريس توريز**» في قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي .

لقد ساهمت بإقامة نوع من الصداقة والتعاون بين الوفد السوري والشيوعيين الفرنسيين . وبالفعل أثمرت هذه الصداقة لأن الفرنسيين لم يَقْدروا على فرض شروطهم على السوريين وكانت المساعدة من الحزب الشيوعي الفرنسي .

وعندما قامت الجبهة الشعبية في فرنسا حاولنا الاستفادة من وجود هذه الجبهة في الحكم لأجل الضغط على فرنسا للانسحاب من سورية .

كما وقف حزبنا ضد الفاشية . أسمينا المرحلة آنذاك : النضال ضد الفاشية . تم هذا النضال بالمطبوعات . وألفنا عصبة مكافحة الفاشية . وعقدنا عدة اجتماعات شعبية وألقينا عدة كلمات . ولكن ليس فقط من قبل الشيوعيين ، غير الشيوعيين ألقوا أيضاً كلمات

(*) كان الوفد السوري يتألف من هاشم الأتاسي رئيساً ، وأغلب أعضائه من الكتلة الوطنية وهم : فارس الخوري ، جميل مردم ، سعد الله الجابري ، أدمون حمصي . بالإضافة إلى السكرتير نعيم الأنطاكي والمستشار أحمد اللحام . وقد ذهب الوفد بعد عزل الشيخ تاج من قبل دومارتيل وقيام الإضراب الشعبي حيث شهدت البلاد اضطرابات دامية . وانتظر الوفد حتى انتهت الانتخابات الفرنسية ونجحت الجبهة الشعبية ، وكلف ليون بلوم برئاسة الوزارة حيث وقع اتفاقية معاهدة ١٩٣٦ ، ولكنها لم تعرض على البرلمان الفرنسي لتصديقها .

ضد الفاشية ،كان بينهم شخصيات مثقفة مثل : كامل عياد ، وعمر فاخوري ورئيف خوري ونظيم موصللي . وكان عمر الفاخوري من أعز أصدقائي . التقيت به في لبنان ، وكان لقاء سياسياً وثقافياًمعاً . كان هو ورئيف خوري من أصدقاء الحزب .

* * *

كذلك كنت في لجنة الدفاع عن لواء اسكندرون مع ممثل عن عصبة العمل القومي . وكانت هذه العصبة حزباً . كان اسم هذا العضو : شفيق سليمان . أما العضو الثاني ، فكان اسمه : سيف الدين المأمون ، وهو من شباب الكتلة الوطنية .

كنا أربعة أشخاص ، العضو الرابع هو سعيد فتاح الإمام ممثل النادي العربي .

وذهبنا إلى لواء إسكندرون ، ونظمنا اجتماعاً جماهيرياً شعبياً فيه ، ولم تقدر تركيا ، ولا فرنسا ، على منع عقد هذا الاجتماع .

لقد استمر نشاط هذه اللجنة إلى حين استيلاء الأتراك على اللواء .

* * *

أيام الانتداب لاحقونا كثيراً . وقد عانينا من هذه الملاحقة . تصور أننا : أنا وهيكازيون بوياجيان كنا متخفين في بيروت كلٌ في بيت. وكان غذاؤنا الخبز والعرقسوس لم يكن لدينا مقدرة مادية !

وفي إحدى المرات تخفينا في الإسطبل . لم تكن هناك مقدرة لاستئجار غرفة.اختبأنا عند الشغيل الذي في الإسطبل . كان هذا الشغيل شيوعياً . وبقينا عنده شهراً ونصف الشهر . وكان صلتنا مع العالم الخارجي لأننا كنا متخفين نساهم في قيادة الحزب من الخفاء .

لقد تخفيت أيضاً في بيت ما . وكان لا يعرف هذا البيت إلاّ رفيق واحد . ولكن ، ولأن الثقة تنشأ أثناء النضال . اعتقل الرفيق ، فلم أغير بيتي . كنت أثق أنه لن يخون مهما عذّب !

وأذكر حادثة ذات معنى . فقد كان يوجد رفاق لنا في أحد السجون في الجبال وهو سجن المعاملتين في لبنان . وكنا نرسل لهم الطعام في السجن . كان الرفيق الذي نعطيه النقود ليشتري لهم الطعام متحمساً لدرجة أنه كان يذهب إليهم بالباص ، ويعود سيراً على الأقدام ليوفر ليرة واحدة أجرة الطريق !

* * *



محطات تاريخية

□ □ كان لنا معارك كثيرة . وقد حدثت معارك سياسية كبيرة حول الموقف من فرنسا . أتذكر منها الآن المعركة الكبيرة حول المادة ١١٦ من الدستور . وقد كانت فرنسا قد اضطرت إلى الاعتراف باستقلال سورية ، وكان يجب وضع دستور للبلاد ، إلا أن فرنسا أحبت أن يكون في الدستور مادة تسمح لها ، للدولة المنتَدَبة ، بإلغاء كل قانون أو مشروع لا توافق عليه .

لقد سُجل ذلك في المادة ١١٦ من الدستور . ونحن ناضلنا ضدها . تعاونا مع شكري القوتلي من أجل ذلك . كان شكري القوتلي وطنياً ، وكان يقدر مواقفنا الوطنية حتى من موقعه البرجوازي . إذ من المعروف أنه كان من مُلاك الأراضي ، وكان عنده ضيعة في بالا !

على كل حال ، نحن لم نطلب منه أن يوافق على الشيوعية ، كل مافي الأمر هو مسألة النضال ضد الاستعمار . وبعدها ، المسألة الأخرى .

التقيت معه عدة مرات . وجرت بيننا أحاديث صريحة . تحدثنا عن قضية الجلاء . جلاء الإفرنسيين عن سورية ، وعن ضرورة جمع كل القوى في سبيل الجلاء ... وكان الشيوعيون يطالبون بجلاء جميع القوات الأجنبية عن سورية : الإفرنسية والانكليزية . أما غيرنا ، فكانوا يطالبون بجلاء القوات الإفرنسية فقط . قال لي شكري القوتلي : لماذا تطلبون بجلاء الانكليز ؟ ... عندما يغادر الفرنسيون ، فإن الانكليز بطبيعة الحال سيذهبون أيضاً . فقلت له : لعلّهم عنّدوا ! يجب أن يكون الشعار شاملاً للإفرنسيين والانكليز ! فوافق شكري القوتلي .

كان شكري القوتلي يحترم الوطنيين بصرف النظر عن كل الاتجاهات . أما نحن فكان

يعاملنا على أساس وطني . ونحن في ذلك الوقت كنا نأخذ مواقفنا من الآخرين على أساس موقفهم من الاستعمار .

كنت أعرف شاباً اسمه : عرفان الجلاد . وكان هذا الشاب من الكتلة الوطنية . التقينا أنا وهو عدة مرات . في تلك الأثناء كان حسن الحكيم يعمل للوصول إلى رئاسة الوزارة في عهد فرنسا ، وكان عملاء فرنسا يعملون له دعاية على أساس أنه نظيف اليد ، ونزيه . فقلت لعرفان : هذه الصفات عن حسن الحكيم لا تؤثر علينا . إن أهم شيء بالنسبة لنا هو وطنيته ، وقلت له : أنا أُفضل رجلاً وطنياً ، ويتهم بهذه المسائل على رجل آخر يمشي مع الاستعمار ، ويشاع عنه أنه نزيه ! فسألني : هذا هو رأيك ؟ فأجبته : نعم ! فقال لي : سأنقله إلى قيادتي في الكتلة الوطنية .

* * *

بعد الاستقلال ، وقع انقلاب حسني الزعيم . وكان هذا الشخص عم فوزي الزعيم الذي أدخلني الحزب الشيوعي السوري ، وكان صلاح الزعيم (أبو فوزي) شيخاً ، وهو شقيق حسني الزعيم .

نحن وقفنا ضد الانقلاب ، وأصدرنا بياناً في ذلك ، ولكن ينبغي القول إننا فوجئنا بهذا الانقلاب مثلنا مثل الآخرين . قالوا:إن حسني الزعيم خرج مع شكري القوتلي الذي كان رئيساً للجمهورية ، وطافا الشام بالدبابة . قال حسني الزعيم لشكري القوتلي : انظر ! كل الناس هادئة ! ولا يوجد أحد معك !!

لكن الحزب الشيوعي السوري أصدر بيانات عدة ضده ، وقد اعتقل حسني الزعيم لنا الكثيرين ، ووضع العديد منهم في سجن المزة . وقامت مظاهرة نسائية كانت أم عمار (وصال فرحة) في طليعتها ، ومعها قريبات المعتقلين . مشت المظاهرة من ساحة المرجة إلى البرلمان . وكان الهتاف : تسقط الديكتاتورية ! واعتقلت أم عمار . اعتقلت هي والعديد من النساء ! ولكن حسني الزعيم سقط ، انهار نظامه وأعدم ! لقد كنا مع إعدامه . لقد سعدنا بسقوطه . خرجت أم عمار من السجن ، وتزوجنا !!

لقد قمنا بمظاهرات طيارة ضد جميع الديكتاتوريات ، وتعاملنا مع سامي الحناوي وأديب الشيشكلي بنفس الطريقة . كنا نرسل رفاقنا ونقول لهم : تكونون في ساعة معينة في المكان الفلاني ، ولكن متفرقين . نرسل أحد الرفاق المسؤولين إلى مكان تواجد الجماهير ، مثلاً في مدخل سوق الحميدية ، فيطلع على الأكتاف ، ويكون معه صفيرة ، ويصفر ، فيجتمع الناس ليعمل لهم هذا الرفيق خطاباً ضد الاستعمار ، ضد الديكتاتوريات ...إلى آخره .

وعندما تأتي الشرطة ، وتكون متفاجئة ولا تدري بالأمر ، يعتقلون عدداً من الأشخاص ، وأحياناً يعتقلون من غير الشيوعيين الذين تجمعوا ليسمعوا ما حصل .

وهذه ما كنا نسميها بالمظاهرة الطيارة .

وأخيراً لا بد من القول إن حسني الزعيم كان وراءه الاستعمار الفرنسي على الأرجح !

* * *

عندما جاءت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٥٤ ، وكانت الديكتاتوريات قد سقطت

دخلت أنا هذه الانتخابات . جرت الانتخابات في أيام سعيد الغزي الذي كان رئيساً للوزراء ، كانت انتخابات حرة ، نزيهة . لقد حصلت على نحو عشرين ألف صوت ، ربما أكثر من تسعة عشر ألف صوت .

وهذه الانتخابات أنشأت صداقة بيني وبين خالد العظم . ويمكن القول إن صداقتي معه تعود إلى تلك الأيام لأنه كان مثلي مرشحاً عن مدينة دمشق . ونحن أي في الحزب الشيوعي السوري أيدنا خالد العظم ، وهو بالتالي ، أخذ موقفاً إيجابياً تجاهنا . لقد نجحت أنا وهو في الدورة الأولى . في حين ظل الآخرون إلى مرحلة البالوتاج(*) بمن فيهم رئيس الوزراء الأستاذ سعيد الغزي والذي جرت الانتخابات أثناء ولايته .

كنت أنا ممثلاً للطبقة العاملة . وكان خالد العظم ممثلاً جدياً للبرجوازية الوطنية . كانوا يقولون بعد الانتخابات : نجح الخالدان !

كذلك أيّدنا محمد الأشمر في الانتخابات . وجمعت في حي الميدان أصواتاً لابأس بها . ومحمد الأشمر كان من أبطال الثورة السورية . كان ضد الاستعمار ، ومع نشاط الشيوعيين في سبيل الفقراء ، وفيما بعد صار محمد الأشمر رئيساً لجميعة الصداقة السورية السوفيتية . وحاز على جائزة ستالين للسلام ، وهي الجائزة التي أصبح اسمها : جائزة لينين .

كان محمد الأشمر يتعاطف مع الاتحاد السوفييتي ، وهو مبسوط من سلطة العمال والفلاحين على أساس أنها معنا وتؤيدنا . ومن هنا تعززت الصداقة بيني وبينه . وعند قيام الانتخابات أرسلت بعض الرفاق للسلام عليه ، فجاء من بيته في الميدان وزارني في بيتي في ركن الدين .

حدثته عن الوطن وعن الانتخابات ، فطلب مني أن أصلي الجمعة . قال لي : أريد منك أن تنزل معي يوم الجمعة إلى الصلاة في الجامع الأموي ! فقلت له : لا ، يا أستاذ محمد . أنا لم أدخل المسجد قبلاً ، والآن تريدني أن أدخل إليه ، نحن على أبواب الانتخابات ؟! سيقولون عني : هذا رجل منافق ، ويمكن أن تضرني بذلك انتخابياً أكثر مما لو لم أنزل .

فقال محمد الأشمر : والله معك حق يا ابني !

هذه القصة حكيتها لماوتسي تونغ عندما التقيت معه في بكين خلال الخمسينات . فقال لي : لماذا لم تذهب إلى الجامع ؟ كان يجب أن تذهب معه !

* * *

في الانتخابات التكميلية التي جرت عام ١٩٥٧ أيدنا أيضاً رياض المالكي . كان رياض المالكي مرشحاً ، هو والدكتور مصطفى السباعي المرشد العام للأخوان المسلمين في مدينة دمشق . ولكي نؤيد المالكي ، أقمنا اجتماعاً شعبياً كبيراً بجانب حديقة المنشية بدمشق(*) وقد أخبرني عبد القادر قدورة رئيس مجلس الشعب الحالي أنه حضر هذا

(*) البالوتاج : التكميلية .

(*) دافعت السيدة وصال فرحة في كلمة لها في مجلس الشعب خلال الشهر الثامن من عام ١٩٩٢ عن حديقة المنشية بدمشق . وقالت إن اسم هذه الحديقة « يرتبط باسم الحركة الوطنية في سورية حيث كان قادة الحركة الوطنية يخطبون بالمواطنين » . راجع تشرين في ١٠ / ٨ / ١٩٩٢ .

الاجتماع ، وإلى الآن يتذكر تفاصيله . قال لي : وقفت يا رفيق خالد ، وتوجهت إلى كل حي بحيّه : ... يا أهل الشاغور ... يا أهل الميدان ... أيدوا رياض المالكي ! أيدوا رياض المالكي في سبيل الاستقلال ... في سبيل الديمقراطية ! استوليتَ على قلوب الجماهير لأنك توجهتَ إلى كل حيّ بحيّه .

هذا ما يتذكره عبد القادر قدورة . ونحن بالفعل لعبنا دوراً في إنجاح رياض المالكي . وأنت تعرف أن رياض المالكي كان من حزب البعث ...

أما داخل البرلمان ، فقد تعاونت مع الكثيرين ، وقام التجمع القومي البرلماني ، وكان هذا شكلاً من أشكال الجبهة الوطنية.كان يتمثل فيه الحزب الشيوعي السوري وحزب البعث العربي الاشتراكي والكتلة الوطنية ، التي صار اسمها : الحزب الوطني بالإضافة إلى خالد العظم .

وعقدنا اجتماعات هذا التجمع في بيت خالد العظم ، وفي بيت صبري العسلي . وكان يحضرها ممثلون عن الجيش كأحمد عبد الكريم وأمين نفوري وعبد الحميد السراج ، وحضر عفيف البزري مرة واحدة كما أذكر !

وقد لاحظ دبلوماسي من إحدى السفارات الأجنبية في الشام ، وكان يحضر اجتماعات البرلمان ، أنه ، وعندما تعلن رئاسة المجلس عن دوري في الكلام ، فإن النواب الذين هم خارج القاعة يدخلون لكي يستمعوا إلى ما أقول باسم الحزب الشيوعي .

وقال لي أحد ضيوف المجلس ، وهو إما فرنساوي أو انكليزي ، لم أعد أذكر ، قال لي إنه أخبر ناظم القدسي رئيس المجلس ، إن النائب الشيوعي خالد بكداش يقوم وحده بدور محامي الأكثرية في المجلس . فهو يقترح الأشياء ، فيوافقون عليها ، وهذا معناه أن الأكثرية معه !

كانت تجري في المجلس أشياء طريفة ، وكان ناظم القدسي رئيس المجلس ذا شخصية جذابة ، وكنا نتبادل معه النكت . وذات مرة ، وكان ممثل الأخوان المسلمين النائب عبد الرؤوف أبو طوق يتحدث داخل الجلسة متهجماً على الشيوعيين . أنا كنت خارج المجلس ، خارج الجلسة يعني . كنت أدخن . وعندما أنهيت سيكارتي ، وعدت توقف أبو طوق عن الكلام لحظة دخولي . فقال له ناظم القدسي : اخلص ... جاء ... جاء ! فترك عبد الرؤوف أبو طوق المنبر !

وفي مرة ثانية ، قامت وزارة التربية والتعليم بتسريح بعض الرفاق الشيوعيين . فوقفت في المجلس ، وطالبت بعدم معاملة الناس حسب اتجاههم الحزبي بل حسب كفاءتهم . فقال ناظم القدسي : أي اتجاه يا أستاذ خالد ؟! فقلت : اتجاهي أنا ! رد ناظم القدسي بقوله : ولكن لا أحد يعترف باتجاهك !! فأجبته : الشعب اعترف بي ، وانتخبني عضواً في المجلس !

ليس هناك من شبه بين ناظم القدسي وخالد العظم . ناظم القدسي لم يكن يوازيه . كان يمينياً ، ولكننا كنا نتبادل النكت معه باستمرار ، كان شخصيةجذابة .

أما رشدي الكيخيا، الذي كان في تلك الأيام عضواً في البرلمان معنا فقد كنت أنا وخالد

العظم في خلاف دائم معه ومع جماعته ... تصور ، طلب مني عدم القيام بالدعاوة الشيوعية في مجلس النواب ، وهدد بالانسحاب من المجلس ، ولكني رددت عليه بشكل مناسب ، تحدثت حول الحرية ، حرية الرأي وحرية الناس ، وإثر ذلك قام جماعته بإرجاعه ، وعاد عن انسحابه !

أما عن الأخوان المسلمين فأنا لم ألتق مع عصام العطار ، ولم أتحاور مع الاخوان المسلمين ولكني ، وعلى ما أذكر ،التقيت بجوار المجلس بمصطفى السباعي . كان ذلك أيام العدوان الثلاثي على مصر .

الذي حصل ، أن فرزات المملوك ، وكان نائباً أيضاً ، كان ذا اتجاه يميني ... يميني جداً ! وفيما أعتقد ، كان له صلات مع الانكليز . وفي هذا الصدد ، لم يأخذ موقفاً ضد احتلال قناة السويس ! التقيت أنا ومصطفى السباعي وتحادثنا ، ومن جملة ما قاله لي : كيف يتجرأ فرزت المملوك ، ويأخذ هذا الموقف ؟! ألا يرى الرأي العام ؟ فقلت له : اذهب واسأله !

* * *

خلال وجودي في البرلمان ، التقيت مع جمال عبد الناصر . ففي تلك الأثناء أيده حزبنا تأييداً واسعاً . لقد ذهبت في عداد الوفد البرلماني الذي زار القاهرة . وقد استقبل عبد الناصر كل حزب من الأحزاب لوحده . وعلى هذا الأساس استقبلني في بيته . ودار الحديث بيني وبينه أكثر من ساعة : أيدت مواقفه ضد الاستعمار ، ولكني طلبت ديمقراطية أوسع . طلبت تعاوناً بين كل القوى الوطنية المعادية للاستعمار .

وبصراحة ، شكا لي عن الشيوعيين المصريين . قال : انظر يا خالد ، إنهم يطلبون مني زيادة الأجور ، وأنا كما تعرف وضعي ، لا يمكن أن يتم ذلك الآن . فقلت له : لابأس ، يمكن أن يطلبوا زيادة الأجور إذا توفرت الظروف لذلك .

إن عبد الناصر ، وخلال حديثي معه ، لم يأخذ موقف عداء صريح للشيوعيين . استمع إلي فقط ، طالبته بتوسيع الديمقراطية ، ولكنه لم يجبني لا سلباً ولا إيجاباً .

كان جمال عبد الناصر يقول إنه يثق بخالدين في الشرق الأوسط : خالد محي الدين وخالد بكداش . ولقد كان هذا اللقاء هو اللقاء الوحيد بيننا بشكل مباشر . طبعاً ما عدا الاجتماعات والحفلات .

ولكن ، وخلال الوحدة قاسينا ما قاسيناه ! في البداية حاولوا إغراء الحزب . فبعد زيارة عبد المحسن أبو النور إلى سورية جاؤوا وقالوا لي : أنه سيكون لي صفة كبيرة في دولة الوحدة . ولكن عليّ حل الحزب !

رفضت بالطبع . قلت لهم : لا يمكن ذلك ! فقالوا : طيب ، إنت اعملها صورة ، وفي الواقع لا تحل الحزب . فقط أعلن حل الحزب ، وقل لرفاقك إن هذا الكلام غير صحيح ... استمروا ! وأيضاً ، وبالطبع ، رفضت ذلك !

تخفيت مدة ، عدة أشهر . فعند إعلان الوحدة ذهبت سراً إلى تشيكوسلوفاكيا ، ثم عدت بعد تطمينات من الضباط . إلاّ أن خطاب جمال عبد الناصر في ٢٦ كانون الأول ١٩٥٨ في بورسعيد واتهامه للشيوعيين بأنهم عملاء دفعني مرة ثانية إلى التخفي .

بقيت في دمشق سراً ما يقارب السنة ، ثم ذهبت إلى موسكو في زيارة سرية ، وحصل ما حصل !

بدأت الاعتقالات فعلاً في ٣١ كانون الأول ١٩٥٨ كانت الاعتقالات بالمئات . ولكن الذي بقي في سجن المزة نحو مائة وعشرة أشخاص ، وخرج الباقون .

وأنت تعرف قصة فرج الله الحلو.كان هذا الرفيق ممتازاً جداً ، كان هادئاً دؤوباً شجاعاً ، اعتقلوه وعذبوه ، ثم ذوبوا جسده في الأسيد .

إنهم يقولون إن خالد بكداش يعرف كيف ينجو من الاعتقال . وهذا صحيح . لقد سألتْ إحدى الصحفيات زكريا محي الدين وكان وزيراً للداخلية : **هل تعتقد أنكم تستطيعون هذه المرة اعتقال خالد بكداش ، فقال لها : لاأعتقد .**

كنت آخذ الاحتياطات بشكل دائم . وعندما تأتي موجة الاعتقالات كنت أشمها . **فآخذ الاحتياطات** : البيت السري ... إلى آخره . لم أكن أنام في البيت . وفي أيام الوحدة جاؤوا إلى بيتي وما وجدوني ، كنت في بيت سري !

لم تكن الاعتقالات وحدها هي التي واجهتنا أيام الوحدة ، التسريحات أيضاً ، كان هناك قسم من الضباط الشيوعيين في الجيش بالإضافة إلى أصدقاء لهم .. لقد اعتُقلوا أو سُرحوا .

* * *

وعلى الرغم من الذي عاناه حزبنا أيام الوحدة فإننا نعطي جمال عبد الناصر حقه . فعندما علمت بموته عام ١٩٧٠ قلت : لَمْ يا أبا خالد ... ما عرفت أن تموت ... وليس وقت موتك الآن !

لقد بدأ جمال عبد الناصر في الفترة الأخيرة من حياته يقدر بشكل أحسن الوضع الدولي ، ومختلف الاتجاهات ، ودور الاتحاد السوفييتي ... وللأسف !في هذا الوقت مات !

ولو كان جمال عبد الناصر حياً الآن ، لقلت له : إنك عملت جيداً في وقوفك ضد المخططات الاستعمارية ،لكنك أخطأت بأنك قرنت ذلك باضطهاد الشيوعيين والتقدميين ... هذا ما كنت سأقوله .

* * *

أنا لا أعرف كيف مات جمال عبد الناصر ؟! جاءته أزمة قلبية في المطار ، وعوضاً أن يجروا له العمل المطلوب ، وذلك يتطلب البقاء ساكناً في مكانه ، أو يستلقي ممنوعاً عن الحركة ، عوضاً عن ذلك وضعوه في سيارة ، وأخذوه إلى البيت . أي عكس ما يجب أن يتم ، فهلك قلبه ومات ... هل هذه صدفة أم عمل مقصود ؟!

أنا أصبت بنوبة قلبية . وكان الأطباء هنا والأطباء الذين جاؤوا من الاتحاد السوفييتي يقولون لي : ابق بلا حركة ! وبقيت على السرير مدة ٣ أسابيع بدون حركة !!

جاءت النوبة القلبية لجمال عبد الناصر ، فنقلوه !! هل هذا العمل نتيجة جهل ، أم مقصود ؟!!

* * *

أتذكر حادثة جرت في الملعب البلدي أثناء تأبين عدنان المالكي . كان اجتماعاً شعبياً كبيراً . وخطب فيه الشاعر محمد مهدي الجواهري . في ذلك الاجتماع حاول بعض المنتمين إلى الإخوان المسلمين اغتيالي . صارت ضجة عندما انتهى الاجتماع ... عملوا فوضى . وباعتقادهم ، أنه وفي أثناء هذه الفوضى يطعنونني بخنجر. وينبغي القول أن أحد رجال الدرك ، وهو سعيد ايزولي ، وكان عريفاً ، حماني بجسده ، وعانقني ، ثم مشى معي إلى خارج الملعب .

هذه مسائل تحدث ، وفي إحدى المحاكمات تم الاعتراف على قائمة الناس الذين يجب اغتيالهم . كان بينهم أكرم الحوراني وأنا وأسماء أخرى .

* * *

عندما وقع الانفصال ، كنت خارج البلاد . فطلبت من الحكم الذي قام في سورية الموافقة على عودتي إلى البلاد ، فلم يستجيبوا ! رفضت السلطة عودتي ... ولهذا عدتُ إلى البلاد سراً .

لقد قال عبد الكريم زهر الدين رئيس الأركان آنذاك ، إنه إذا عاد خالد بكداش إلى سورية ، فإن حبل المشنقة ينتظره ! قال ذلك ، لأنه لا يريد وجود حزب شيوعي في سورية . لم يكن جميع من في الحكم أيام الانفصال ديمقراطيين .

ومع ذلك جئت إلى سورية.أتيت من براغ على متن الطائرة التشيكية المسافرة إلى بغداد . فمنعوني من النزول في دمشق ، ولذلك توجهت بي الطائرة إلى بغداد . وهناك نزل كل الركاب منها ، وبقيت أنا فيها !

أرسلت الحكومة العراقية رئيس جهاز الأمن . قال لي هذا الرجل : حجزنا لك غرفة في فندق ... انزل ! اعتبر نفسك ضيفاً على الزعيم عبد الكريم قاسم !

ولكني رفضت النزول ، وبقيت في الطائرة التي عادت ثانية إلى براغ عبر دمشق ، كان التوتر شديداً بين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي ، فما أردت أنا ، كشيوعي ، أن أكون ضيفاً على حكم يقمع الشيوعيين !

* * *

لقد دخلت إلى دمشق سراً ، وذلك أيام حكومة بشير العظمة ، وبقيت فيها من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٤ وطيلة هذه الفترة لم يكتشف مكاني .

وعندما قامت حركة ٨ آذار حوصر البيت الذي كنت أتخفى فيه لوجود ضباط انفصاليين في نفس البناء . ولكني خرجت خفية ، ولم ينتبه أحد !

في ذلك الوقت كان الحزب الشيوعي السوري يتتبع ما يجري في البلاد . ثم بدأ يتعامل مع التيار الذي جاء بتأميمات ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ . ومن المعروف أن هذا التيار هو الذي قام بحركة ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ .

اعتبرنا هذه الحركة عندما قامت،من الحوادث التي يمكن أن تجري في أي حزب

سياسي ، وانتظرنا ما سوف تسفر عنه . وبالفعل لقد شارك وزير شيوعي في أحد حكوماتها هو سميح عطية .

وعقدت حكومة ٢٣ شباط اتفاقات مع الاتحاد السوفييتي . وأول هذه الاتفاقات هي اتفاقية سد الفرات .

* * *

قبل هذه الحركة سافرت إلى موسكو وهناك التقيت مع أحد المسؤولين السوريين . كان اللقاء معه ودياً . وأتذكر أنني طلبت منه العودة إلى الوطن ، وقلت له :

ـ اشتقت إلى دمشق ، اشتقت حتى إلى الغبار في ركن الدين !

فقال لي هذا المسؤول :

ـ لم يعد الغبار موجوداً في ركن الدين . لقد عبّدنا الطرقات !

وفي الواقع إنني عدت إلى دمشق عندما قامت حركة ٢٣ شباط . عدت إليها سراً ، ومنها أعلنت عن عودتي !

* * *

الحركة التصحيحية

□ لقد أثارت الحركة التصحيحية التي قامت في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٧٠ جدلاً وصراعاً داخل الحزب الشيوعي السوري ، بشأن الموقف منها .

وقبل الانتقال للحديث عن هذه الحركة ، أود السؤال عن العلاقة الشخصية التي تربط الأمين العام للحزب الشيوعي السوري بالرئيس حافظ الأسد الذي كان وزيراً للدفاع !

□ □ بالفعل ، بدأت علاقتنا منذ كان وزيرا للدفاع ... التقيت معه في بيته ، وتحدثنا في أمور مختلفة . وجدنا أن بيننا الكثير من نقاط الالتقاء ، ومنذ تلك الأيام استمرت هذه العلاقة . لم يزرني في بيتي . ولكنه ، وعندما أصبت باحتشاء في القلب ــ الجلطة ــ وكان يومها وزيراً للدفاع بعث لي سلة ورد مع أحد الضباط الذي أرسله كمندوب عنه .

وبدون شك ، برهن الرئيس الأسد عملياً ، بأنه وطني ، وأنه رجل دولة قادر وكفء . ينبغي القول إن قيام الجبهة الوطنية التقدمية كان بمبادرة شخصية منه ، ولقي الصعوبات الكثيرة في هذا المجال . لقد كانت المشكلة الكبرى هي إقناع الآخرين بقيام الجبهة الوطنية التقدمية حتى في حزب البعث !

كان حافظ الأسد رجلاً في هذا الموضوع أيضاً ، ولذلك ، نحن نذكر دائماً في أدبياتنا وتصريحاتنا بأن الجبهة الوطنية التقدمية قامت بمبادرة من الرئيس الأسد .

وكان قيام الجبهة الوطنية التقدمية حدثاً كبيراً كان له الصدى العظيم في البلدان

العربية ، وعلى النطاق العالمي ، وخصوصاً في البلدان الاشتراكية . وعزز موقف سورية الدولي .

وإثر ذلك جرت محاولات لقيام جبهة من هذا النوع في عدد من البلدان العربية .

□ عندما التقيت بالسيد الرئيس ، وكان وزيراً للدفاع . هل شعرت أنه ينوي القيام بعملية تغيير جديدة في سورية .

□ □ لمست من أحاديثه ، بأنه غير مسرور من كل ما يجري . بعض الأشياء كانت تزعجه . وعرفت فيما بعد ، من أناس مقربين منه ، بأنه يسعى لإنقاذ الوضع ... وهؤلاء ، سألوني : مارأيك ؟ فقلت لهم : الله يوفقه ... نتمنى له التوفيق !

ولكن وعندما قامت الحركة ، صار عندنا في الحزب الشيوعي السوري تردد وتساؤل . إلاّ أنه وبعد عدة أيام صدر بيان القيادة القطرية المؤقتة في ١٦ تشرين الثاني . وعندما قرأنا البيان قررنا تأييده ، لقد أعجبنا البيان لأننا لم نكن نعرف اتجاه الحركة ، قبل صدوره . وهنا لا بد من الإشارة ، إلى أنه قد نزل العديد من رفاقنا في حلب ، وهنا في دمشق ، مع البعثيين السابقين . وكان هؤلاء قد طلبوا منا التظاهر معاً ، والوقوف بوجه الحركة التصحيحية ، ولكن وعندما صدر البيان أصدرنا قراراً بتأييده .

أنا من جهتي لم أكن متحمساً للمشاركة في التظاهرة . كان شعوري أنه وطني ، رجل وطني . فقلت : يجب أن لا نشارك بهذا العمل ، يجب أن ننتظر ... نتريث . وطلع التريث مزبوطاً(*) .

وفيما بعد التقيت معه في مبنى مجلس الوزراء . وكان الرئيس الأسد رئيساً لمجلس الوزراء . قلت له : نريد وزيرين في الحكومة ! فقال : إنك تحرجنا بذلك يا أبا عمار ، لأن الأحزاب الأخرى تريد أن تأخذ حقائب وزارية أيضاً ... فقلت : وزير بحقيبة ، ووزير بدون حقيبة . فقال لي : والله هذا حل ! ثم التفت إلى محمود الأيوبي ، الذي كان موجوداً أيضاً ، وقال له : هذا حل ! وفعلاً ، شاركنا بوزيرين(**) .

وإلى الآن ، تجري لقاءات معه ، إما خلال اجتماعات الجبهة ، أو فيما بيننا ، والحديث خلال هذه اللقاءات يتم بصراحة !

□ تصاعدت الأحداث الداخلية في سورية في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات أي منذ مجزرة المدفعية بحلب عام ١٩٧٩ . وقد تعرض الحزب الشيوعي إلى هجمات شديدة من قبل حزب الأخوان المسلمين ... كيف تتذكرون الآن هذه الأحداث ؟

(*) عند صدور قرار المشاركة في هذه المظاهرات ضد الحركة التصحيحية . اتخذ المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري هذا القرار بأغلبية ٥ أصوات ضد صوتين . وكان خالد بكداش ويوسف فيصل من المعارضين لهذا القرار ، بينما كان دانيال نعمة وإبراهيم بكري ورياض الترك وظهير عبد الصمد وعمر قشاش من المؤيدين له .

(**) عندما وضع ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية ونظامها الداخلي ابدى الحزب الشيوعي السوري تحفظاته حيالهما لوجود ما اسماه ، بثغرات ونقاط ضعف ، غير اساسية في هاتين الوثيقتين .

وقد نقلت هذه التحفظات إلى السيد الرئيس حافظ الأسد . خلال لقائه مع وفد الحزب الشيوعي السوري المؤلف من : خالد بكداش ـ إبراهيم بكري ـ دانيال نعمة ـ يوسف فيصل ـ موريس صليبي ـ بدر الطويل .

□ □ مضت آثار هذه الأحداث باعتقادي ، ولكن لابد لكل مناضل وطني أن يتذكرها باستمرار وأن يسعى أن لا تتكرر مثل هذه الحوادث في حياة بلادنا .. وهذا ما يسعى إليه حزبنا الشيوعي .

□ هناك بعض الاتجاهات تقول إن القطاع العام كان عبئاً على الاقتصاد الوطني في مراحل معينة . وقد طرحت مسألة بيعه أكثر من مرة ... أنت ماذا تقول ؟

□ □ إننا نؤيد القطاع العام . بل ونقف ، وبشكل قاطع ضد التفريط به .

القطاع العام ضروري ، ويقوم بدور إيجابي كبير ، فيما يتعلق بتوطيد الوضع الحالي في سورية . إن الوضع في البلاد بدون القطاع العام يصبح أكثر سوءاً . سواء فيما يتعلق بتطور ونمو الانتاج ، أو فيما يتعلق بالوضع المعاشي للجماهير . هذا هو رأينا بصراحة !

□ أنتم تستعملون مصطلح البرجوازية الطفيلية وفي مصر يستعملون مصطلح القطط السمان ... من أين جئتم بهذا المصطلح ؟

□ □ تقريباً المفهوم المصري ومفهومنا يحملان نفس المعنى ... إن مصطلح البرجوازية الطفيلية يعني الجماعات أو الفئات التي لا تشارك في عملية الانتاج بتاتاً ... ومع ذلك تجني أرباحاً طائلة عن طريق السمسرة والتهريب والصفقات مع بعض فئات الرأسمال الاحتكاري الإمبريالي العالمي . إن البرجوازيين الطفيليين لا يشتركون في الانتاج الصناعي، ولا في الانتاج الزراعي، ومع ذلك يربحون أرباحاً هائلة! وهؤلاء هم من نسميهم البرجوازية الطفيلية، والبرجوازية الطفيلية ليست موجودة في الحكم، بل هناك في أجهزة الحكم عناصر برجوازية بيروقراطية وهي مرتبطة بالطفيلية ارتباطاً وثيقاً .

□ هل البرجوازية الطفيلية طبقة متجانسة ؟

□ □ ليست طبقة متجانسة ، هي شريحة طبقية أو فئة ، نفس الشيء ... وخطرها لازال يكمن في المجتمع !

□ هل يمكن أن تتحول إلى فئة منتجة ؟

□ □ إذا ساهمت في تطوير الانتاج الوطني لا نقف ضدها .

لقد حدثت لي بعض المناقشات مع بعض المنظرين في الميدان الدولي . قالوا : إن كل برجوازية هي طفيلية ، كل برجوازية تستولي على القيمة الزائدة تكون طفيلية . أجبتهم : إن هؤلاء لا يساهمون في الانتاج بتاتاً . ليس عندهم سوى مكتب وتليفون . يقومون بتنظيم الصفقات سواء داخلياً أم خارجياً ، هؤلاء نسميهم : طفيليين ، لأنهم يأخذون قسماً كبيراً من فائض القيمة أو القيمة الزائدة دون أن يعملوا أي شيء في الانتاج .

وكما تعلم ، إن من جملة الأشياء التي كشفها ماركس هي القيمة الزائدة ، وماركس تساءل : من أين يأتي الربح البرجوازي ؟ من أين يأتي ربح صاحب المعمل ؟ من أين يأتي هذا ؟

وطرح ماركس نظريته المعروفة . وهي أن العامل عندما يعمل ينتج أكثر مما يلزم لحياته واستمراره ... إن هذا القسم الزائد الذي ينتجه العامل يأخذه الرأسمالي ، ويسميه ربحاً !

والاشتراكية معناها أن هذه القيمة الزائدة التي ينتجها العامل يجب أن تذهب لخير الشعب كله ، وليس كربح للرأسمالية . هذا هو الواقع . لذلك فالقول إن البرجوازية عموماً هي طفيلية ... صحيح . ولكن لا نسميها عندئذ طفيلية . نسميها : البرجوازية الاستغلالية . أما الطفيلية ، فهي بالمعنى الذي قلته لك . ومن جملة مميزات البرجوازية الطفيلية : الصلة مع الاحتكارات العالمية والأجنبية ، والبرجوازية الطفيلية شريحتها الأولى هي : الكمبرادور . والكمبرادور محتوى في البرجوازية الطفيلية .

* * *

□ ذات مرة ، قلت أنه لو ارتكز الحزب الشيوعي السوري على الوضع الداخلي لكان في المعارضة . إلى أين وصلتم في هذا الموقف ؟!

□ □ لو انطلق فقط من الوضع الداخلي لكان في المعارضة . ونعني بذلك ضرورة الاهتمام الجدي بقضايا الشعب المعاشية . هذا ما كنا نعنيه ، لأننا لم نكن نأخذ في عين الاعتبار فقط الوضع الداخلي ، نأخذ أيضاً ، وخصوصاً : السياسة العامة،أي السياسة الوطنية السورية .

إننا نؤيد الانجازات التي تحققت . مثلاً : فيما يتعلق باستصلاح الأراضي ومشاريع الري وتطوير الكهرباء ... وتأمين مياه الشرب والكهرباء للعديد من القرى ... وغيرها من الانجازات التي نؤيدها طبعاً ..

وفي الوقت نفسه نريد أن ينعكس ذلك كله على مستوى معيشة الشعب .

* * *

□ في بلدان العالم ، وفي سورية خاصة ، ظهرت اشكال من المعارضة لا توافقون عليها ... فإما أن تكون يسارية مغامرة ، أو تكون إرهابية يمينية . كيف يريد الحزب الشيوعي السوري لهذه المعارضة أن تكون ، فيما لو حصلت ؟

□ □ فيما لو حصلت سوف ترونها ، ونأمل ألا تحصل !

□ سأعيد السؤال بصيغة أخرى : هل ترى إمكانية لقيام معارضة سلمية ؟

□ □ المعارضة يمكن أن تكون على نوعين : نوع يرمي للقضاء على الحكم بمختلف الوسائل بما فيها الإرهاب . ونوع يعمل لأجل تعبئة جماهير الشعب والقوى الخيرة في سبيل اتخاذ تدابير لأجل تحسين مستوى الشعب المعاشي . يعني ليست ضد الحكم ... إنما تتحدث عن مطالب الشعب في ظل الحكم .

ومن جهتي ، قلت في أحد الاجتماعات الأخيرة للقيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية بأنه لا ينبغي أن نترك اليقظة والحذر لأن عناصر الرجعية ، ومن جملتها : الأصوليين . يمكن أن يركبوا موجة الإستياء الشعبي من الوضع المعاشي . وهذا يجب أن لا يحدث !

ولذلك ، وكما قلت ، أن لدينا اهتماماً جدياً للوضع المعاشي .

هناك من قال إنه لا توجد معارضة للحكم في سورية . والآخرون أيدوا ما أقول . ولكنهم طلبوا أيضاً الاهتمام بالوضع المعاشي .

□ **في الدول الغربية توجد معارضة برلمانية . هل ترى أن الحزب الشيوعي السوري يمكن أن يلعب هذا الدور في مجلس الشعب ؟**

□ □ رفاقنا في مجلس الشعب يؤيدون السياسة العامة السورية ، ويدافعون في الوقت نفسه عن مطالب الشعب . رفاقنا صوتوا مع جميع أعضاء مجلس الشعب على تجديد الدورة الدستورية الجديدة للرئيس حافظ الأسد . ولكن رفاقنا يطالبون بتحسينات في الوضع المعاشي ... إلى آخره .

□ **هي مسائل مطلبية أم معارضة سلمية برلمانية ؟**

□ □ لسنا في المعارضة !

نحن مؤيدون ، ولكن هذا لا يعني بأننا نسكت عن مطالب الشعب . وهذا ما قلته للرفيقين عبد الله الأحمر وعبد الحليم خدام أثناء أزمة الحزب الأخيرة .

□ **السيد الرئيس قال في أحد خطبه إن الحرية صيغة . هل تتوافق الصيغة التي يراها الشيوعيون السوريون مع صيغة حلفائهم في الجبهة الوطنية ...**

□ □ نحن بصراحة نطالب بتوسيع الديمقراطية لجماهير الشعب ولقواها الوطنية والتقدمية ... لماذا مثلاً : حزب كالحزب الشيوعي السوري ، وهو حزب موجود في القيادة المركزية للجبهة : له ممثل في الحكومة ، له أعضاء في مجلس الشعب ، له ممثلون في مجالس الإدارة المحلية ، وليس عنده جريدة علنية ، لماذا ؟

□ **ولكنك طالبت بصحافة علنية في كلمتك أمام المؤتمر السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي .**

□ □ لم نحصل عليها ، وسنتابع النضال في سبيلها .

□ **هل تتوقع إمكانية تحقيقها في المدى المنظور ؟**

□ □ كل شيء ممكن . وأقول لك بصراحة : هناك بعض الرفاق من أعضاء الجبهة الوطنية التقدمية يعتقدون أن الوضع الديمقراطي وضع كامل . نحن لا نعتقد ذلك . نطلب توسيع نشاط الجبهة . وينبغي أن نلاحظ أن القوى الرجعية ، ومن جملتها الأصولية ، تتمتع بديمقراطية واسعة منهم من يستغلون المساجد والحفلات والزيارات ، إلى آخره ...

□ **أنت تقول توسيع الديمقراطية لجماهير الشعب ولقواها الوطنية والتقدمية . هل تشمل هذه الدعوة الأحزاب والقوى الموجودة خارج الجبهة ؟**

□ □ بدون شك ، هناك فئات وجماعات وطنية وتقدمية خارج الجبهة . وكل أعضاء الجبهة يعترفون بذكل . ولكنهم لم يقيّموا هذه القوى ، ولم يفتح ملفها في القيادة المركزية .

□ **هل تشمل دعوتكم لتوسيع الجبهة ادخال هذه القوى ؟**

□ □ لماذا ؟.. يمكن دائماً توسيع الجبهة .. يمكن ... مثلاً يوجد ممثل لاتحاد نقابات العمال ، وممثل للاتحاد العام للفلاحين . لماذا لا يوجد ممثل عن النساء ؟ لماذا لا يوجد ممثل للشباب ؟ لماذا لا يوجد ممثل لرجال الدين التقدميين ؟

□ **هل يوجد رجال دين من هذا النوع ؟**

□ □ نعم ... مفتي الجمهورية أحمد كفتارو مثلاً .

□ **هل تعتبرونه قوة سياسية منظمة ؟**

□ □ والله لا أدري مدى تنظيمهم ... ولكنهم قوة موجودة !

□ **هل تعتبرونهم قوة وطنية ؟**

□ □ قوة ذات اتجاه وطني .

□ **هل الصحافة التي تطالبون بها هي فقط لأحزاب الجبهة ؟**

□ □ على الأقل لأحزاب الجبهة .

□ **لقد حاول عمران أدهم إقامة حزب ديمقراطي في سورية يشارك فيه رشدي الكيخيا ، كيف تفسرون هذه المحاولة ؟**

□ □ هذه الدعوة مثل حصان طروادة !

□ **الآن يقول شعاركم : إن سورية لن تركع ! ماذا حول هذا الشعار ؟**

□ □ والله ... هناك كلمة للجنرال شارل ديغول ، تعجبني ، وذكرتها عدة مرات ... الجنرال ديغول قال : واهماً من يعتقد أو يظن أن من الممكن إخضاع سورية . هذا الرجل من أهم ممثلي البرجوازية الفرنسية . قال ديغول هذا القول على أساس تجربة الفرنسيين في سورية . لقد اضطرت فرنسا إلى إرسال مائة وخمسين ألف جندي لقمع الثورة السورية ... وكان عدد سكان سورية آنذاك ٣ ــ ٤ ملايين نسمة !!

القسم الثاني

الحوار



حريق
الثلج السوفييتي

في تلك الأمسية الباردة ، التي ذهبت فيها إلى بيت خالد بكداش للحديث معه عما جرى في الاتحاد السوفييتي . كانت دمشق ترتدي ثوباً أبيض سميكاً من الثلج لم ترتد مثله من قبل !

لقد ذكرتني هذه الثلوج بموسكو ، التي كانت في ذلك الوقت تعيش شتاءها البارد الأول بعد ميخائيل غورباتشوف . وكان أبناؤها يتهيؤون للتظاهر احتجاجاً على كل شيء جلبته لهم البيريتسرويكا !!

وبالطبع ، تذكرت نابليون ، وكيف هزمته موسكو ... تذكرت الجيوش الجرارة لهتلر التي هزمتها موسكو ... تذكرت الملايين الذين ماتوا من أجل هذه المدينة ... وسألت نفسي : « بعد كل صمود هذه المدينة ، أيمكن أن تنتصر مرة أخرى ، على ما يحيق بها اليوم ؟! » . وقلت : إن هذا يرتبط بمصير ثورة أكتوبر كلها .

وخطر لي سؤال آخر : إذ أنه ، ويوم كان لينين ساهراً في الكرملين يكتب المراسيم الأولى للثورة عام ١٩١٧ هل كان يتوقع أن هذه الثورة ستصل إلى ما وصلت إليه في تسعينات هذا القرن ؟!

وكنت أعرف كل شيء عن تحذيراته بشأن الثورة المضادة التي يمكن أن تهدد النظام الاشتراكي . وكنت أعرف ما قاله ستالين لرومان رولان الذي جاء ليعرب له عن مشاعر القلق بشأن التنكيل والاضطهاد الذي كان يجري في الاتحاد السوفييتي

إن ستالين الذي لم يكن يتصور ما سوف يحدث في ثمانينات وتسعينات هذا القرن، أخبر رومان رولان أن هناك أعداء سريين للسلطة السوفييتية، وان مؤامرات تكشف من حين إلى آخر.

ولو كان ستالين يتوقع حجم الذي سيجري، ما الذي كان سيفعله في ذلك الوقت؟!.

أسئلة تطرح الآن دون جدوى، فلقد تمدد الأعداء الذين حذر منهم لينين.. وانفضح أولئك الذين وصفهم ستالين بالسريين.. وراحت ثورة اوكتوبر تتلقى ضربات أعدائها القاسية!!.

وفي كل يوم نعيش في ظل هذه الظروف تتكشف أشياء جديدة كنا نجهلها، وتتضح أشياء كانت غامضة لنا.

وننتظر.. نحاول، بدأب، أن نقرأ كل شيء يحدث الآن، ونقاربه بما جرى في الماضي، لعلنا نصل إلى الاجابة الشافية!!.

* * *

وذهبت إلى خالد بكداش . كنت أهجس بما سوف يقوله لي ، وكنت أتقافز فوق كتل الثلج التي تراصت في شوارع دمشق تذكرني بموسكو .

وعندما دخلت إلى بيته ، في المزة ، قرب جامع المحمدي لفت انتباهي أن الصالون الذي نجلس فيه كان بلا ستائر تغطي نوافذ البيت الكثيرة !

فأحسست بقشعريرة ، رغم وجود التدفئة المركزية ، إلاّ أن تصوري للحديث الحار عن أحداث الاتحاد السوفييتي خفف قليلاً من تلك القشعريرة ، وأدخل في صدري شيئاً من الاطمئنان .

وجاء خالد بكداش بطوله الفارع ، تساعده زوجته السيدة وصال . قمت على الفور احتراماً له ، ومددت يدي لمصافحته ، ولكني رأيت من خلفه صورة حفيدته الصغيرة دارية تضحك بطفولة ، وكأنها تقول لجدها :

ـ لقد احترق الثلج السوفييتي يا جدي !

إلاّ أن خالد بكداش ، صافحني ، وجلس على الكنبة الحمراء ، المجاورة لي ، ولم ينتبه إلى خواطري مع صورة دارية !!

وابتدأ الحوار ، وكان حواراً ساخناً .

قلت لخالد بكداش :

□ أرجو أن تكون صحتك جيدة .

وبالطبع ، أنا أشكرك ، وكل من سيقرأ ، أو سيسمع هذا الحوار ، سيشكرك أيضاً . لأنك ورغم وقتك الثمين ، وصحتك التي لا تسمح بذلك ، وافقت على هذه اللقاءات ..

وأنا صحفي . أجيء إليك ، بعد زمن طويل ، من الرغبة في لقائك ، وأفرح الآن لأن رغبتي تحققت . ولكني ، يا سيدي ، سأكون صريحاً معك منذ البداية ، فأنا هتفت ضدك منذ زمن طويل ... خرجت مع تلاميذ المدارس في دمشق ، بعد الانفصال ، وصحنا في الطرقات ، ونحن نطالب بعودة الوحدة مع مصر :

لا دراســـــــــة ولا تـــــــدريس إلاّ بـــســعـــــــــودة الـــــرئـــــيس
بـــكــــداش خــبّــر مـــوســــكـــــو ســـــــــوريّـــــة عـــربـــيّـــــة

هذا يعني الكثير ...

هذا يعني أنك كنت متهماً بالتبعية إلى موسكو ... إنك ضد الوحدة . إنك ضد العروبة ، أي أن مجموعات واسعة من الشعب كانت ضدّك . وهذا يعني في الوقت نفسه ، أنك رمز من الرموز السياسية الهامة في سورية ...

بهذا الشيء يرتبط اسمك في ذاكرتي .

اسمح لي !

فأنا لدي أسئلة كثيرة ، أحملها من الشارع السياسي والشعبي . وربما تكون أنت ، قد أجبت على بعض منها ، ولكن بطريقة رسمية . أما أنا ، فأريدها عفوية ... أريدها وصية من رجل سياسي هام مثلك !

جئت إليك ، أنت الرجل السياسي ، المعروف بالمحنك ، والذي أسميته ذات مرة : أبو الشيوعيين السوريين ، مثل بليخانوف أبي الماركسية الروسية . جئت إليك لأسألك :

ما الذي جرى معك بعد أكثر من ستين عاماً من الشيوعية ؟

أرجوك . افهمني ! فكل المهتمين يسألونك هذا السؤال . وأنا خائف من المستقبل . وفي هذا المستقبل يبدو أن هناك أفولاً للشيوعية في العالم !!

* * *

وصمت خالد بكداش !

هاهو الرجل الذي بحثت عنه طويلاً ، لأتحدث معه بصراحة ، يصمت منذ السؤال الأول !!

واشتعلت هواجسي : ترى أيرفض الإجابة على تساؤلاتي ؟ لماذا يصمت ؟ هل هو يفكر ؟ هل سيدفع بالأوراق الموجودة أمامي على الأرض ، ويطردني ؟!

وطال صمته . ازدادت التساؤلات في رأسي ، وكنت أنظر إليه مرتبكاً ، وأسأل : « أيكون جوابه صمتاً ؟! » وتذكرت صموئيل بيكيت ، عندما قال : إن الصمت خير وسيلة للاحتقار !! تذكرت كل ما قيل عن خالد بكداش دفعة واحدة ، فرحت أتأمله بحذر !

كان ينظر أمامه باستقامة ، وأنا الذي أنتظر إجابته مهملاً إلى جانبه الأيسر ... أراقب تعابير وجهه وانتظر !

مضت الدقيقة الأولى والثانية . عندما أشعل سيكارته ، بعد أن وضعها في مشرب أسود أنيق . وفي تلك اللحظة فقط توقعت أنه لن يطردني .

كان وجهه ودوداً . وشعره الأسود الذي مشطه الشيب يتماوج لماعاً ذاهباً إلى نقرته ، فيعطيه جمالاً خاصاً يتميز به الآباء ...

التفت إليّ ، يالهذا الوجه كم يبدو صلباً ، رغم الشيخوخة التي أصابته .. دقيقتان وأنا أنتظر ، وهاهو يلتفت إليّ ! ترى ماذا سيقول ؟

رسم الزمن على وجهه خطوط سنواته الآفلة كشجرة سنديان عتيقة ، ومن حاجبيه رأيت مرارة السنين ، وعلى وجنتيه تجعدت صفحة من صفحات التاريخ ... وأخذ يتحدث ...

□ □ سؤالك هام طبعاً ... خصوصاً بما يتعلق بما جرى مؤخراً ، وبما يتعلق بالمستقبل .

حول الموضوع الذي يسمونه : المتغيرات . إنه شيء لا يسر أي مناضل يطمح إلى سيادة مبادىء الحرية والسلام ، واستقلال الشعوب جميعاً ، والحرية للإنسان .

هناك جو من الأسف ، ليس بيننا نحن الشيوعيين فقط . بل بين أوساط واسعة من الوطنيين والتقدميين . ولكن التاريخ يبين لنا أن مثل هذه الأحداث يمكن أن تجري ، بعد كل ثورة ، تؤلف بالنسبة للنظام الذي سبقها تغييراً ... لنأخذ مثالاً : الثورة الفرنسية !

لقد جرت في الثورة الفرنسية انتكاسات عديدة بعد حدوثها ، ولكنها في النهاية ، شكلت بمبادئها تقدماً بالنسبة للنظام الإقطاعي الذي سبقها ... سادت مبادىء الثورة الفرنسية ، وانتشرت تقريباً في كل أنحاء العالم .

ولذلك أنا مثلاً ، مثلي ، مثل جميع الشيوعيين المؤمنين بالماركسية ـ اللينينية لا ننظر إلى المستقبل بتشاؤم .

نفض خالد بكداش سيكارته التي زاد رمادها . وارتحت أنا بعد هذه البداية في الحديث ، ثم سمعته يقول :

□ □ إن الاشتراكية ، أو الفكر الاشتراكي العلمي ، ليس نتيجة تصور شخصي ، أو هم شخصي ، عند هذا المناضل أو ذاك ، مهما كبر اسمه ! إن فكر الاشتراكية العلمية هو نتيجة للتطور الموضوعي للنظام الرأسمالي نفسه . إن تحليل النظام الرأسمالي تحليلاً علمياً وعميقاً ، أدى بماركس وانجلز إلى استنتاج المفهوم المعروف ، بأنه لا بد أن يحل محل الرأسمالية النظام الاشتراكي .

درس ماركس وانجلز التناقضات في النظام الرأسمالي ، تطور القوى الاجتماعية ، وانتهوا إلى النتيجة المعروفة التي اعتنقها وطورها ، فيما بعد ، لينين .

وأضاف خالد بكداش بتصميم :

□ □ إن دوام الرأسمالية شيء غير ممكن موضوعياً ، غير مقبول إنسانياً . هل يمكن أن يدوم إنسانياً ، وإلى الأبد استثمار الإنسان للإنسان ، واستعباد شعب لشعب ؟ هل يمكن أن يستمر ذلك إلى الأبد ؟! هذا غير معقول .

أنا باعتقادي ، واعتقاد جميع رفاقنا من جماهير الحزب ، وقيادة الحزب الشيوعي السوري ، أن الاشتراكية حية قوية ، وسوف تنتصر في العالم أجمع .

كيف ؟ هذا يتعلق بالوضع الخاص لكل بلد . لكل أمة . لينين يقول : إن جميع الشعوب ستأتي إلى الاشتراكية عاجلاً أم آجلاً ، بهذا الشكل أو ذاك .

وتابع خالد بكداش متسائلاً :

□ □ هناك سؤال : إن الرأسمالية ، انتصرت على النظام الإقطاعي وحلت محله ، ولكنها لم تستطع أن تزيل الإقطاعية من العالم . وتبين بالتجربة العملية أن الإقطاعيين أنفسهم ، هم الذين تآلفوا مع النظام الرأسمالي . وتحولَ الإقطاعي إلى رأسمالي زراعي . فهل يمكن أن يتحول الآن : الرأسمالي إلى اشتراكي ؟! ربما هناك من يتوهمون إمكانية ذلك !

لقد تساءل ميخائيل غورباتشوف : هل يمكن أن تعيش الرأسمالية بدون استعباد الشعوب الأخرى ؟ بدون استثمار الشعوب الأخرى ؟ وأجاب : هذا ستكشفه الحياة ! أي أنه تصور أن ذلك ممكن !

نعم . يمكن أن يمنع اضطهاد البلدان الرأسمالية الكبرى من استعباد الشعوب الأخرى ، ولكن ذلك يكون نتيجة نضال الشعوب نفسها ضد هذا الاضطهاد . لا بطيبة خاطر الرأسمالية ، في تلك البلدان المتقدمة .

من الواضح الآن ، أن حركة التحرر الوطني ، مستمرة في جميع أنحاء العالم . أما النضال في سبيل مثل الاشتراكية ، فهو مستمر أيضاً في العالم بأسره ... مستمر في الاتحاد السوفييتي ... مستمر في البلدان الاشتراكية ... أوربا الشرقية سابقاً ، مستمر في البلدان التي لا تزال رأسمالية ، وباعتقادنا ، فإن هذا النضال مكتوب له النصر الأكيد !

وقال خالد بكداش بإصرار :

□ □ لا مجال لليأس !

يمكن للإنسان أن يتردد ... يتساءل ... يأسف . ولكن لا مجال لليأس والإحباط !!

وبعد فترة من الصمت أطفأ سيكارته وأضاف :

□ □ والآن ... الاتحاد السوفييتي ... الشيوعيون الماركسيون – اللينينيون ينظمون أنفسهم ... يسعون إلى توحيد كلمتهم ... تنظيماتهم . ويعملون كثيراً للوقوف بوجه المحاولات القائمة لإرجاع الرأسمالية إلى الاتحاد السوفييتي ...

ثم تساءل ، وعيناه تشردان في البعيد :

□ □ كيف حدث ذلك ؟

والتفت نحوي قائلاً :

□ □ حدث ذلك ، لأن الأجيال الجديدة الواسعة في الاتحاد السوفييتي ، لم تعرف النظام الرأسمالي . عاشت في ظل النظام الاشتراكي ...

لقد عملت الدعايات الصهيونية ، ودعايات المرتدّين والمنحرفين ، بالإضافة إلى الدعايات الإمبريالية . كل هذه الدعايات عملت بجد ، بشكل واسع ، من أجل إيهام هذه الأجيال أن الرأسمالية مزدهرة ... وإلى آخره ...

وقال ، كأنه تذكر شيئاً :

□ □ أنا كنت في الاتحاد السوفييتي منذ فترة . المخازن في موسكو فارغة من البضائع . والتلفزيون السوفييتي في موسكو ، وفي أحد الأمسيات ، عرض مناظر من

لندن ، ثم من باريس ، ثم حتى من مدريد . وبيّن فيها أن المخازن مملوءة بالبضائع ، بالخضر ، وبالفواكه ، وكأنهم يريدون القول : انظروا ! حالتنا هنا غير ذلك ... مخازننا فارغة ، بينما مخازن البلدان الرأسمالية مليئة .

لقد عرضوا بعض المتنزهين في الحدائق في هذه البلدان الرأسمالية . وهذه الدعايات قديمة ، ويمكن القول إنه ، ومنذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي بدأت هذه الظواهر ، وبدأ العمل الجدي ضد النظام الاشتراكي السوفييتي ، وبشكل متمهل ، وبتؤدة ، وبحنكة .

إن أكثر الناس الآن ، في البلدان التي كان فيها نظام اشتراكي ، ترى الفرق ، الذي بدأ يظهر لها ، بين الحالة التي كانت تعيش فيها ، والحالة التي تعيش فيها الآن .

وعلا صوت خالد بكداش :

□ □ لم يكن في الاتحاد السوفييتي بطالة أبداً ، ولا في البلدان الاشتراكية ، في أوربا الشرقية . والآن كيف الحال ؟؟ بدأت البطالة تنتشر بشكل واسع . وحق العمل مداس بالأقدام ... يجري الحديث ، حديث طويل عريض ، عن حقوق الإنسان . بينما حق العمل مداس بالأقدام في هذه البلدان .

عاد إلى صمته . رأيته صامتاً ، ويود الكلام بآن معاً . اربكتني هذه الطريقة في الحديث ، ففي كل محطة من كلامه تحسه انتهى . وعندما تحاول أن تتدخل لتعيد حرارة الحوار يعود ويستأنف حديثه ، فتشعر أنه رتب أفكاره جيداً ، وأجابك على ما كنت تفكر فيه ...

وبالفعل ، وفي هذه المحطة من الصمت ، استشف تساؤلاً ما في عيني ، فقال :

□ □ قد تسأل الآن : كيف سنقف من الأخطار التي تهددنا ؟ تهددنا في بلداننا ... في المنطقة ... من الإمبريالية والصهيونية ؟ ونحن نعتقد أن بالإمكان الوقوف ضدها ، وذلك بنضالنا ... بتضامننا ... وبتأييد القوى الخيرة الكثيرة جداً جداً في العالم كله .

نحن في الحزب الشيوعي السوري . لم نعتنق الماركسية ــ اللينينية إكراماً لهذا البلد أو ذاك . ولا إكراماً للاتحاد السوفييتي . نحن اعتنقنا الماركسية ، وبعد ذلك التقينا رفاقنا في الاتحاد السوفييتي والبلدان الأخرى ... لذلك إن ما يجري من تغيرات ، أو انتكاسات ، هنا أو هناك ، لا يؤثر علينا بشكل من الأشكال . نحن مستمرون في نضالنا ، وأكرر أن الاشتراكية سوف تنتصر بدون شك أبداً !

وعندما شعرت أنه أنهى فكرته ، قلت له :

□ هذا يعني ببساطة أنك لست متشائماً . ولكن من الذي سيعيد الوضع كما كان . إن هذا يذكرني بسيزيف الذي ينقل الصخرة إلى أعلى الجبل ، ثم تعود فتهوي ، ثم يعود فيحملها من جديد .

أنا أرى الآن سيزيفاً ، وهو يعود ليعمل من أجل بناء الاتحاد السوفييتي ... إن كل لبنة سيضعها سوف تهوي من جديد .

أصغى إلي بوقار ، ثم تنهد وقال :

□ □ طبعاً ، إن انبعاث الاتحاد السوفييتي ليس أمراً سهلاً . ولكنه ممكن !! وسيتحقق دون شك !!.. لن يعود الاتحاد السوفييتي رسمياً ، شكلياً ، مثلما كان تماماً . أنا أقصد أن اتحاد الدول التي كانت تؤلف الاتحاد السوفييتي يمكن أن يتحقق بشكل آخر متطور...

وأضاف كأنه تذكر شيئاً :

□ □ إن الذين ينتقدون بعض الأوضاع ، التي كانت في الاتحاد السوفييتي ، والبلدان الاشتراكية الأخرى ، معهم الحق في بعض الانتقادات ، لأنها بدون شك صحيحة .

مثلاً : أنا نفسي ، كنت أتساءل ، وأسأل الرفاق السوفييت : لماذا يكون المرشح واحداً في كل دائرة انتخابية ، في مجالس السوفييت ؟ لماذا لا يكون هناك عدة مرشحين ؟!

وكنت أتساءل : لا يوجد في الاتحاد السوفييتي إلا بيلوروسيا وأوكرانيا في الأمم المتحدة ... لماذا لا تكون جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتي أعضاء في الأمم المتحدة ؟!

ربما كان هناك مركزية ومغالاة فيما يتعلق مثلاً في الحياة الاقتصادية نفسها ، يعني مثلاً : يصدر قرار يقضي بأنه ينبغي على المنطقة الفلانية أن تنتج كمية معينة من الذرة الصفراء . وهذا يستبعد رأي أهل هذه المنطقة . فقد يكون رأيهم أن منطقتهم غير صالحة لإعطاء مثل هذه الكمية الكبيرة من الذرة الصفراء .

كانوا يضطرون في بعض المزارع إلى شراء كمية من الأشياء المفروضة عليهم من الدولة لأجل إيفائها ... يشترونها ويعطونها إلى الدولة ... وأصناف أخرى من ذلك النموذج !

إنني أرى أن كل هذه الأخطاء ، من الممكن تلافيها ضمن إطار الاشتراكية ، وليس بنسف الاشتراكية !!

□ ولماذا لم تنتقدوا ذلك في صحفكم ؟ أي لماذا لم يتم الحديث عن الأخطاء في تطبيق الاشتراكية في صحف الحزب الشيوعي السوري باعتبار أنه حريص على نجاح الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ؟!

فاحتج خالد بكداش :

□ □ لماذا ننتقدها في صحفنا ... لماذا ؟

وضحك ساخراً ، وقال :

□ □ نحن نتكلم مع الرفاق السوفييت في مثل هذه المواضيع. صحافتنا لا تصل إلى الشعب السوفييتي . إنها تصدر بالعربية . لا تنتشر بين عشرات الملايين من المواطنين السوفييت ... مافي فائدة يعني .

□ هل كان السوفييت يأخذون بملاحظاتكم ؟

□ □ كانوا يجيبون عليها . كانوا يقولون إن الأوضاع هكذا ، وسينظرون بها في المستقبل . وأنا قلت مثل هذه التصريحات لأحد كبار المسؤولين في القسم الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي .

وبشكل هادىء ، وضع سيكارته الثانية في مشربه الأسود ، ثم أشعلها من علبة الكبريت ، وقال :

□ □ بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأت المفاوضات لتشكيل هيئة الأمم المتحدة . وقد أراد الاتحاد السوفييتي أن تكون جميع جمهورياته ممثلة في هذه الهيئة . إلا أن أمريكا رفضت رفضاً باتاً . وقالت : يكفي بيلوروسيا وأوكرانيا لأنهما تعرضتا لتدمير الهتلرية المباشر . بينما الجمهوريات الأخرى لم تكن لها هذه الكوارث . ويكفي ثلاث جمهوريات لتمثيل الاتحاد السوفييتي !

نحن ، كنا نريد أن تمثل كل تلك الجمهوريات !

وسحب نفساً من سيكارته المتوهجة ، وأضاف :

□ □ فيما يتعلق بالانتخابات ، يمكن أن تتعدد الأحزاب في إطار النظام الاشتراكي . لينين لم يكن من أنصار الحزب الواحد ، ولم يكتب أنه يجب أن يكون الحزب واحداً . والدليل على ذلك ، هو أن أول حكومة تألفت بقيادة لينين ، بعد ثورة أكتوبر ، كان فيها أربعة وزراء من ممثلي حزب الاشتراكيين الثوريين ، ثم خرجوا . لماذا ؟ لأنهم هم تمردوا وأرادوا أن يستولوا على الحكم في تموز ١٩١٨ .

لذلك ، يمكن تعدد الأحزاب ... يمكن التلطيف من المركزية ضمن النظام الاشتراكي . وفي آخر عدد من نضال الشعب التي يصدرها حزبنا كتب مقال عن الثورة المضادة في الاتحاد السوفييتي . والمقال جيد يبين كيف تطورت الأمور حتى وصلت إلى هذه النتائج ... هناك عرض جيد في هذا المقال(*) .

□ العالم اليوم غدا خالياً من الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي . لقد أضحت الإمبريالية سيدة هذا العالم بلا منازع . من الذي يعيد التوازن إلى هذا العالم ؟ أتكون الديمقراطية ، فرضت نفسها باللبوس الرأسمالي ؟ أتكون الاشتراكية قد ماتت ، قبل أن تقضي على نقيضتها الرأسمالية ؟!

فرد خالد بكداش بحزم :

□ □ ... الاشتراكية لن تموت ! موجودة ، وستعود من جديد ، حتى في البلدان التي كانت حاكمة فيها على أساس التجربة العملية نفسها .

ستجد الجماهير الفرق بعملهم ، وليس بالكتب . ستجد الفرق بعملهم ... بحياتهم ... ماهي الرأسمالية ... سيرونها عملياً !!

(*) نشرت « نضال الشعب » في عددها الصادر في أواسط كانون الثاني عام ١٩٩٢ مقالاً للدكتور عمار بكداش ، تحت عنوان : « حول الثورة المضادة في الاتحاد السوفييتي » . وهو المقال الذي يرشدنا إليه خالد بكداش .
ونقرأ في هذا المقال عرضاً لمسار الثورات البرجوازية في انكلترا وأمريكا وفرنسا ، ونرى فيه أن البرجوازية تنتصر في نهاية الأمر . حيث أن الثورات تمر في منعطفات ، أو تعرجات ، أو نكسات مؤقتة . وعلى هذا الأساس يمكن أن تمر الثورة الاشتراكية أيضاً بمثل هذه النكسات . ويقول المقال : ولكن نهايتها ستكون متشابهة . فالصدارة في العملية التاريخية ستكون في نهاية المطاف للطبقة الصاعدة ، وهي حالياً : الطبقة العاملة .

نظر باستقامة ، ثم عاد والتفت إلي ، وقال بصوت واثق وهادىء :

□ □ يقال الآن : هناك قطب واحد هو الإمبريالية الأمريكية . هذا غير صحيح . هناك أولاً : تنافس وتناقض الدول الإمبريالية نفسها . وهذا واضح الآن ...

هناك منافسة واضحة بين أمريكا واليابان ، وهذه المنافسة قوية . هناك ألمانيا ، التي تريد الآن ، أن تأخذ وضعاً جديداً تريد به حتى إخراج أمريكا من أوربا .

ثم هناك ، القطب الطبقي الآخر ، وهو جماهير الشعب ، جماهير العمال والفلاحين .

والشعوب المضطهدة في العالم على قدر كبير لا يجوز تجاوزه ... سوف تظهر فعاليته أكثر فأكثر مع تطور الأوضاع .

□ **أترى أن الصين يمكن أن تحل محل الاتحاد السوفييتي ؟**

وفكر قليلاً ، ثم أجاب :

□ □ الصين دولة كبيرة ، ولها قوة . ويمكن أن تلعب دوراً هاماً في الوضع الدولي ، من الناحية الإيجابية . وهناك مسائل تدل على ذلك الآن ...

والدول الأخرى أيضاً ... حتى كوبا الصغيرة ، كوريا الشمالية ... كلها قوى هامة ، وليس من السهل ضربها !

□ **وهل ستتعلم هذه الدول من الأخطاء التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتي ؟**

□ □ أنا لا أعتقد أن الأخطاء هي التي أدت إلى ما آل إليه الوضع في الاتحاد السوفييتي ، والبلدان الاشتراكية الأخرى ... بل إن هناك عملاً خارجياً تطوعت له بعض الأوساط القيادية في هذه البلدان نفسها .

□ **ذكرتني أن الناس يقولون أن ميخائيل غورباتشوف عميل للسي آي إي ..**

غابت نظراته طويلاً ... وتأنى قبل أن يعقب على كلامي . وبعد برهة قال :

□ □ صحيح ... هناك سؤال من هذا النوع ، لقد بلغني هذا القول ، وهو من الأدلة على أن الجماهير غير مقتنعة بأن الأخطاء هي التي أدت إلى الأوضاع الحالية في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى . وهذا السؤال هو نفسه دليل على ذلك !

وأضاف بعد أن تناول كأساً من الماء :

□ □ طبعاً ممكن أن تحدث تناقضات حول السؤال ، ولكن ، بدون شك ، إن المواقف التي اتخذت ، هي بمصلحة الإمبريالية الأمريكية ... نعم ، هذا السؤال مشروع !!

استغرقنا الحديث ، ولم أنتبه إلى الأشياء التي قدمت لنا ووضعت على الطاولة . رأيت كأساً من الشاي . ولاحظت أن خالد بكداش لم يأكل من هذه الأشياء . اكتفى بإطفاء السيكارة التي كانت متوهجة في يده ، وانتظر مني سؤالاً جديداً .

قلت له :

□ **هل توافق أن تصفيات عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨ هي تصفيات لمواقع الصهيونية ؟**

فاستوضح مني ، عما إذا كنت أقصد أولئك الذين ضربهم ستالين ، وعندما أخبرته بالإيجاب قال :

□ □ نعم ... إن أكثرهم من الصهيونيين ، وهناك من انجروا معهم !

وسألته عن نماذج من أسمائهم . فوافق على بعض الأسماء مثل : رادك وزينوفيف وكامينيف (وهؤلاء من اليهود) وبوخارين الذي انجر معهم .
وقلت :

□ يقولون إن ستالين والبيروقراطية والقمع في الاتحاد السوفييتي ، هم الذين زرعوا بذرة موت الاشتراكية في تجربتها الأم . وإلاّ كانت الشعوب قد دافعت بضراوة عن الاشتراكية .
فرد خالد بكداش بهدوء :

□ □ هذه المقولة حول البيروقراطية وستالين والقمع مغلوطة . هذاكلام مغلوط تماماً . غير صحيح . أنا أمضيت فترات طويلة خلال أيام ستالين في موسكو . لم يكن هناك شيء من هذا . كان يوجد شيء من البيروقراطية . ولكن لينين نبّه من البيروقراطية . وقال إنها من أكبر الأعداء الذين يقفون بوجهنا . وأن النضال مستمر ضدها .
وصمت قليلاً ثم أضاف :

□ □ على كل حال أكرر : لقد ارتكبت الأخطاء التي كان من الممكن القضاء عليها ضمن الإطار الاشتراكي . وليس بالعودة إلى الوراء نحو الرأسمالية . هذا واقع أنا قانع فيه قناعة تامة . وقد قلت لك إنني انتبهت إلى هذه الأمور قبل الأحداث بسنوات ، وتكلمت عنها حتى مع بعض الرفاق السوفييت .

□ هل كانت الأمور ستتغير لو نجح انقلاب ياناييف ؟

□ □ يعني انقلاب آب ؟ برأيي كان من الممكن أن تتغير اللوحة .

□ لماذا دافع الناس عن شعارات تهاجم الواقع القديم ؟

□ □ إن الذين رفعوا هذه الشعارات تستروا بشعارات شيوعية . لم يعلنوا أنهم ضد الاشتراكية . بالعكس ، قالوا إننا نؤمن بالاشتراكية واستمرارها ... هكذا قالوا . لذلك تصورت الجماهير أنه من الممكن تصحيح الأخطاء التي جرت . إلاّ أن الحقيقة كانت غير ذلك . كان الهدف نسف الاشتراكية ، وليس تصحيح الأخطاء .

□ هل ترى أن المقولات والقوانين المادية التاريخية في أزمة ، أو أن شيئاً ما يجب أن يطرأ عليها ؟

□ □ أنا لا أعتقد أنها في أزمة . لا تزال صحيحة . وهناك بحث جيد لانجلز عن المادية التاريخية ، وهو كراس كتبه بعد موت ماركس ، قال فيه :

نحن قلنا أن العامل الاقتصادي هو العامل / العنصر المحدد للتكوينات . لم نقل أبداً ، لا أنا ولا ماركس ، بأنه وحده الحاسم .

لقد تبين أن البناء الفوقي يمكن أن يلعب دوراً في تخريب البناء التحتي ، ولو كان واسعاً وقوياً . يمكن للبناء الفوقي أن يلعب دوراً في تخريب البناء التحتي .

* * *

وانتقل الحديث إلى العلاقة بين الاتحاد السوفييتي وسورية . وتكلم خالد بكداش بعفوية هذه المرة . لم أشعر أنه صاغ جملة من الجمل التي قالها . أو فكر

طويلاً في أبعادها . كان يتحدث بطلاقة ، وكأنه يتحدث عن شيء يخصّه .
قلت له :

□ الحديث يستدرجنا لمسألة هامة وقديمة ، وهي : العلاقة بين الاتحاد السوفييتي وبلادنا ، وأيضاً بين الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي السوري ...

وطيلة السنوات الطويلة الماضية دار لغط كبير حول العلاقة مع هذه الدولة العظمى ... منذ أيام عبد الناصر ومشكلة تمويل السد العالي ، وهذا اللغط طالكم شخصياً .

فقال :

□ □ الشيء البارز الذي أشرت إليه أنا في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي السوري والذي عقد في أيار من عام ١٩٩١ هو أننا مدينون إلى الشيوعيين السوفييت الذين قاموا بكل هذا الدعم السياسي والاقتصادي لسورية .

الشيوعيون السوفييت هم الذين ساعدونا عسكرياً في التصدي للعدوان الإسرائيلي المدعوم من أمريكا .

الشيوعيون السوفييت هم الذين بنوا لنا سد الفرات . ولذلك قلت : من مقومات الشهامة العربية ، والوفاء العربي أن ندافع الآن عن الشيوعيين السوفييت في نضالهم ضد التحريفية والصهيونية .

إن الصهيونية عدو شرس ورهيب . وماركس في كراسه الذي ترجم إلى اللغة العربية حول المسألة اليهودية يقول : إن الإله الدنيوي لليهودية هو المال !

وبما أن الاشتراكية ـ أي في ظل الاشتراكية ـ تغيب ألوهية المال ، نجد أن الصهيونيين ، قد أصبحوا ألد أعداء الاشتراكية . مثلهم مثل الاحتكارات الرأسمالية العالمية وهم يلعبون دوراً كبيراً فيها ، ولا يتورعون عن أي أسلوب !

وأنا أرى من الضروري ، إذا أمكن ، أن تطلع على النشرة الداخلية ،التي وزعها الصهيونيون في الاتحاد السوفييتي منذ سنوات(*) ، وأيضاً ، ما كتبته مجلة مولودايا / كفارديا هو أن الصهيونيين يريدون تحرير فلسطين من العرب ، وتحرير روسيا من الروس .

إن الصهيونية عدو شرس للتحرر الوطني والاشتراكية بوجه خاص . إن من جملة أسباب الكره الشديد عند الصهيونيين لسورية (هناك كره للعرب ، ولكن هناك كره خاص لسورية) لأن سورية رفعت من جملة ما رفعته رسمياً شعار الاشتراكية !

(*) بالفعل ، اطلعت على هذه النشرة ، وهي منشورة في مجلة « دراسات اشتراكية » في العدد السابع لعام ١٩٩٠ . ومنذ السطور الأولى تقول الرسالة : « أيها اليهود ، أحبوا بعضكم بعضاً . ساعدوا بعضكم بعضاً ، حتى لو كان أحدكم يكره الآخر » ص ٨٤ ، وتحاول الرسالة التاكيد أن التعصب القومي اليهودي هو ذو طابع أممي « لهذا فهو أبدي ، من خلاله نخترق كل الأديان ، وتفتح أمامنا أبواب كل الأحزاب والقوميات . الأممي الحقيقي هو ذاك الذي يرتبط بصلات الدم مع اليهودية حصراً ، وكل ما عدا ذلك هراء وكذب » ص ٨٥ . وتقول الرسالة بالحرف : « العرب هم أول من تجب إبادتهم بشكل مبرمج ، وأقوياء العالم من أزلامنا

فقلت لخالد بكداش ضاحكاً :

□ **أخشى ما أخشاه ، أن تتهم بالعداء للسامية !**

فرد بشكل جدي :

□ □ أنا ؟... أنني متهم من زمان بالعداء للسامية ؟

□ **وهل أنت معادٍ فعلاً للسامية ؟**

□ □ أنا لست معادياً للسامية ! أنا أعادي الصهيونية !

وعدنا لمتابعة الموضوع . بدا الحوار جميلاً ، وصريحاً ، ووديا ً .

فقلت له :

□ **برزت اتجاهات تقول إن العلاقة كانت مع الاتحاد السوفييتي هي علاقة سلاح فقط . ويمكننا شراء السلاح من أي سوق ...**

فاحتج خالد بكداش بشدة :

□ □ شراء السلاح ليس هو الأساس . هو نتيجة ! لأن الاتحاد السوفييتي كان ذا سمة مبدئية . كان ذا سياسة ماركسية ــ لينينية صحيحة . وعلى هذا الأساس وفر لنا ... لسورية ، الأسلحة اللازمة للدفاع عن أنفسنا . كان ذلك نتيجة لموقف مبدئي سياسي . ولو لم يكن هذا الموقف المبدئي السياسي ، لما كنا حصلنا على أسلحة أرخص من الأسلحة العالمية بكثير ... وبالدَّيْن أيضاً ، مع التأجيل المستمر !

وأضاف :

□ □ وإذا نظرنا إلى التاريخ نرى أن الاتحاد السوفييتي لم يعط السلاح إلاّ للدول التي تدافع عن نفسها ضد الإمبريالية ، وضد الصهيونية ... الاتحاد السوفييتي لم يبع السلاح إلى إسرائيل ... أليس كذلك ؟ أليس هو الواقع ؟ باع إلى سورية ... باع إلى مصر في عهد جمال عبد الناصر .

□ **ولكنهم طرحوا سؤالاً يقول : لماذا لم يعط الاتحاد السوفييتي الدول العربية أسلحة توازي الأسلحة الإسرائيلية قوة ، أو تتغلب عليها ؟**

□ □ أعتقد أن الاتحاد السوفييتي أعطانا أسلحة جيدة وكافية جداً . لقد أعطانا الدعم السياسي المعنوي أيضاً في مختلف المراحل .

وطلب خالد بكداش كأساً من الزهورات ، في حين كان الشاي أمامه موجوداً ، وكان فنجان من القهوة قد وضع لتوه . **فقلت له :**

□ **يقولون أن ميخائيل غورباتشوف هو الابن المدلل ليوري أندروبوف . ولقد**

سيساعدوننا في تنظيف الأراضي المتاخمة لإسرائيل » ص ٨٦ . وتضيف الرسالة في نفس الصفحة : « إن الروس والأمم الأخرى حيوانات زاحفة ، والغويا : أي غير اليهود ، في الاتحاد السوفييتي ، غير مؤهلين للتفكير العميق ، أو التحليل والاستنتاجات المعمقة ، هم أشبه بالخنازير ...إلخ » ، وتقول : « كل الأمم في الاتحاد السوفييتي هم من الغويا عنيدون كالبهائم » ص ٨٧ . وتخاطب اليهود قائلة : « اخلقوا للغويا جملة من المزعجات الاستفزازية الصغيرة التي لا تلمس للوهلة الأولى . ضعوا حوائجكم فوق حوائجهم ، دوسوا على أقدامهم ، تمادوا عليهم ، انفخوا في وجوههم ، تكلموا بصوت عال ، احشروهم أينما وجدوا ، ليشعروا دوماً أنكم في خاصرتهم » ص ٨٨ .

سمعنا عن علاقة تربطك بأندروبوف .
فرد قائلاً :

□ □ أنا أعرفه جيداً ، ومنذ سنوات طويلة ، وقد التقيت به في برلين عام ١٩٦٤ . كان ذلك في مؤتمر بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس الأممية الأولى . ويومها كان هناك موقف اتخذه خروتشوف ، كما أعتقد ، وهذا الموقف يقول ، بأنه لا لزوم للأحزاب الشيوعية في البلدان السائرة في نهج تقدمي ، وطلب حتى حل الأحزاب الشيوعية .

وتصديت أنا لذلك في هذا المؤتمر . وتكلمت ضده بصراحة ، وقلت : إن تأميم بعض المرافق وإجراء الإصلاح الزراعي لا يبرران حل الحزب الشيوعي . الحزب الشيوعي موجود بحكم النضال في سبيل انتصار الاشتراكية كاملاً والقضاء على النظام الرأسمالي ، وانتقدت بشدة الدعوات إلى حل الأحزاب .

وفي الاستراحة ، شاهدت يوري أندروبوف ، وكان هو رئيساً للوفد السوفييتي ، فقال لي : اصمد يا رفيق خالد بكداش . هذا ليس رأيي فقط . إنه رأي ليونيد بريجنيف ، وما قلته صحيح .

وعندما التقينا بعدها في مؤتمر الحزب الشيوعي الروماني وكان الصالون مليئاً . جاء بريجنيف وأندروبوف . وتحدث معي أندروبوف قائلاً : الشيء الذي قلته لك في برلين ليس رأيي الشخصي . رأي القيادة أيضاً . ثم التفت إلى بريجنيف وسأله : أليس كذلك يا رفيق بريجنيف .

فأجابه : نعم .

وأضاف كمن تذكر شيئاً :

□ □ واجهت غورباتشوف أيضاً . حصل ذلك عام ١٩٨٧ بمناسبة الذكرى السبعين لثورة أكتوبر . فقد ألقيت كلمة إدانة للصهيونية وعارضت موقف غورباتشوف ، وهاجمت صحيفة أنباء موسكو بسبب اتجاهها الصهيوني .

جاء أندريه غروميكو وصافحني بحرارة . وقال : اصمدوا !

□ **ولكنك لم تجبني كيف غلط يوري أندروبوف وجاء بميخائيل غورباتشوف !**

□ □ لم يكن موقف غورباتشوف هو الموقف الذي تكشف فيما بعد .

□ **يعني كان يضمر شيئاً ؟**

□ □ نعم !

□ **أود عرض المسألة من جانب آخر . فأنا أرى أنه لو لم تتم عملية التغيير التي قام بها غورباتشوف ، لقام بها أندروبوف فيما لو بقي حياً .**

فقال خالد بكداش بثقة :

□ □ كان قام بها في الاتجاه الصحيح !

كان قد مضى أكثر من ساعة ونصف الساعة على بداية الحديث عندما تدافعت الأسئلة الكثيرة على رأسي . وخفت من تعب ما يصيبه ، فنضطر إلى تأجيل الحوار إلى جلسة أخرى . إلاّ أن خالد بكداش لم يشر إلى شيء من ذلك . قال لي ببساطة : هل

انتهيت أنت ؟ هل تعبت ؟ وعندما قلت له : لا ، صمت . وكأن الكرة قد أصبحت في مرماي .

وهنا قلت له :

☐ كنا نتداول نكتة في الشارع السياسي تقول ، إنه ، وعندما يهطل المطر في الاتحاد السوفييتي ، فإن خالد بكداش يحمل المظلة في دمشق !

وبدا كأنه سمع مثل ذلك من قبل ، لذلك أجابني دون أن يهتم كثيراً بما قلته :

☐ ☐ تهمة التبعية إلى موسكو قديمة ، وليست جديدة . ولكن ليس لها أي أثر من الصحة بتاتاً . نحن في الحزب الشيوعي السوري دائماً نضع سياستنا باستقلال كامل ، وبدون توجيه لا من الاتحاد السوفييتي ، ولا من غيره ... نضعها على أساس الماركسية ــ اللينينية .

واستطرد قائلاً :

☐ ☐ هناك كثيرون من القوميين العرب الذين دافعوا عن الاتحاد السوفييتي وكانوا أصدقاء له . هل هذا يسمى بتبعية عند القوميين ؟!

لم يتدخل الاتحاد السوفييتي في شؤوننا بتاتاً . أحياناً كنا نسأل في بعض القضايا الدولية عن رأيهم . وكانوا يعطوننا رأيهم . إذا أعجبنا نمشي فيه ... هذا واقع ! أي نحن نستشير . وفي الوضع الدولي نمشي مع السياسة السوفيتية . مع من نمشي ؟!

وأنا أتذكر الآن أيام المجلس النيابي . فقد اتهمني نائب من حزب الشعب بقوله : إن خالد بكداش عميل للاتحاد السوفييتي ! فقلت له : أنت ، وللأسف لا تستطيع التمييز بين الصديق والعميل ! أنا صديق الاتحاد السوفييتي ، ولكن غيري عميل لغير الاتحاد السوفييتي !!

وضحكت ، وضحك خالد بكداش ، فقلت :

☐ ولكن الذي حصل أن كثيراً من الكتاب أو المفكرين نقلوا المسألة إلى أبعد من ذلك ، فتحدثوا عما أسموه : الماركسية المسفيتة . أي التابعة للاتحاد السوفييتي . ولكي لا أكون غامضاً : ياسين الحافظ في كتبه والياس مرقص في أبرز كتاب حول هذه النقطة ، وهو : الماركسية السوفيتية ، والقضايا العربية . أيكون دخان بلا نار ؟! لنتذكر سوية خلافات المؤتمر الثالث لحزبكم حول هذه النقطة ... إذن المسألة ذات طابع فكري ، وليست ذات طابع استشاري . هم يقولون أنه حتى السياسة يستقيها الشيوعيون من السوفييت ...

أشعل سيكارة جديدة ، وسحب منها بعمق ، ثم نظر إليّ بعينين واثقتين ، وقال :

☐ ☐ نحن استمدينا الأفكار من ماركس وانجلز ولينين ، وليس من غيرهم ... ما جاء بعدهم من يوازيهم . من الذي مثل ماركس وانجلز ولينين . لم يأت أحد . القادة الذين جاؤوا قالوا إن كل همنا أن يكون الولاء للينين . أما أننا أخذنا سياستنا عن كراريس أصدرها هذا السوفييتي أو ذاك ، فهذا ليس صحيحاً أبداً ...

□ **وقضية التطور اللارأسمالي ؟!**

□ □ هذه المقولة التي وضعها السوفييت . أي قضية التطور اللارأسمالي .. نحن عارضناها،وضعها الرفاق السوفييت في الحزب الشيوعي السوفييتي،ونحن عارضناها ولم نكن معها .

□ **ومع ذلك ، تبنيتم هذه المقولة في المؤتمر الرابع لحزبكم . أنا أعرف أن الحزب الشيوعي السوري تبنى مقولة التطور اللارأسمالي !**

□ □ ولكن بدون محتواها !

وأضاف :

□ □ في الندوة العالمية التي انعقدت في برلين عام ١٩٦٤ قلت في دراسة لي إن إنكار دور الطبقة العاملة في تطور حركة التحرر الوطني وفي انتقالها من مرحلة إلى مرحلة أعلى بلغ حداً غريباً في بعض الأوساط . بل وقلت أن البعض أخذوا يميلون إلى الاستنتاج بأن الطبقة العاملة في البلدان المتحررة حديثاً فقدت دورها نهائياً ، وإن الانتقال التام إلى الاشتراكية سوف يتحقق تماماً بهذه الأقطار ليس بدون قيادة الطبقة العاملة فقط . بل حتى بدون أن يكون لها أي دور هام وأساسي في هذه العملية كلها .

كنت أعرف أن هذا يخالف رأي خروتشوف . ومع ذلك قلت لأم عمار (زوجتي) إنني أريد أن أحكي رأيي في هذه المسألة ، ولو خالف رأي خروتشوف وعلى هذا الأساس ليس من الضروري أن يتخرج عمار ابني دكتوراً .

كنت لا تهمني العواقب . قلت لها : ليس ضرورياً أن يصير عمار دكتوراً . ممكن يصبح سائقا ، أنا ذاهب إلى برلين لأحكي ذلك .

وهكذا كان موقفي ....، ولكني فوجئت بأندروبوف الذي أيدني .

وفي المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي السوري حصلت مساومة . إذ جرى نقاش طويل لهذه المسألة ، وكان دانيال نعمة وظهير عبد الصمد من المدافعين بضراوة عن هذه المقولة . ولحل مسألة عودة الثلاثي(*) دانيال وظهير بالإضافة إلى إبراهيم بكري أدرجت مقولة التطور اللارأسمالي في مقررات المؤتمر الرابع . إلا أن صيغتها أخذت بالاسم فقط ، وقد أعطى الحزب المعنى الذي يريده لهذه المقولة إذ تم رفض الشيء الأساسي الذي كان يطرحه أوليانوسكي . وقد رفضت أنا النقطة الأساسية وهي اعتبار طريق التطور اللارأسمالي مرحلة انتقالية من نوع خاص للوصول إلى الاشتراكية في العالم الثالث . وعلى هذا الأساس لم يحصل تنازل جوهري . وفيما بعد ، تم إلغاء هذه المقولة في المؤتمر الخامس(**) .

(*) الثلاثي هم : ظهير عبد الصمد ودانيال نعمة وإبراهيم بكري ، وقد عاد هؤلاء إلى الحزب الشيوعي السوري بعد انفصالهم عن رياض الترك الذي استمر في انقسامه عن الحزب .

(**) أورد برنامج الحزب الشيوعي السوري الذي أقره المؤتمر الرابع عام ١٩٧٤ أن طريق « التطور اللارأسمالي هذا لا يحمل نفس مفهوم مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية . ولا يقوم بما تقوم به من حجم الأعمال والمهام ، وإنما هو مرحلة تمهيدية تنضج منه وتتطور المقومات الموضوعية والذاتية الضرورية للانتقال نحو بناء الاشتراكية » ص ٦٩ من البرنامج (منشورات الحزب الشيوعي السوري) .

وكانت موضوعة التطور اللارأسمالي من قضايا الخلاف التي آثارها المجلس الوطني للحزب الشيوعي عام ١٩٧١ والذي انعقد لمناقشة مشروع البرنامج بعد المؤتمر الثالث عام ١٩٦٩ .

قلت لخالد بكداش :

□ في مواقفك الأخيرة ، كانت الاستقلالية واضحة في الموقف من البيريسترويكا والغلاسنوست ، وهما المرتكزان الأساسيان لعملية التغيير الذي انتهجها غورباتشوف . ولكن البعض يرى في ذلك محاولة للدفاع عن الستالينية . أو لأن خالد بكداش يخشى من تطور مماثل يرفض نهجه الستاليني .

فرد خالد بكداش بهدوء شديد :

□ □ أنا أحترم ستالين احتراماً جدياً . ولكني لست ستالين ، ولست ستالينياً . أنا ماركسي – لينيني . مناضل بسيط في هذا البلد الصغير . اتهامي بالستالينية هو مبالغة عني أنا بالذات !

□ أذكر أنك قلت ذات مرة إن موقفك من الاتحاد السوفييتي غير مشروط ؟!

□ □ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، أو الاتحاد الاشتراكي السوفييتي هذا الذي قلت عنه إن الموقف تجاهه غير مشروط . وخصوصاً في الوضع الدولي .

هذه ليست كلمة لي ، إن أول من قالها هو بالميرو تولياتي . وقال حرفياً : يجب أن نؤيد جميع جوانب السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ، وقد ذكرتها أنا بدوري ، في ندوة عقدت في بلغاريا في مؤتمر الحزب الشيوعي البلغاري .

وقتها ، كانت المناسبة إحياء ذكرى ديمتروف . ألقيت كلمة ، وقلت فيها كلام تولياتي ، متوجهاً إلى الشيوعيين الطليان لأن الحزب الشيوعي الإيطالي أخذ مواقف ضد الاتحاد السوفييتي كما هو معروف . وقلت لهم : كونوا أمناء على تراث تولياتي ، الذي كان اسمه الحركي وقتها : ايركورلي ، هذا الذي حصل ، وبالفعل نحن كنا مستعدين للدفاع عن السياسة السوفيتية في كل المجالات طواعية(*) .

□ في المؤتمر الثالث ، وأثناء الخلافات الحادة الفكرية والسياسية والتنظيمية داخل الحزب لجأتم إلى السوفييت لحل هذه الخلافات ...

□ □ نحن عندما اختلفنا على بعض المسائل الجوهرية . كل الرفاق ، وليس أنا ، رأوا أن نطلب من السوفييت إبداء رأيهم في الموضوع .

وينبغي القول ، إن الرفاق السوفييت ، أعطونا بعض الملاحظات الهامة(*) فيما يتعلق بموقفنا من الحكم في سورية . يعني كان رأيهم أن هذا الحكم وطني تقدمي ، وكان هذا رأينا نحن .

(*) ذكر على هامش الحوار أن من شروط العضوية في الكومنترن كان الدفاع عن السياسة الخارجية السوفييتية من المنطلق الأممي البروليتاري .

(*) إثر الخلاف حول مشروع البرنامج الذي ناقشه المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري عام ١٩٧١ لجأ أطراف الخلاف إلى الاتحاد السوفييتي لإبداء رأيه في القضايا المختلف عليها . وقد أبدى السياسيون السوفييت ، والعلماء النظريون رأيهم في هذه القضايا ، وهي مدونة ومعروفة في وثائق تلك المرحلة .

إلا انه حتى هذه الملاحظات اصبحت مثار خلاف بين الأطراف نفسها وقد أبدى بعض الكتاب وجهات نظر مفصلة حول هذا الموضوع .

كان رأي رياض الترك أنه يجب أن نناضل ضد الحكم القائم ، وأن نسعى إلى حزب شيوعي عربي موحد ، وأن نطالب أن نكون ضد اليهود جميعاً ... إلى آخره من هذه الكلمات المتطرفة .

ولذلك ينبغي القول إن ملاحظات السوفييت كانت جيدة ، وساعدتنا ...

□ **يعني كانت من باب الاستشارة ؟**

□ □ استشارة ... نحن لم نؤيد السوفييت ، السوفييت أيدونا .

* * *

□ **والصين ؟! يخطرني الآن سؤال حول الصين . هل كان الحزب الشيوعي السوري يرى في الصين عامل دعم للمعسكر الاشتراكي ؟**

□ □ نحن أيدنا موقف الاتحاد السوفييتي !

لقد جرى اجتماع للأحزاب الشيوعية في العالم كله ، في موسكو . وصار نقاش حول العديد من المسائل .

أذكر مثلاً أحد الرفاق الصينيين . قال : نحن قدمنا ضحايا ... مئات الألوف من أجل تحرير كوريا . فأجبته أنا : ولكن الاتحاد السوفييتي دفع عشرين مليوناً من الضحايا لأجل حريتكم وحرية كوريا!.

□ **أيام النازية الألمانية ؟**

□ □ الفاشيستية ، والعسكرية اليابانية ... هذا الاجتماع جرى سنة ١٩٦٠ .

□ **كانت الصين تطرح نظرية العوالم الثلاث(*) كيف قرأ خالد بكداش هذه النظرية ؟**

□ □ قلت لك ، نحن لم نكن موافقين على الكثير من مواقف الصينيين . كنا نقف مع الاتحاد السوفييتي . الآن علاقتنا جيدة مع الحزب الشيوعي الصيني ، ونحن نريد أن نحافظ عليها ونطورها .

كما أن موقف الصين الآن من قضية التسوية في الشرق الأوسط موقف جيد .

□ **ألم يكن لديكم أي موقف انتقادي من الصين ، أو الحزب الشيوعي الصيني خلال حواراتكم على الأقل ؟!**

□ □ إننا لا نريد فتح حساب !

□ **هل كان الموقف الصيني في نظرية العوالم الثلاثة معادياً للمعسكر الاشتراكي ؟**

□ □ لم يكن باعتقادي صحيحاً !

□ **كانت تسمى الاتحاد السوفييتي بالإمبريالية الاشتراكية ؟**

□ □ طبعاً هذه أخطاء قد تقع . وقد كنا مسرورين جداً لتحسن العلاقات بين الصين والاتحاد السوفييتي .

* * *

(*) كانت تعتبر هذه النظرية الاتحاد السوفييتي دولة إمبريالية .

☐ يقولون إن بوناماريوف يهودي . وإن اليهود ، وراء الأزمات في الحزب الشيوعي السوري . وإن وجود يهودي على رأس مكتب الشؤون الدولية في الحزب الشيوعي السوفييتي كان يؤثر على علاقتكم مع السوفييت إلى الدرجة التي وصل فيها الأمر إلى أن غياب هذا اليهودي عن مكتب الشؤون الدولية يعني انعقاد المؤتمر السادس للحزب الشيوعي السوري(*) .

☐ ☐ القسم الأخير غير صحيح . أما القسم الأول ، فهو صحيح . يعني كان بوناماريوف يهودياً .

☐ هل كانوا وراء الأزمات في الحزب الشيوعي السوري ؟

☐ ☐ شجعوا هذه الأزمات . بوناماريوف شجع هذه الأزمات !

☐ كيف ... كيف تم ذلك ؟!

☐ ☐ بواسطة الإيحاء لرجل ما ... تشجيعه ... تدليله ...

☐ ولماذا يفعلون ذلك ؟

☐ ☐ لأنني عدوهم . ومن أجل أن يرشوا الصهيونية العالمية . هذا هو السبب الوحيد .

☐ هل كانوا وراء محاولات إبعادك ؟

☐ ☐ نعم !

☐ هل كان من الممكن أن ينجحوا ؟

فضحك خالد بكداش ، وقال :

☐ ☐ والله ... ظهر أنه غير ممكن .

☐ الذي قصدته هو ، هل كان لهم ذراع قوية داخل الحزب تقدر على إبعادك ؟

☐ ☐ كان لهم ذراع . ولكن ليست قوية !

☐ هل شارك بوناماريوف بوضع ملاحظات السوفييت على مشروع البرنامج غداة المؤتمر الثالث ؟

☐ ☐ الذين وضعوا الملاحظات هم العلماء : سوسلوف ، كارين بروتنس .

☐ طالما نحن في إطار هذا الحديث . يخطرني استفسار حول وجود اليهود في الحزب الشيوعي السوري . لقد كان مؤسس بعض الأحزاب الشيوعية في المنطقة ، يوسف برغر ، يهودياً ... والآن أسأل هل يوجد يهود في الحزب الشيوعي السوري الآن ؟

☐ ☐ ليس عندنا يهود في الحزب الشيوعي السوري .

☐ ماذا لو جاءكم مواطن سوري ، يهودي ، وطلب منكم الانضمام إلى الحزب ، هل تقبلونه ؟

(*) أوضح لي أحد قادة الحزب الشيوعي السوري أن وجود بوناماريوف الذي كان اسمه اليهودي كانتا روفيتش على رأس المكتب الدولي كان يشجع البعض في الحزب على أخذ مواقف معينة . ونوه إلى كلمة واصل فيصل في المجلس الوطني عام ١٩٧١ حيث قال : وقد تكلموا معنا ضد أبي عمار في مدرسة الكادر .

□ □ يجب أن يكون ضد الصهيونية ، ضد العدوان الإسرائيلي ، ومؤيداً للسياسة الوطنية السورية ، وضد الاستعمار الأمريكي . إذا كان هكذا فليتفضل !

□ هل كان هناك أحد من اليهود داخل الحزب يوماً ما . هل تعرفت على شخصية يهودية شيوعية ؟

□ □ أنا أعرف جوزيف برغر . كان في الحزب الشيوعي الفلسطيني . وكان يوجد شخص يهودي اسمه : نخمان لتفنسكي ، وعلى ما أذكر كان في بيروت وهو يهودي بولوني أرسله الكومنترن إلى فلسطين ، فجاء إلى سورية ولبنان ، وعمل معنا . وفيما بعد ، ومع ظهور وجهه الصهيوني عملنا على إبعاده ، وأبعدناه . عملنا له باسبور وسفرناه ... راح !
لقد كنا واعين للصهيونية من الأول . انتبهنا إلى أن اليهود يريدون السيطرة على الحركات الشيوعية في البلدان العربية .

ناضلنا بقوة ، وأتذكر ، فيما بعد ، قبل الحرب العالمية الثانية جاءنا و فد من الحزب الشيوعي العراقي . وكان الشيوعيون العراقيون مقسومين وقتها . جاؤوا من أجل التوحيد . استقبلتهم أنا والمرحوم فرج الله الحلو . قلنا لهم : من هم أسماء قيادتكم الجديدة ؟ فذكروا شخصاً ، نسيت اسمه الآن ، كان يهودياً . فقلنا لهم : إن هذا الشخص لا يجوز أن يكون في قيادة الحزب .

وفيما بعد جاء وفد من مصر أيضاً من أجل التوحيد . وفي قيادة الحزب الشيوعي المصري كان يوجد بعض من اليهود ، أذكر منهم على سبيل المثال : هنري كورييل ، فطلبنا من الرفاق المصريين إخراج كل اليهود من قيادة الحزب ، فاستغربوا ! سألونا : والأممية ؟ فقلت : يا أخي الأممية لا تقتضي وجود يهود في قيادة أحزابنا .

لقد رأينا أن وجود يهود في قيادة بعض الأحزاب الشيوعية العربية أمر غير طبيعي خصوصاً بعد قيام إسرائيل لأنهم لن يكونوا حياديين تجاه اتخاذ قرارات صحيحة . إضافة إلى التجارب المريرة التي أظهرت مواقفهم غير المفهومة في بعض الأمور إذ أنهم دأبوا على اضطهاد وإبعاد الكوادر الشيوعية الواعدة والمخلصة .

ولذلك ، فإن حزبنا الحزب الشيوعي السوري مكروه جداً من الصهيونية العالمية .

□ أتذكر الآن الدكتور رفعت السعيد ، وكتاباته حول اضطهاد الماركسيين العرب من قبل اليهود القائمين على مدرسة الكادر في موسكو .

□ □ الصهيونيون اشتغلوا بجد للسيطرة على الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وحاولوا السيطرة على الحزب الشيوعي اللبناني والحزب الشيوعي المصري والحزب الشيوعي العراقي ... إلى آخره ، وكان هناك عناصر يهودية في الكومنترن في موسكو . ولم تكن جيدة بالنسبة لنا نحن الشيوعيون العرب . إلاّ أن الذي حمانا نحن ، هم قواد الأممية الشيوعية ، مثل : مانويلسكي ، كوسينين ، ديمتروف ، غودفالد ، موريس توريز الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي ، تولياتي من الحزب الشيوعي الإيطالي .

كانت هذه الوجوه البارزة في الكومنترن ، هي التي حمت الشباب العرب الشيوعيين .

□ **الحماية مِنْ مَنْ ؟**

□ □ اليهود ... كانوا يحاولون إبعادنا !

□ **كيف ؟ هل طرأ معك أي حادث من هذا النوع ؟**

□ □ اتهموني بأني شوفيني ، قومي عربي شوفيني ولاسامي متعصب . وكنا هنا نعمل بشكل جدي من أجل تقوية صفوف الحزب بين الجماهير الواسعة العربية . وهم كانوا ضد ذلك . اتهمونا بأننا قوميون ، ولكن كما قلت لك ، فإن القادة في الكومنترن الذين ذكرتهم حمونا .

□ **هل ظل الحزب خالياً من اليهود ؟**

□ □ صار عندنا فرقة يهود في دمشق . فرقة واحدة في حارة اليهود . خمسة أو ستة .

□ **وما مصيرهم ؟**

□ □ راحوا ... هاجروا ... ذهبوا إلى إسرائيل !

* * *

□ **حديثنا عن الصهيونية واليهود يجرنا للحديث عن التروتسكية . أنت قلت ذات مرة إن التروتسكية هي الصهيونية بعينها .**

□ □ تروتسكي كان يهودياً صهيونياً !

□ **إذاً كانت هناك علاقة تطابق بين الصهيونية واليهودية ، والصهيونية والتروتسكية . والكل يعلم أن تروتسكي كان يهودياً . هل هي مسألة انتماء يهودي . أي مجرد كون الشخص يهودياً يكون صهيونياً ... أم أن هناك فصل ؟**

□ □ نعود إلى ماركس في كتابه حول المسألة اليهودية ، ونرجع إلى لينين بكلامه عن الصهيونية . لينين يقول إن كاوتسكي على حق عندما يقول إن اليهود ليسوا شعباً . ويقول لينين أيضاً : إن الصهيونية تضر بالعمال اليهود أنفسهم .

□ **هل تدرج الأممية الرابعة والمجموعات التروتسكية في صفوف الحركة المناهضة للإمبريالية والرأسمالية في العالم ؟**

□ □ من يحاول تحطيم الاشتراكية لا يكون في صفوفها !

□ **يقولون إن ستالين قتل تروتسكي بالبلطة !**

□ □ ستالين لم يقتل أحداً بيده .

□ **ألا تظن أن ستالين كان وراء مقتل تروتسكي ؟**

□ □ أنا لا أعرف التفاصيل ، ولكني أعرف أن شيوعياً هو الذي قتل تروتسكي .

□ **أنت قلت قبل قليل أن التروتسكيين يسعون لتدمير الاشتراكية . إلا أن التروتسكيين قاتلوا مع الشيوعيين في إسبانيا . جورج أورويل جرح في عنقه وكان تروتسكياً .**

□ □ قاتل ضد الفاشية الفرانكونية ... أليس كذلك ؟

□ **إذن التروتسكيون ساهموا مع الشيوعيين بنضالاتهم في مراحل ما ؟**

□ □ ضد الديكتاتوريات الفاشيستية .

□ هل تحاورت مع التروتسكيين ؟

فرد ساخراً :

□ □ لم يحصل لي هكذا حظ (*) !

□ إن لهم وجهة نظر ، ومن حقهم الدفاع عنها . ونحن لا نعلم بالنوايا . وعندما قرأت ثلاثية « النبي » لإسحاق دوتيشر عن تروتسكي ... لم أتعاطف إلاّ من الباب الإنساني : النفي ... القتل بالبلطة ... ولكني لم أهتم بضرورة إلغائهم ... أو مقاومتهم .

□ □ مقاومة التروتسكيين ؟

لا أريد أن أقول عنك أن لديك اتجاهات تروتسكية . ولكن النضال يقتضي دائماً اللجوء إلى أساليب قد لا يستسيغها الإنسان نفسه .

□ أحب أن أخبرك إنه لا يمكن لي أن أكون تروتسكياً !

فضحك خالد بكداش !

* * *

قلت له :

□ لقد اتهم حزبكم ، وفي أكثر من مرة أنه حزب كوسموبوليتي، أي أن هناك عدمية قومية في تفكيره البرنامجي فيما يتعلق بالمسألة القومية .

□ □ وهذه أيضاً من جملة الافتراءات الاستعمارية الصهيونية على الحزب ، وبالطبع لقد كان حزبنا ، من أول ساعاته وإلى الآن ، وقبل كل اعتبار ، حزباً وطنياً . ونحن نملك رصيداً كبيراً عند الشعب بنضالنا ضد الاستعمار الفرنسي والانكليزي . وقد وضعنا قضية الجلاء بشكل رئيسي في نضالنا إلى أن سمينا حزب الجلاء .

إن ماركس وانجلز يقولان في البيان الشيوعي : إن البروليتاريا قوة وطنية .

ثم قال خالد بكداش بنبرة حادة :

□ □ ارجعوا إليها وانظروا إليها !

وأضاف :

□ □ إن أكره الأشياء علينا نحن الشيوعيين هي مسألة التعصب القومي من جهة ، والكوسموبوليتية من جهة ثانية .

نحن وطنيون ، ولكننا لسنا متعصبين قومياً . يعني لا نكره القوميات الأخرى . نحن أمميون !

وقال :

□ □ ماذا تعني كلمة أممي ؟

تعني المساواة بين جميع الشعوب ، كبيرها وصغيرها ... متقدمها ، ومتخلفها . وفي

(*) حكت السيدة وصال انه التقى صدفة مع بعض زملائها ، وكان بينهم تروتسكيون فعرفته عليهم بقولها : رفاق من اليسار . فقال : على يسارنا لا يوجد يسار !

نفس الوقت ، فإن الأممية تعني التحالف مع جميع القوى التي تؤيد الاستقلال الوطني للشعوب ونضالها في سبيل التقدم الاجتماعي في سبيل الاشتراكية .

هذا هو الطريق !

نحن أمام الصراع العالمي : المستعمِرون العالميون ، المستغِلون العالميون يتحالفون ضد الشعوب ، بالرغم من التناقضات بينها ، نحن نناضل ضد هذه القوى الرهيبة المتضامنة ، وتقابلها أيضاً قوى كبرى متضامنة .

لذلك نحن طالبنا بتأييد قوى السلم والحرية من كل بلد لنضالنا في سبيل الاستقلال .

إن أمميتنا تتجلى بسعينا لكسب تأييد الاتحاد السوفييتي وبالتالي ، فالاشتراكية قضيتنا الوطنية . نحن وقفنا ضد حلف بغداد ، ضد مبدأ إيزنهاور ، ضد النقطة الرابعة الأمريكية .

لم نكن عبارة عن كوسموبوليتيين ، بالعكس تماماً ... إن الاعتراف بتساوي الأمم والشعوب ليس معناه عدمية قومية .

* * *

كان خالد بكداش قد بدأ يتعب من الحديث ، أمضى عدة ساعات ، وهو يجلس على كرسيه ، ويجيب على الأسئلة التي أطرحها عليه . وفي اللحظة التي شعرت فيها أن من الضروري تكثيف الوقت الباقي ، قلت له :

□ نحن الآن أمام فاجعة من نوع كوني . وهي تفكك الاتحاد السوفييتي . هل يمكن أن نسميها فاجعة موت الثورة ؟ هل الثورة ماتت ؟

السؤال يعود من البداية . ألا ترى مثلي أن الظروف الذاتية والموضوعية لن تسمح بعد الآن بقيام أكتوبر دافىء في البلاد الباردة . أنا أقول أن العالم الرأسمالي استطاع استئصال ما كان يسمى بـ«السرطان الأحمر»

هل تعتقد بإمكانية توالد جديد لهذاالسرطان ـ إذا وافقت على استعمال هذه التسمية ـ؟!

كان رده حاداً ، وقوياً ... وكان بإمكان هذا السؤال أن يفتح المجال لوقت أطول . إلا أن الساعة بلغت قرابة الحادية عشرة ليلاً ، والإجابة المختزلة والقوية قطعت الطريق على هذا الاحتمال ...

قال خالد بكداش :

□ □ السرطان ... سرطان للإمبريالية . ولكنه نعمة لجماهير الشعوب في العالم كله . والاشتراكية لا تُلغى بأوامر إدارية سواء عندنا أو عند غيرنا .

في إسبانيا لم ينجحوا بقمع ثورة الجمهورية . أين فرانكو ؟ وأين الحزب الشيوعي الإسباني ؟

فرانكو طار ! أما الحزب الشيوعي الإسباني فلا يزال موجوداً !!

لقد صارت جذور الاشتراكية عميقة في الدنيا كلها . لا يمكن استئصالها كما يتوهم بوش وأمثاله ! هكذا قال بوش : إن ما حدث هو بداية موت الشيوعية !

ليس من السهل القضاء نهائياً على المكتسبات التي حققها النظام الاشتراكي والاتحاد السوفييتي . وقد قلت في خطابي ، بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى أنه يظهر عملياً أن الرجوع إلى الوراء من الاشتراكية ليس أسهل من التقدم من الرأسمالية إلى الاشتراكية !

وحرّك عصاه الموجودة إلى جانبه ، عادت نظراته تتجه إلى الأمام ، ورأيت وجهه أكثر اصراراً من قبل ، وهو يقول :

□ □ أنا مناضل شيوعي ، وسأبقى شيوعياً . يجب رص الصفوف لكل القوى الوطنية التي تريد صون الاستقلال ، ورد كل محاولة هيمنة إمبريالية وكل عدوان صهيوني وأن يتحقق للجماهير الشعبية شعار العيش الكريم .

ونحن نرفع شعار الدفاع عن الوطن وعن لقمة الشعب . وسنستمر على هذا الشعار ، ولا يمكن أن نحيد عنه . وفي اعتقادي أنه لا بد أن يتحقق ذلك . ويجب تعزيز الجبهة الوطنية في سورية . كما يجب العمل كي لا تنجح الإمبريالية في تنويم يقظتنا عن جوهرها وحقيقتها ومطامحها . هذا هام جداً الآن ... الولايات المتحدة لا يمكن أن تحل محل الاتحاد السوفييتي بالنسبة لسورية . هذه الأوهام يجب أن تزول .

□ **هل هناك إجراءات فعلية تقومون فيها لتدارك النقص الحاصل بعد الاتحاد السوفييتي ؟**

□ □ في ثورة ١٩٢٥ لم يكن عندنا نصير . الاتحاد السوفييتي لم يكن وقتها مثل الآن . لقد بعثت فرنسا مائة ألف جندي لقمع الثورة السورية !!

ومن هذه الناحية يجب أن ننظر إلى تاريخنا العميق ، ونكون متفائلين !

□ **هذا يعني أنه ليس هناك أي عمل إجرائي على الصعيد العالمي ؟**

□ □تجري لقاءات بهذا الشأن . لقد جرى مؤخراً في أثينا لقاء الأحزاب الشيوعية والعمالية في البحر المتوسط ، ويوجد محاولات لأجل رص صفوف الحركة الشيوعية العالمية ونحن نشارك فيها .

إن للحزب الشيوعي السوري مكانة مرموقة في الحركة الشيوعية العالمية . لقد قال قائد شيوعي ياباني : إن الحزب الشيوعي السوري قوي الأممية وقوي الاستقلال .

والعالم ينظر إلى التجربة السورية ، إلى الحزب الشيوعي السوري ، سواء بعلاقته مع الاتحاد السوفييتي ، أو بعلاقته مع القوى الوطنية في الداخل ، نظرة تقدير جيدة .

وبكلمة ، فإننا سنتابع سياستنا بالتوفيق بين الوطنية الحقة والأممية الحقة .

وانتهى حديثنا ، وقمت لأمشي ، فنظر إلي خالد بكداش ، وهو ينهض بمساعدة زوجته ، وقال :

□ □ محمد حسنين هيكل ، يقول إننا نحن العرب ساهمنا بتدمير الاتحاد السوفييتي !!

وهززت رأسي . لم أستطع التعليق على هذا الكلام . ولكني سمعت صوت السيدة وصال تسألني بدورها :

□ □ هل قرأت ما كتبه هيكل عن أندروبوف ؟

فأجبتها :

□ **بالطبع إن هذا قرأته قبل سنوات ...**

وكان خالد بكداش قد أصبح واقفاً بجواري ، وأنا أتجه نحو الباب ، وسمعته يقول بينه وبين نفسه :

□ □ إننا نحن العرب ساهمنا بتدمير الاتحاد السوفييتي !!

والتفت فجأة نحو السيدة وصال ، وقال بلهجة حاسمة :

□ □ انشروا ما قاله هيكل ... انشروه في نضال الشعب(*) !

وخرجت من البيت . رأيت الثلوج في شوارع المزة تكاد تغلق الطرقات ، فلاح أمامي خالد بكداش شاباً يسير في شوارع موسكو المثلجة !

(*) نشرت « نضال الشعب » في العدد (٤٨٨) الصادر في أواخر شباط ١٩٩٢ ما قاله محمد حسنين هيكل نقلاً عن جريدة الأهالي المصرية .

حديث في
الوحدة العربية

في مساء الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٧٠ ، دخلت السيدة وصال فرحة إلى غرفة زوجها ، وأخبرته :

□ □ لقد مات جمال عبد الناصر !

وكان خالد بكداش في تلك اللحظات مجتمعاً مع بعض أعضاء القيادة يتدارسون أمراً ما ! وبالطبع ، توقف ذلك الاجتماع ، مثل غيره من الاجتماعات والأعمال التي توقفت عندما سرى نبأ وفاة عبد الناصر بين الجميع .

هز النبأ خالد بكداش والموجودين معه ، ولَهْلَهَ وهو ينظر إليهم :

□ □ لَـهْ ... لَـهْ ... يـا أبـا خـالد ! مـا عرفت كيف تمـوت ... متَّ في وقت غير مناسب !

* * *

كانت الخصومة كبيرة وواضحة بين هذين الرجلين اللذين التقيا لمرة واحدة مع بعضهما البعض . تحدثا يومها حديثهما السياسي اليتيم . إلاّ أن ما يلفت النظر في هذه الخصومة ، هو أن خالد بكداش ظل يقدر جمال عبد الناصر رغم كل شيء . وأن جمال عبد الناصر ظل الصديق الوفي والمخلص للاتحاد السوفييتي ، الذي يتباهى خالد بكداش في الدفاع عنه !

لقد أكد عبد الناصر أكثر من مرة ، أن الأمة العربية لم تعدْ بحاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها . لقد تجاوزت هذه الوحدة ــ على حد تعبيره ــ هذه المرحلة . وأصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته ! وتعهد بإنشاء ديمقراطية حقيقية شعارها المساواة وحرية الرأي ، ومقارنة الحجة بالحجة ... وقال :

إن العمل الوطني كله ، وعلى جميع مستوياته ، لا يمكن أن يصل سليماً إلى أهدافه إلاّ بطريق الديمقراطية !

ومثل جمال عبد الناصر تماماً ، رأى خالد بكداش أنه لا يمكن رد الأخطاء الاستعمارية إلاّ بقوة الشعب ، وينبغي إطلاق هذه القوة ... والطريق إلى ذلك هو الديمقراطية !

وقال خالد بكداش ذلك في تصريحه الشهير عام ١٩٥٨ ، والذي أعلن فيه عن بنود الوحدة التي وضعها الحزب الشيوعي السوري كأسس للوحدة بين سورية ومصر .

وكان البند الثاني يدعو بصراحة إلى إطلاق الحريات الديمقراطية،كحرية الصحافة والنشر والاجتماع وحرية التظاهر وحرية الجمعيات والنقابات وتأمين حق الجماهير الشعبية وسائر القوى الوطنية في التنظيم السياسي بحرية تامة .

إلا أن الذي حدث كان غير هذا فبعد زيارة عبد المحسن أبو النور إلى سورية بُلّغ خالد بكداش بالطلب الذي سيقض مضجعه فيما بعد ، وهو : حل الحزب الشيوعي السوري !

وكان هذا يعني بداية مرحلة جديدة ، في حياة الشيوعيين السوريين مليئة بالخوف والفرار والعمل السري والأسيد الذي ذوّب جسد أحد قادتهم ، وهو فرج الله الحلو !!

* * *

وعندما سألت خالد بكداش سؤالاً تقليدياً يقول :

□ لو كان عبد الناصر حياً ماذا كنت ستقول له ؟

كنت أتوقع أن يسخر مني ، ويقول مثلاً :

□ □ عندما يعود حياً سأخبرك !

إلا أنه تجاوب مع سؤالي ، وهمس بعد تفكير قصير :

□ □ كنت سأقول له : إنك عملت جيداً في وقوفك ضد المخططات الاستعمارية . لكنك أخطأت بأنك قرنت ذلك باضطهاد الشيوعيين والتقدميين أيضاً .

وانتابني شعور بالمرارة لأنني لم ألتق جمال عبد الناصر لأحاوره مثلما حاورت خالد بكداش .

* * *

كان خالد بكداش في ذلك المساء يرتدي طقمه الرسمي الغامق ، وربطة عنقه المخططة التي تتناسب مع لون الطقم . وإلى جانبه استلقت عصاه تنصت برزانة إلى ما يدور بيننا ...

رأيته نشيطاً ، منفرد القسمات ، أخبرته أن الحديث سيكون حول الوحدة العربية ، ومع ذلك لم تتغير سحنته التي كانت منبسطة ، وهادئة ... قال لي :

□ □ كما تريد .

وأصغى إلى ما قلته له :

□ هل تصدق أنني شعرت بالحزن عندما سمعت بانهيار جدار برلين ... وإن هذا الحزن يزداد مع كل خطوة من أجل توحيد أوربا بعد أن توحدت ألمانيا . تصور يا

سيدي أن كيم إيل سونغ يطرح اليوم مشروع « كوريو » لتوحيد الكوريتين(*) .

وها أنا الآن أقول ، لابد وأن خالد بكداش شعر بالحزن أيضاً عندما أخبرته أن تلاميد المدارس ، وأنا من بينهم خرجوا أيام الانفصال إلى شوارع المدينة وهتفوا ضده .

وقلت ، وأنا أجمع شتات سؤالي :

□ لماذا كان أطفال المدارس يهتفون ضدك يا خالد بكداش ؟!

ومن هذا السؤال ، انطلق حديثنا حول الوحدة والأمة ومن ثم الأقليات . قال خالد بكداش بثقة ، وكان وجهه لايزال منبسطاً .

□ □ لقد اتُهمنا ظلماً بأننا كنا ضد الوحدة بين سورية ومصر . والحقيقة ليست كذلك . نحن لم نكن ضد الوحدة . كل ما هنالك أننا طرحنا رأينا في الأسس التي يجب أن تقوم عليها هذه الوحدة . وذلك كان في بيان أصدرناه وعرف باسم البنود الثلاثة عشر .

الشيء الذي كنا ضده ، هو أنه طُلِب منا أن نعلن حل الحزب الشيوعي السوري بحجة تماثل الأوضاع بين البلدين ، فرفضنا ذلك رفضاً باتاً ، وقلنا لهم : ليست هناك هيئة لها الحق في أن تعلن حل الحزب الشيوعي السوري .

وعلى هذا الأساس شُنت ضدنا حملة اضطهاد وتنكيل واسعة . لكن ، وبعد ذلك ، تبين أننا كنا على حق،سواء فيما يتعلق برأينا في الأسس التي يجب أن تقوم عليها الوحدة ، أو برفضنا حل حزبنا .

وأضاف :

□ □ إن الشيء الرئيسي الذي طلبناه هو مراعاة الظروف الموضوعية في كل من مصر وسورية . والآن يسرنا أن كثيرين من القوميين العرب والمرموقين في كل العالم العربي يقولون إنه خلال كل وحدة بين قطرين أو أكثر كلما روعيت الظروف القطرية لكل قطر كان ذلك أفضل . وعلى هذا الأساس يمكن أن تُكتَب الديمومة لوحدة كهذه .

□ ماذا يعنون بالظروف القطرية ؟

□ □ هي ما كنا نعنيه بالظروف الموضوعية في كل بلد . أتذكر الآن أحد المناضلين ، ولا أريد أن أسميه ، كتب في أحد الجرائد أن الظروف الموضوعية التي ينوح عليها الشيوعيون هي ظروف رجعية ! لا أدري كيف تكون الظروف الموضوعية ظروفاً رجعية !!

وعندما جرى الحديث عن الوحدة بين سورية ومصر كان في سورية تطور تقدمي ديمقراطي عاصف ! نحن كنا نريد أن يستمر هذا التطور الديمقراطي ، بينما كان آخرون غيرنا يريدون أن تؤدي الوحدة إلى وقف هذا التطور الديمقراطي الكبير في البلاد . علماً أنه ، وبعد الوحدة ، لم تُراعَ الظروف الموضوعية في البلدين ، وشنت حملات ضد القوى والأحزاب التقدمية . بينما القوى الأخرى ، التي تظاهرت نفاقاً بأنها من أنصار الوحدة ،

(*) مملكة كوريو تشير إلى الفترة التي كانت فيها الكوريتان موحدتين بدولة واحدة عاصمتها سونغ دو في مطلع القرن العاشر .

كانت تتمتع بحرية واسعة في الحركة والعمل ، حتى أنها قُدمت في بعض المراكز المسؤولة وغيرها .

كما جرت تدابير ضد التقدميين في الجيش السوري : سُرّح عدد كبير من الضباط الوطنيين التقدميين ! وكانت النتيجة كما هو معروف ..

واستدرك خالد بكداش ، كأنه تذكر شيئاً :

□ □ أنا في سنة ١٩٦٠ ، وفي اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية في موسكو ، وهو اجتماع عالمي لممثلي نحو ثمانين حزباً ، قلت لهم : إن وحدة تسير على هذا المنهاج بين سورية ومصر لن تدوم ... هذه الوحدة لن تدوم !

وصمت برهة ثم أكد :

□ □ وفعلاً لم تدم !

□ **ومن الذي ضربها ؟**

□ □ كما هو معروف ، ضربتها عناصر غير تقدمية ، يمكن تسمية الكثير منها بأنها كانت رجعية بصورة واضحة . وأنتم تعرفون هذه الأمور ، لا أريد أن أسمي أيضاً . أظن أن الذين قاموا بذلك هم الهجانة في الجيش السوري وهم قلة كما هو معروف ، وتمكنوا بسرعة من قلب الحكم القائم ، وطرد ممثلي مصر ، والاستيلاء على الحكم .. لو روعيت مسألة احترام الظروف الموضوعية في كل بلد . لو صارت الوحدة على أساس واضح في مواجهة الاستعمار ، والاعتماد على الجماهير الشعبية ، وخصوصاً قواها التقدمية . لما كان من السهل على تلك الفئات أن تنسف الوحدة بهذه السهولة .

□ **ولماذا سعت تلك القوى لقطع مسيرة التطور التقدمي الديمقراطي ؟**

□ □ لأنها خشيت أن يؤدي هذا التطور الديمقراطي إلى نوع من المجتمع الاشتراكي . كانت هناك دون شك يد للإمبريالية والصهيونية .

□ **ومن الذي يمثل هذه القوى ؟**

□ □ بقايا الإقطاع ، وفئات البرجوازية المرتبطة بالاحتكارات الدولية .

□ **وكيف استطاعت أن تشحن الجماهير ضد الحزب الشيوعي السوري ؟**

□ □ لقد عمل الإعلام بشكل واسع ضد الحزب الشيوعي السوري . اتهمونا بأننا ضد الوحدة لأننا وضعنا الأسس التي يجب أن تقوم عليها هذه الوحدة كما قلت لك . إنهم لم يكونوا يريدون مثل هذه الأسس !

□ **والحزب الشيوعي ألم يرتكب أخطاء ساعدت على ذلك ؟**

□ □ ساعدت على ماذا ؟

□ **ساعدت على تعبئة الجماهير ضده ...**

فرد خالد بكداش بحدة :

□ □ قلت لك ، قالوا إننا ضد الوحدة . والجماهير طبعاً كانت تتفاءل بالوحدة . وخصوصاً ، بما يتعلق بإمكانية التصدي للتوسع الاستعماري الصهيوني الإسرائيلي وغير ذلك .

إن سورية ومصر ، عندما تجمعان قواهما ، تتصديان بشكل أفضل ، مما لو كانت كل واحدة على حدة . كما أن فكرة الوحدة العربية انتشرت بين الجماهير في البلدان العربية ، وهذا مفهوم ! إن كل وطني عربي يريد أن تكون هناك دولة عربية كبرى تستطيع أن تقوم بالنضال ضد الإمبريالية . وأن تحقق للجماهير الواسعة حياة أفضل ، وذلك بالتكامل الاقتصادي بين مختلف البلدان العربية الشاسعة الواسعة.

وأضاف :

□ □ ورغم ذلك لم يستطيعوا أن يدفعوا الجماهير إلى العمل الفعلي المباشر ضدنا ... لم يستطيعوا ذلك . والدليل أن حزبنا تابع نشاطه أثناء الوحدة ، وأصدر البيانات ... واُعتقِلَ الكثير من أعضائه !

□ **بمعنى آخر لم يرتكب الحزب الشيوعي أي خطأ أثناء الوحدة بحيث تستغله القوى الأخرى ؟**

□ □ خطأ كبير ... لم يرتكب . ولكن وقعت أخطاء صغيرة لا أدري كيف أصفها ، لم نرتكب خطأ كبيراً كما أعتقد ... بالعكس !

وقال خالد بكداش بحزم :

□ □ إن الأحداث فيما بعد بينت . وأكدت أننا كنا على حق . الذين حلوا أحزابهم ندموا ، ورجعوا إلى إقامة هذه الأحزاب ، بل ويقول الكثيرون إنه يجب أن تراعى الظروف القطرية أثناء الوحدة !!

* * *

قلت لخالد بكداش بعد استراحة قصيرة :

□ **إن الحديث عن الوحدة العربية يدفعنا تلقائياً للبحث في المفهوم النظري لمسألة الأمة . هل كان مفهوم الأمة في الماركسية ـ اللينينية يقوم على أسس محددة ؟ ماهو مفهومكم عن نشوء الأمم في العصر الامبريالي ؟**

فأجاب :

□ □ إن الأمم تكونت قبل العهد الإمبريالي . هذه فكرة معروفة . إن مقومات الأمة معروفة في الماركسية ـ اللينينية . ستالين كتب بحثاً جيداً في هذا الموضوع . قرظه لينين ، وأكد على صحته ، وعنوان هذا البحث هو : الماركسية وقضايا الاستعمار والمسائل الوطنية . وفيه يذكر ستالين مقومات الأمة ، وأظن هكذا :

الأمة جماعة ثابتة من الناس ، لها أرض مشتركة ، ولغة مشتركة ، واقتصاد مشترك ، وتكوين نفسي مشترك ينعكس في الثقافة .

هذه هي مقومات الأمة في الماركسية ـ اللينينية . إذا فقدت إحداها منها يكون مفهوم الأمة غير صحيح . يقول ستالين :

« الانكليز يتكلمون الانكليزية ، والأمريكيون يتكلمون الانكليزية ولكنهم ليسوا أمة واحدة . هما أمتان.وكذلك مثلاً: ألمانيا تتكلم الألمانية ، والنمسا تتكلم الألمانية ، ولكنهما أمتان مختلفتان.

إن مقومات الأمة موجودة فيما يتعلق بالعرب ، والمهم استكمالها . يقولون : هناك

أرض مشتركة . هناك تاريخ مشترك ، لغة مشتركة . فإذا سارت المساعي بما يتعلق بتكوين اقتصادي مشترك تكون الأمة قد استوفت جميع مقوماتها .

□ إن ستالين قولب الفهم الماركسي ـ اللينيني لمسألة الأمة ، وحصره بتعريف واحد . فماركس وانجلز يتحدثان عن أمم همجية في مرحلة ما قبل الإقطاع . وستالين لا يقرّ بها إلاّ في العصر الرأسمالي !

□ □ لا شيء من هذا عند ستالين !

□ يكمن الخلاف بين الماركسيين العرب حول المسألة القومية في مسألة حرفية تعريف ستالين . ولقد دارت نقاشات طويلة حول هذا التعريف . وقيل عنه إنه خاطىء ، ودعوا إلى عدم الأخذ به .

□ □ التعريف الذي كتبه ستالين أيده ووافق عليه لينين . وهذا أمر واضح ومعروف . ويقول لينين على ما أذكر : أن شاباً جورجياً كتب لنا بحثاً قيماً عن هذا الموضوع . ويقصد ستالين .

وستالين لم يقل إن الأمة تشكلت فقط في النظام الرأسمالي . قال إن الأمم استكملت قوامها في النظام الرأسمالي .

□ أي تكون الأمة ناجزة في النظام الرأسمالي ؟

□ □ نعم . لأن الرأسمالية وحدت السوق في كل بلد . وتلاشت سيطرة الإقطاع والنبلاء على مقاطعات من كل بلد كما هو معروف . وفيما بعد ازداد اندماج الأمة !

□ والعرب ؟ لقد مرّ العرب بدولة مركزية في مرحلة الدولة الإسلامية . يمكن أن نسميها أمة . ولم يكن هناك من رأسمالية بعد !

□ □ لم تكن هناك مركزية تامة . هذا شيء معروف . لا في الدولة العباسية ولا في الدولة الأموية . كان لكل بلد كيانه .

□ هل يمكن أن نطلق عليها مصطلح أمة ؟

□ □ الآن يتداول تعبير : الأمة العربية .

□ يعني في التعبير اللفظي ممكن ؟! أما في المفهوم المادي التاريخي ، فهذا غير صحيح ؟؟

□ □ كما قلت لك ، مقومات الأمة موجودة عند العرب ، المهم استكمالها . صحيح إن هناك اتجاهاً يتطور نحو الوحدة العربية . ولكن خلال فترات طويلة تكونت في كل قطر عربي ظروف خاصة . لذلك يجب عند الوصول إلى الوحدة العربية مراعاة هذه الظروف الخاصة في كل قطر .

□ هذا دعا إليه الحزب الشيوعي السوري أيام الوحدة .

□ □ نعم ... هذا ما دعا إليه .

□ لقد تطرقت إلى هذه المسألة ، أي مسألة الأمة ، لأن لغطاً كثيراً دار حولها . أو حول موقف الشيوعيين منها ، كما قلت لك ، وأنا لدي أكثر من معطى أريد الاستفسار عنه .

فتحت قبة البرلمان ، وفي السادس من تشرين الأول عام ١٩٥٥ يقول خالد بكداش إن جميع مقومات الأمة ، بما فيها الوحدة الاقتصادية متوفرة لدى العرب .
واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري تصادق في أوائل أيار من ذلك العام على هذا الكلام . إلا أنها تقول : إن مقومات الأمة تكمل بعضها البعض .
وفي المجلس الوطني للحزب عام ١٩٧١ قيل ان مقومات الأمة ليست متوفرة لدى العرب .
الواقع أن شخصيتكم يا خالد بكداش مثيرة للجدل ، حتى في القضايا الاستراتيجية ، مثلاً قضية الوحدة العربية ...

فقاطعني خالد بكداش متسائلاً :

□ □ لماذا لا تتحقق الوحدة العربية الآن ضمن الظروف والإمكانية المتوفرة ؟

فأعدت السؤال إليه :

□ **لماذا ؟**

□ □ أنا أعتقد أن الاشتراكية هي التي تفتح الطريق نحو وحدة عربية واسعة تتطور في المستقبل حتى إلى اندماج الشعوب العربية رسمياً في دولة واحدة .

وتساءل ثانية ، ولكن بإصرار :

□ □ لماذا لسنا موحدين الآن ... لماذا ... لماذا ؟!

□ **أنا أسألك حول عوائق الوحدة العربية !**

فردد كمن حفظ الدرس حتى ملّه :

□ □ التناقضات بين البرجوازيات العربية في كل قطر وسعيها في التسلط على سوقها هذا الذي يمنع الآن الوحدة . ويثبت التجزئة . كل برجوازية في كل قطر عربي ، تريد أن تتمسك بسوقها ! لذلك يبدو أن هناك تناقضات بين البلدان العربية ، وهذه التناقضات تزول عندما تصل الطبقة العاملة إلى الحكم في هذه البلدان ! أي عندما تتحقق الاشتراكية تزول التناقضات بين البلدان العربية .

□ **أريد أن أوضح مسألة . فأنا أعطيت الأهمية للحركة الجماهيرية العفوية أيام الوحدة لأشير إلى نقطة هامة وهي أن المفكرين الوحدويين تابعوا هذه العفوية فيما بعد ، ونظّروا لها . رغم أن الحركة الجماهيرية نفسها انخفض حماسها .**
من خلال هذه المسألة هوجم الحزب الشيوعي باعتباره قوة سياسية لم تتفهم تلك الحركة !
وكان تعقيب خالد بكداش على هذه النقطة ، هو تأكيد على موقف سابق وتكرار له . قال لي :

□ □ هنالك خلط بين موقفنا من الوحدة ، وقد عبرنا عن ذلك في النقاط الثلاثة عشر وبين دفاعنا عن الديمقراطية والحريات العامة والتعددية الحزبية ورفض حل حزبنا . لقد اضطهد حزبنا كما قلت لكم ، واعتقل الكثيرون وعذبوا ، وقتل عديدون تحت التعذيب . ليس في سورية فقط ، وإنما في مصر أيضاً . ومن المعروف أن جثمان الرفيق فرج الله الحلو

ذوب في الأسيد ! هنالك الآن في جبل لبنان قبر لفرج الله الحلو ، ولكن ليس فيه جثة !! ذوبوه في الأسيد ، ولكن الحزب خرج بعد الوحدة قوياً متماسكاً ، وتابع نضاله ، ولم تستطع كل أساليب التنكيل أن تهزمه . والدليل على ذلك وجودنا معكم الآن .

وقد قلت لك ، وأكرر ، إن مثل هذه الأقوال ظالمة ... والأصح أن نقول افتراءات مقصودة .

لقد كان هناك الحزب الشيوعي السوري في البداية . وكنا نحن من أنصار الوحدة السورية . نريد وحدة سورية ولبنان . وعندما حصلت البلدان على الاستقلال . أصبح حزبنا الحزب الشيوعي في سورية ولبنان .

وبعد ذلك ، تطورت الأوضاع ، يعني جرى استقلال لكل حزب . هذا هو التطور التاريخي .

وأضاف بعد لحظات :

□ □ سأذكر لك حادثاً ، كان الحزب الشيوعي الجزائري يتزعمه الأمين العام : العربي بوهالي . التقيت معه في الصين ، في المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الصيني ، وعلى ما أذكر كان ذلك في عام ١٩٥٧ . في ذلك الوقت سألني بوهالي :

ـ ألا تنشرون لي تصريحاً في جريدتكم «النور»؟

فسألته : وماذا ستقول في التصريح ؟ فقال : سأطلب فيه أن تجري مفاوضات بين فرنسا والجزائر حول مصير الجزائر .

وقلت له : لن ننشر هذا التصريح ! بالإمكان أن ننشر لك تصريحاً تقول فيه : نريد استقلال الجزائر ، الحزب الشيوعي الفرنسي له الحق أن يطلب المفاوضات لأن بلاده مستعمِرة ، أما أنت فبلادك مستعمَرة . أنت يجب أن تطلب الاستقلال !

هذا الحديث دار بيني وبين العربي بوهالي في الصين .

* * *

□ قلت لي إن الحزب الشيوعي السوري لم يدع إلى القومية السورية . هل أنتم ضد القومية السورية ؟

□ □ عندما ذهبت إلى موسكو لأول مرة عام ١٩٣٤ ، وكان عمري ٢٢ سنة ، وكان ذلك بدعوة من الكومنترن ، سئلت ، وأنا معروف إنني من سورية : ماهي قوميتك ؟ فقلت لهم : عربي . وهذا السؤال ، وهذه الإجابة ، موجودان في الاستمارة ، وقد نشرتها مجلة النهج في أحد أعدادها . كان ذلك شعوري العفوي ، فأنا في ذلك الوقت ابن ٢٢ سنة . سؤلت : ما هي قوميتك ؟ فقلت : أنا عربي .

أنا نشأت في وسط عربي . تعلمت اللغة العربية ، ودرست في مكتب عنبر .

وشردت أفكاره قليلاً ، ثم أضاف :

□ □ أعتقد أن الرئيس حافظ الأسد على حق عندما قال في مأدبة العشاء التي أقامها على شرف رجال الدين بأنه ، الآن ، إذا أردنا أن نبحث عن نقاوة الدم ، كي نسمي فلاناً بأنه عربي ، فإننا نخطىء تاريخياً وعلمياً .

وأنا معه في ذلك . لقد قلت للرئيس الأسد ، وكنا في قيادة الجبهة : أنا كردي يا سيادة الرئيس . فقال : أعرف ذلك ! وأوضحت له إني من العرب المستعربة !

وأضاف خالد بكداش :

إن للعرب والأكراد تاريخاً مشتركاً ، وهنا في سورية ، لم يجر التفريق بين مواطن وآخر على أساس منشئه أو دينه . هذه النقطة أثيرت في السنوات الأخيرة لغايات سياسية محضة . وللأسف من قبل بعض من يدّعون أنهم شيوعيون .

إنني ابن دمشق ، وفيها رأيت النور . وكذلك والدي وجدي ، والجميع يعرفون ذلك جيداً ، وقد انتخبني أبناء مدينتي وبأكثرية ساحقة لدورتين نيابيتين .

إن دور صلاح الدين الأيوبي في توحيد العرب للوقوف في وجه الغزوات الصليبية أمر معروف . كما أنه ، وفي تاريخ سورية الحديث كان رئيس الجمهورية السورية محمد علي العابد ، الذي امتدت ولايته بين أعوام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٦ وكذلك رئيس الوزراء المرحوم عطا الأيوبي . كان كلاهما من منشأ كردي !

وفي الخمسينات كان وزير الدفاع السيد رشاد برمدا وكذلك وزير الداخلية الأستاذ علي بوظو من أصل كردي . وكانا يمثلان الشعب ، أي أن القضية كانت طبقية .

ومن المعروف أيضاً الدور الهام الذي لعبه العديد من المفكرين ، من أصول كردية ، في حركة التنوير العربية . أذكر منهم الشاعر أحمد شوقي وقاسم أمين والأسرة التيمورية في مصر والزهاوي والرصافي في العراق ، ومحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وخير الدين الزركلي في سورية . وكذلك البطل الوطني إبراهيم هنانو الذي كان ينتمي إلى أسرة كردية في حارم .

* * *

عدت وذكرت لخالد بكداش أن الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي الفلسطيني ، قالا بوحدة المشرق العربي في سنة ١٩٣١ . وسألته عما إذا كان يرى إمكانية توفر مقومات وجود الأمة السورية . فبدا أنه استغرب ذلك ظاناً أنني أقصد أنهما قالا بوجود الأمة السورية ، وسألني محتجاً :

□ □ من أين جئت بهذا ؟!

فأوضحت له :

□ ما قصدته يعني إن الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي الفلسطيني قالا بإمكانية قيام وحدة في المشرق العربي . وأنا أريد استكشاف حقيقة الأمر : هل هذا يعني الدعوة لأمة سورية ؟!

فقال خالد بكداش :

□ □ عندما يقال : وحدة المشرق العربي . فكأننا نقول : وحدة المغرب العربي . واضح ، أليس كذلك ؟ اتحاد المغرب العربي بين مراكش وتونس وليبيا وموريتانيا ... هذا موجود . وأيضاً يمكن أن تصير وحدة المشرق والمغرب . يعني بكلمة : لا يمكن أن تحدث الوحدة العربية بنفخة ، تسير بتدرج ... شيئاً فشيئاً !

□ **إن بعض القوى ، أو الأشخاص ، قالوا بالأمة المشرقية . قالوا بأمة عربية سورية أو أمة عربية مصرية .. كذلك ، فالقوميون السوريون قالوا بوجود الأمة السورية .**

هل توافقون على مثل هذه الطروحات ؟

□ □ هناك شعب عربي سوري . هذا واقع . أما أكثر من ذلك فنحن لم نقل !

ثم أضاف :

□ □ لا علاقة لموقف القوميين السوريين بموقف الحزب الشيوعي السوري !

□ **هل توافقون على القول إن بعض الدول المجاورة لبعضها البعض ، يمكن أن تشكل الأمة بشكل أسرع من الدول الأخرى ؟**

فامتعض خالد بكداش ، ورد بلهجة شديدة :

□ □ والله يا أخ ! انظر ! إطلاق كلمات كهذه عملية سهلة . ولكن يجب التدقيق فيها .

الآن يقال : الأمةالإسلامية . هذا غير صحيح . هناك شعوب إسلامية ، أمم إسلامية . أما أن نقول إن هناك أمة إسلامية واحدة ، فلا يوجد أمة إسلامية واحدة !

الدين لا يمكن أن يكون القوام الرئيسي للأمة . هناك عرب مسلمون ، وبين المسلمين عدة طوائف ، وبين المسيحيين عدة طوائف . فهل نخرج هؤلاء من الأمة لأنهم مسيحيون ؟!

□ **لا طبعاً ...**

□ □ بالتأكيد لا ! مثلاً : خذ أيضاً بعض البلدان الأوربية في كل واحدة ترى أرثوذكس ، وكاثوليك ، وبروتستانت .

□ **يعني أن الأديان والطوائف لا تشكل أمة .**

□ □ يمكن أن يكون في أمة واحدة أديان مختلفة .

□ **لقد بدأنا الحديث بتعريف ستالين ، وأنت وافقت عليه .**

□ □ لأن لينين وافق عليه .

□ **لأن لينين وافق عليه ، ولأنه نتيجة تطور في الفكر الماركسي ـ اللينيني كما تقول ... وأنت تطلب مني أن تكون الكلمات مدروسة ، وأنا سأسألك بشكل محدد :**

هل يمكن القول ، وحسب تعريف ستالين ، أن هناك أمة عربية سورية ؟

صمت خالد بكداش طويلاً ، ثم أجاب باختزال :

□ □ الأصح أن نقول : شعب عربي سوري ، وهذا هو الصحيح !

ثم استطرد :

□ □ هناك شعب سوري . أحياناً ينتقدوننا . أعرف ذلك ... عندما نقول : الشعوب العربية ، يقولون : غير صحيح . يجب أن تقولوا : الشعب العربي . وأنا رأيي بأن هناك شعوباً عربية . شعب مصري عربي ، وشعب سوري عربي ، وشعب لبناني عربي ، وشعب فلسطيني عربي ... إلى آخره ... هناك عدة شعوب عربية موجودة . وهذا الكلام لا يتناقض مع السعي من أجل الوحدة العربية .

□ **لكن المزاج الجماهيري لا يتقبل ذلك . ليس هذا فقط ، بل أن البعض أخذوه دليلاً على موقفكم من الوحدةالعربية . يقولون : انظروا ماذا يقول خالد بكداش ! إنه**

يقول : الشعوب العربية . لا يقر بوجود شعب عربي واحد !

هل ترون أن هذه العبارة ـ أي عبارة : الشعوب العربية ـ من الأخطاء « الصغيرة » التي ارتكبها الحزب الشيوعي السوري أيام الوحدة ، أو في مسألة الوحدةالعربية ؟!

□ □ لا ، لا أعتقد أن ذلك خطأ ... أبداً !

□ **ولو أن الجماهير لم تتفهمه ؟!**

□ □ ولو لم تتفهمه ... ستتفهمه !

□ **يتميز موقف الحزب الشيوعي السوري من وحدة ١٩٥٨ بنقاطه التي وضعها شروطاً لنجاح الوحدة . وكان الشرط الديمقراطي بارزاً آنذاك .**

كيف يربط خالد بكداش شعار الوحدة العربية وشعار الديمقراطية ؟!

□ □ أصبح شعار الديمقراطية الآن شعاراً على كل شفة ولسان .. الديمقراطية ماذا تعني ؟ الكلمة بالذات ، أظنها تعني : حكم الشعب . وأصلها يوناني .

ونحن من أنصار الديمقراطية طبعاً ، لأنها ضرورية للتطور الاجتماعي إلى الأمام . ولكن ذلك لا يعني في مفهومنا أن تعطى الحرية الكاملة للجميع على السواء : يعني التقدميين وغير التقدميين ، قد يؤدي ذلك إلى مخاطر مثل روسيا !

□ **هل تبرزون الآن أهمية الديمقراطية بنفس القوة التي أبرزتموها أيام الوحدة ؟**

□ □ المحرومون من الديمقراطية عملياً هم أكثر القوى الوطنية تقدمية في الوطن العربي . بينما القوى الأخرى عملياً تتمتع بديمقراطية أوسع . مثلاً ، وبصراحة ، خذ الأصوليين ، إنهم يتمتعون بديمقراطية واسعة ، يستغلون المساجد ، يستغلون مختلف أشكال العمل بحرية كاملة .

وقال بالإفرنسية :

□ □ يا حريتي الغالية كم من الجرائم ترتكب باسمك !

وأظن أن دانتون أحد المفكرين الفرنسيين قال ذلك .

وأخيراً : نحن من أنصار كل وحدة عربية موجهة ضد الإمبريالية وقائمة على أسس ديمقراطية مع الأخذ بعين الاعتبار الأوضاع والظروف الموضوعية لكل قطر ، هذا هو موقفنا !

* * *

□ **بقيت نقطة هامة في هذا الإطار ، إنها مسألة الأقليات القومية . فبعض الأكراد مثلاً يطرحون شعار إقامة دولة كردستان التاريخية . هل أنت مع قيام هذه الدولة ؟**

□ □ لقد التقيت مع ممثلي القوميين الأكراد . وقلت لهم : الآن يجب الاكتفاء بالحكم الذاتي الحقيقي ضمن الحدود الدولية ، وفي المستقبل ، حسب ما تتطور الأمور ، وعندما تنتصر الاشتراكية في المنطقة يمكنكم إذا اتفقتم أن تؤلفوا في هذه المناطق دولة كردستان .

□ **ولو تم أخذ جزء من سورية ؟! إن الحدود التي يرسمها القوميون الأكراد تشمل جزءاً من سورية أيضاً !**

□ □ انظر إلى الجزيرة ، الجزيرة ليست منطقة كردية . يوجد فيها عدد كبير من الأكراد . ولكن يوجد بينهم عرب كثيرون ، يوجد آشوريون وتركمان .

□ **إذاً لا تشمل كردستان جزءاً من سورية ؟**

□ □ عندما تنتصر الاشتراكية يكون من السهل الاتفاق على ذلك كله .

□ **يعني تحل في الإطار الاشتراكي ؟**

□ □ نعم .

□ **والشركس والأقليات الأخرى ؟**

□ □ نحن الشيوعيون من أنصار حقوق الأقليات القومية ، ولكننا في الوقت نفسه لسنا ضد التمثل الطوعي . يعني الاندماج الطوعي لسنا ضده !

□ **ألا تصطدم الوحدة العربية بمسألة الأقليات ؟**

□ □ كان حزبنا ، ولا يزال ، مع الموقف اللينيني فيما يتعلق بحقوق الأقليات القومية الموجودة في البلدان العربية . نحن من أنصار الحكم الذاتي للأكراد ، ومسألة الأخوة العربية الكردية قديمة ... مثلاً : في سورية لعب الأكراد دوراً جيداً في مسألة النضال ضد الاستعمار .

وأنا أذكر ، وعندما كنا صغاراً ، أيام الثورة السورية في سنة ١٩٢٥ . كنت أنا في بيتنا في ركن الدين . وفي ذلك الوقت ، كانت الحملات الفرنسية تطلع من الحي إلى البساتين حيث يتواجد الثوار . كنا نسمع طلقات نار . ثم نشاهد القوات التي أرسلتها فرنسا راجعة وهي تحمل قتلاها وجرحاها . وبعدهم بقليل كان يأتي الثوار أيضاً بعتادهم وسلاحهم ، ويشترون ما هم بحاجة إليه من الدكاكين الموجودة في الحي . كنا نستقبل هؤلاء الثوار بابتهاج .

وقضية الأخوة العربية الكردية موجودة ، ولها أساس ونحن من أنصار منح كل الأقليات القومية الحقوقَ المدنية ، والحقوق الثقافية ... إلى آخره .

□ **هل يجب أن يعطى الحكم الذاتي للأكراد الموجودين في سورية ؟**

□ □ في سورية لا يوجد مناطق واسعة للأكراد . الحكم الذاتي فقط في تركيا وإيران والعراق . وهنا ، أي في سورية ، حقوق ثقافية مدنية .

□ **لماذا تكثر الأقليات القومية والدينية داخل الأحزاب الشيوعية . لماذا نرى كثرة من الأكراد والأرمن والشركس بين الشيوعيين ؟!**

□ □ الشيوعيون الأرمن ... الشيوعيون الأكراد هم شيوعيون قبل كل شيء ليس لديهم تعصب قومي . إن موقفهم هو موقف طبقي .

□ **لم تجبني على سؤالي !**

□ □ لهذا السبب .. للسبب الطبقي . انظر إلى الأكراد ، أين لهم كيان ؟ في الاتحاد السوفييتي ، عندهم إذاعة ، عندهم حكم ذاتي ، ولغة ، وجريدة ، ومدارس .

□ **يعني لأن الاشتراكية تحل مسألة الأقليات ؟**

□ □ هذا يعرفونه هم .

□ **لذلك يلجؤون إلى الأحزاب الشيوعية ؟**

□ □ يؤيدون الأحزاب الشيوعية .

□ كان البعض يصوتون في انتخابات مجلس الشعب بوضع اسمين : خالد بكداش أو وصال فرحة مع اسم مروان شيخو ! هل هذا التصويت على أساس قومي باعتبار أن هذه الأسماء لأكراد ؟!

□ □ الذين يؤيدون هذا المرشح أو ذاك ، هم أبناء حيّه ، هذا هو الأرجح . الأستاذ مروان شيخو ووصال فرحة لم يكونا المرشحين الوحيدين في الحي . كان هنالك مرشحون آخرون غيرهم ، ولم ينالوا غالبية الأصوات . وفي انتخابات عام ١٩٥٤ نلت وخالد العظم غالبية الأصوات مع وجود مرشحين آخرين من أبناء الحي !

□ برزت مسألة الأقليات الآن في عدد من بلدان العالم . وبخاصة بعد تصاعدها في الاتحاد السوفييتي . ومن الملاحظ تزايد الكتب التي تتحدث عن تاريخ الأقليات القومية . ما هي ملاحظتك على هذه النقطة ؟

□ □ ليس لدي علم !

ربما يكون ذلك عفوياً . شعور الأقليات شعور عفوي طبيعي . ويوجد في أوساطهم تقدميون . ويمكن للأوساط الإمبريالية أو الصهيونية أن تستغل الشعور القومي عند هؤلاء .

على كل حال ، يمكن الإشارة إلى تيارين : ناس يؤيدونها بإخلاص . وناس يحاولون استغلالها ، وهؤلاء مربوطون بأوساط المخابرات الإمبريالية والصهيونية .

□ هل هناك احتمال بتصعيد مسألة الأقليات في الوطن العربي ؟!

□ □ والله ... لا أعتقد !

* * *

وعندما انتهى حديثنا . قال خالد بكداش :

□ □ شكراً لك ... إننا نتعبك !

وكنت أعرف من كلامه أنني أنا الذي أتعبه بما يعتبره أقاويلاً . ولكني اعتبرت جملته هذه ملاطفة ، وقلت بقناعة أكيدة :

□ أنا سعيد جداً .

ونهض ، وهو يتوكأ على عصاه !

حول
القضية الفلسطينية



الفلسطينيون ، هم الوحيدون ، الذين بإمكانهم ، الحكم على موقف خالد بكداش من القضية الفلسطينية . ليس لأنهم أصحاب الحق الشرعيين فحسب ، بل لأنهم أيضاً ، ساهموا في رسم الإطار العام لحركة التحرر العربية في فترة كانت القضية الفلسطينية فيها هي القضيةالمركزية لقضايا العرب المطروحة أمام حركة التحرر العربية .

وقد تسنى لي ، خلال فترة من الزمن ، الاحتكاك المباشر مع الرجال المقاومين الفلسطينين ، وبعض قادتهم . وكان التوجه واضحاً آنذاك (أي في مطلع الثمانينات) لدى هؤلاء لتعميق العلاقة مع الحزب الشيوعي السوري . بل ومع الأحزاب الشيوعية العربية كلها . هذا التوجه ترافق وقتها مع بداية علاقات من نوع جديد بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وبين الاتحاد السوفييتي .

لقد وجه الاتحاد السوفييتي في أواخر السبعينات دعوات لقادة المقاومة ، يزورون خلالها موسكو ، لبحث السبل الكفيلة بتقديم الدعم السوفييتي للمقاومة الفلسطينية . كان ذلك نتيجة التحول الواضح ، والمنعطف النضالي الهام في فكرالمقاومة الفلسطينية وممارستها ، والمتجسد في التخلي عن أحد أشكال نضالها ، والذي استغل في الإساءة لقضية الشعب الفلسطيني (*) .

كان شعار تحرير فلسطين ، قبل هذه الفترة ، وبما يحمله من بعد استراتيجي ، في

(*) أذكر في هذا الصدد زيارة الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى موسكو . والزيارة المماثلة التي قام بها الدكتور سمير غوشة الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني . وكان الموقف السوفييتي متميزاً في تقديم الدعم لهذه الفصائل حتى على الصعيد العسكري .

الحفـاظ على وحدة كـامل التـراب الـوطني الفلسـطيني . هـو الذي يسيطر على العـاطفـة الفلسطينية دون الأخذ بعين الاعتبـار معطيات التجربة التاريخية ، ولا توازن القوى الدولي ، ولا الوضع الإقليمي المحيط .

وكان الجميع يقيِّمون المواقف على هذا الأسـاس . وكانت القوى ، أو الدول التي توافق على قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ تصنف في خانة خاصة إن لم تتعرض لانتقاد شديد من قبل المقاومة الفلسطينية !

إن التوازن الإقليمي والدولي كان باستمرار في غير صالح القضية الفلسطينية . وهذه الحقيقة ، نراها بوضوح ، أو نتلمسها بوضوح ، منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ ووصولاً إلى مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ مروراً بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وهزيمة ١٩٦٧ ، ومن ثم القـرارين ٢٤٢ و٣٣٨ .

وضمن هذه المعطيات ، يمكن لأي كان ، محاولة تقييم موقف الحزب الشيوعي السوري وخالد بكداش من القضية الفلسطينية . لقد بدا لي من خلال الحوار معه أن هذا الشيء لم يكن غائباً في لحظة من اللحظات عن ذهنه . ولكن الطرح الذي كان يطرحه في كل مرحلة ، كان يخضع لاعتبار أساسي ، وهو تاريخية موقف الحزب من هذه القضية .

على هذا الأساس ، رأى خالد بكداش أن من النافل اليوم نشر نص البيان الرباعي الذي أصدرته عدة أحزاب شيوعية عربية ذات يوم ، والحزب الشيوعي السوري من بينها ، وكان ضد قرار تقسيم فلسطين ، وذلك لأن الجميع يتمنون الآن أن يطبق هذا القرار ، أو حتى أدنى منه !

إن التاريخ عند خالد بكداش ، هو الذي يعود ويكشف حقائقه الماضية :**لقد ناضل حزبنا بلا هوادة ضد التقسيم ، وقبل ذلك ، ناضلنا بصراحة وبقوة ضد هجرة اليهود الى فلسطين** .

هكذا يقول خالد بكداش ، ونراه واضحاً في الحديث عن المرحلة التالية ، وكشف ملابسات ما بعد التقسيم . إذ لم يشعر الحزب الشيوعي بالاحراج فقط ، كما يقول ، وإنما سـال دمه . سـال دم الحزب الشيوعي السـوري بحجة موافقة الاتحاد السوفييتي على التقسيم !!

* * *

وتبرز في هذا السياق ، مسألة هامة ، ينبغي التقصي عن خفاياها . وبالنسبة لجميع القوى . أقول : ينبغي ! لأن التاريخ العربي الآن بحاجة إلى نشر . إلى شيء من العلنية . بحاجة إلى غسل من شواش المراحل السابقة !!

وهذه النقطة هي مسـألة : المشـاركة في المقاومة الفلسطينية ، وبالتحديد : العمل المسلح . إن خالد بكداش يفصح هنا ولأول مرة ، عن أن الشيوعيين شاركوا في هذا العمل ، وقدموا الشهداء ... ولكن لديهم من الاعتبارات الاستراتيجية ما يفرض عليهم عدم نشر التفاصيل حول هذه المسألة !

لماذا يا ترى ؟

إن مسألة الاستراتيجية الدولية ، هي التي تفرض نفسها ، والتاريخ في مرحلة صياغته القادمة هو الذي يكشف مثل هذه الحقائق وأبعادها .

لقد ذهبت إلى خالد بكداش مثل كل المرات السابقة ، متحفزاً ، مثقلاً بأسئلة كثيرة حول التاريخ ... وكنت أثق أن محاولتي ستنجح ، وأن هذه الشخصية الهامة ستجيب على أسئلتي بنفس الدقة والهدوء الذي أجابت فيه على أسئلتي السابقة .

قلت لخالد بكداش :

□ كان الموقف من القضية الفلسطينية من المسائل الأساسية التي ثار الجدل حولها في تاريخ الحزب الشيوعي السوري ، وبمراحله المختلفة ... لنعد إلى البدايات ونستعرض مواقف الشيوعيين السوريين .

□ □ لقد وقفنا ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وقفنا مع الاستقلال الفلسطيني ، وخروج بريطانيا من فلسطين ، وقيام دولة مستقلة ديمقراطية يعيش في ظلها العرب واليهود معاً .

هذا هو موقفنا آنذاك . وعندما حدث التقسيم صوَّت الاتحاد السوفييتي مع قرار الأمم المتحدة في هذه المسألة . ولكن بعض فصائل المتعصبين والرجعيين ، استغلت موقف الاتحاد السوفييتي هذا . وقامت بهجوم شرس على حزبنا ، مع أنه ، لم يكن لنا من ذنب . الاتحاد السوفييتي صوّت ، ونحن ما شأننا ؟!

ومن المفارقات اليوم . أن الذي يحدث ، والذي وصل إليه الفلسطينيون والحركة الوطنية العربية عموماً هو التقسيم .

الآن صار مطلباً !

□ ولكن موقف الحزب الشيوعي السوري لم يكن محسوماً ! مرة يكون مع التقسيم ، ومرة يكون ضد التقسيم . أريد تطورات هذا الموقف !

□ □ نحن لم نؤيد مسألة التقسيم !

□ في البداية .

□ □ لم نؤيدها .

□ كيف كان الموقف إذاً ؟

□ □ الدولة الديمقراطية المستقلة التي يعيش فيها العرب واليهود معاً ... هذا كان موقفنا .

□ يعني كان ضد التقسيم ؟

□ □ لم ندع للتقسيم ، ولم نؤيده . وبعدها ، وعندما حدثت تطورات . صار موقفنا هو النضال في سبيل قيام دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل ... وهذا هو التقسيم .

نحن نرى أن موقف الأنظمة العربية ، وبالاتفاق مع المستعمر أدى إلى استفادة إسرائيل من قرار التقسيم أكثر مما كان يمنحها هو عام ١٩٤٧ .

□ يعني أخذت من الأراضي أكثر مما كان يعطيها قرار التقسيم ؟

□ □ نعم ... نعم .

☐ لماذا انتقل موقف الحزب الشيوعي السوري من : ضد التقسيم ، إلى : مع التقسيم ؟

☐ ☐ ارجع إلى ما قلته في تقرير اللجنة المركزية الذي قدمته أمام المؤتمر الثالث ، فقد قلت وقتها إنَّ النقص الذي وقع فيه حزبنا آنذاك هو إغفاله للتذكير بمواقفنا . قلت إن الحزب الشيوعي السوري دافع عن موقف الاتحاد السوفييتي آنذاك . لم يكن الاتحاد السوفييتي مسؤولاً عن التقسيم . الاستعمار والرجعية العربية هما المسؤولان ، لأنهم أرادوا إلقاء المسؤولية على الاتحاد السوفييتي(*) .

☐ الاتحاد السوفييتي طلب من المندوبين العرب التنسيق من أجل صياغة مشروع متكامل قبل صدور قرار التقسيم .

☐ ☐ المندوبون العرب للأسف لم يتجاوبوا مع الاتحاد السوفييتي . كانوا يسعون لإرضاء انكلترا . كانت انكلترا تعد لمؤامرة كبرى وقتها .

☐ هل كان قرار التقسيم صائباً ؟

☐ ☐ كنا سنجد دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل . وهذا شيء قانوني . اليوم ، إسرائيل تقبل أي شيء ما عدا الدولة الفلسطينية .. أليس كذلك ؟!

لو كان الوضع هو وضع التقسيم لكان وضع الفلسطينيين أفضل من الآن .

☐ لا أعرف لماذا أشعر الآن أن الأجيال القادمة ستتطلع إلى ما نكتبه الآن ، أو نحكيه ، وهم يثقون جيداً أن ثمة خللاً مافي التاريخ .

ربما يكون هذا عادياً ، فكل يقرأ من زاويته ، ولكنني أريد الحقيقة . إذ أنني وعندما قلت لكم إن الحزب غير موقفه من التقسيم ، حيث كان ضده ، ثم صار معه ... تعالى الصوت في وجهي إن الحزب الشيوعي لم يكن مع التقسيم لا عام ١٩٤٧ ولا بعد ذلك .

إن هذا جعلني حذراً متسائلاً إزاء ما حصل . ولا أخفيك أنني قرأت في وثائق المؤتمر الثالث أن الحزب ناضل بلا هوادة ضد التقسيم . ولكن ، ومن أشخاص كثيرين ، وفي مراكز قيادية في حزبكم يوجد تأكيدات واضحة بأن ثمة موافقة عليه :

(*) يقول خالد بكداش في تقريره أمام المؤتمر الثالث عام ١٩٦٩ : « وعندما برز مشروع تقسيم فلسطين بالاتفاق بين الدول الاستعمارية ــ وخصوصاً أمريكا وانكلترا ــ وبين زعماء الصهيونية العالمية بحجة أن الحياة المشتركة بين العرب واليهود أصبحت غير ممكنة لى أرض فلسطين ، شننا نضالاً شديداً لاهوادة فيه ضد كل مشروع للتقسيم مهما كان شكله ونوعه ومسمياته . واستمر ذلك إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية » ص ٢٤ / ٢٥ من وثائق المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي السوري ــ حزيران ١٩٦٩ ــ منشورات الحزب .

وقد قدمت لي وثيقة تؤكد وقوف الحزب الشيوعي السوري مع ثلاثة أحزاب عربية شيوعية أخرى ضد التقسيم . وعرفت هذه الوثيقة بالبيان الرباعي . (راجع الوثائق الملحقة بهذا الكتاب) وكان هذا البيان نتيجة لاجتماع بين ممثلي هذه الأحزاب في بيروت تقررت فيه الخطوط الرئيسية لهذا البيان . وقد صاغ خالد بكداش هذه الخطوط لأن البيت الذي عقد فيه الاجتماع دوهم من قبل رجال الأمن وذهبت الوثائق منه . (نقلت هذه المعلومات عن لسان أميل حبيبي) .

« ظهير عبد الصمد وآخرون » . لا بل إن وثائق كثيرة ومن خارج الحزب تقول بذلك أيضاً . وأنا أستعير العبارة من ظهير عبد الصمد ، وأقول : ينبغي أن نصارح أطفالنا في الحقائق ! ولكن ليس شرطاً أن تكون الحقيقة ضد ما تقولون . ربما تكون ضد ما يقولون هم ... وها أنا أقرأ عليك عبارة حرفية من أحد الكراسات المناوئة لكم ، تقول العبارة :

« في حين يقف الحزب الشيوعي السوري في زاوية حرجة بعد موافقته على قرار التقسيم ، واعتراف الاتحاد السوفييتي بدولة إسرائيل » .

على هذا الأساس يكون الشك قد زال من صدري ، وأنا أحاول المساهمة في صياغة مرحلة من المراحل ، المعذرة يا سيدي على إلحاحي . لقد كانت القضية الفلسطينية من المؤثرات الهامة على مسار الأزمات في الحزب الشيوعي السوري .

□ □ كما قلت لك ، لقد ناضل حزبنا بلا هوادة ضد التقسيم . وقبل ذلك ناضلنا بصراحة وبقوة ضد هجرة اليهود إلى فلسطين .

لقد اتهمنا بالموافقة على التقسيم لأن الاتحاد السوفييتي وافق عليه ، ولكن ماذا أرادوا في الحقيقة ؟!

كثيرون في الميدان الدولي يعرفون .. أعني : ممثلي الاستعمار والإمبريالية .. والرجعيون جيمعاً في منطقتنا أرادوا أن يلقوا المسؤولية ، أي مسؤولية التقسيم ، على الاتحاد السوفييتي بالتالي ، أرادوا أن يجروا أيضاً القضية ... هذا الموقف على الشيوعيين ومن جملتهم الشيوعيين السوريين .

في الحقيقة . إن الإمبرياليين والرجعيين في منطقتنا ، وفي كل مكان ، هم الذين تآمروا ، فأفسحوا المجال للتقسيم . نحن كنا مع جلاء القوات البريطانية عن فلسطين و إقامة دولة ديمقراطية يعيش فيها العرب واليهود . كنا مع وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ... ولم يتحقق ذلك لأسباب معروفة تبدأ من وعد بلفور .

ونحن ... ماذا فعلنا في ذلك الحين . دافعنا عن وضع الدولة الاشتراكية الأولى . دافعنا عن الاتحاد السوفييتي . ودللنا أن المسؤولية لا تقع عليه . تقع على جميع الآخرين ، وليس على الاتحاد السوفييتي . من هنا استغلوا هذا الموقف (أي : دفاعنا عن الاتحاد السوفييتي) لكي يشنوا هجمة رعناء على حزبنا ... ليس على حزبنا فقط . بل وعلى جمعية الصداقة السورية السوفيتية !

كان تقسيم فلسطين ينص على تقسيم الأرض . أنتم تعرفون ذلك .الرجعيون في منطقتنا بالاتفاق مع الأوساط الاستعمارية رفضوا التقسيم . ليس لأنهم ضد التقسيم . بل لكي يتركوا المجال أمام إسرائيل لكي تحتل أراضي أوسع من الأراضي التي كان ينص عليها قرار التقسيم نفسه ... هذا واقع ما جرى .

من كان في الحكم آنذاك ؟ من كان .

الملك عبد الله ، نوري السعيد ، الملك فاروق ملك مصر ... هؤلاء هم الذين كانوا في الحكم آنذاك ، لقد رفضوا كل تعاون مع الاتحاد السوفييتي رغم صدور وعد بلفور وقيام

إسرائيل . وقد أراد الكثيرون منهم أن يباركوا موقف بريطانيا ، وأيضاً أن يلقوا المسؤولية على الاتحاد السوفييتي !

من الذي فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ؟

الاستعمار البريطاني ، والرجعيون العرب سهلوا مسألة بيع العرب لإراضيهم لليهود ! نحن كنا ضد بيع الأراضي لهم ولو مقابل أموال طائلة . أما هؤلاء الذين اتهمونا . ولا زالوا يتهموننا (أعني أحفادهم) فهم المسؤولون الأساسيون عما وقع ، وما يقع الآن أيضاً لفلسطين !!

إذا تركنا الماضي ، ونظرنا إلى الحاضر ، وإلى المستقبل ، فماذا ينبغي أن نعمل ؟ ينبغي أن نعمل جميعاً لأوسع تضامن عربي في سبيل الوقوف ضد ما ترمي إليه إسرائيل الآن . حيث تريد استغلال مسيرة السلام في المنطقة . لماذا ؟ لكي يعترف بها العرب كما هي الآن ! أي مع احتلالها للجولان وللأراضي العربية المحتلة الأخرى هذا هو المقصد الإمبريالي الصهيوني من تسوية الشرق الأوسط . وذلك طبعاً ضد ما نريده نحن ، ويريده جميع الوطنيين العرب (وأصر على كلمة الوطنيين العرب) بأنه لا تسوية بدون استرجاع الأراضي العربية المحتلة ، وبدون وقف عملية الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة !

□ لنبق قليلاً في فترة التقسيم ... لقد شعر الحزب الشيوعي السوري بالإحراج بعد موافقة الاتحاد السوفييتي على التقسيم .

□ □ لم يشعر فقط بالإحراج ، سال دمه ، سال دم الحزب الشيوعي السوري بحجة الاتحاد السوفييتي وموافقته على التقسيم . ولكنه ليس مسؤولاً عن التقسيم . لم يكن هو المسؤول عن التقسيم . المسؤولون هم الرجعيون في منطقتنا والإمبريالية العالمية ، وفي طليعتها الإمبريالية البريطانية .

□ هل يوجد نص أو بيان يشير إلى موافقة الحزب الشيوعي على التقسيم بعد موافقة الاتحاد السوفييتي ؟

□ □ لا أعتقد ... إن ذلك لم يحدث بتاتاً .

كان موقف الحزب متجهاً نحو الدفاع عن الاتحاد السوفييتي والسعي لكي تبقى أواصر الصداقة والتعاون بين العرب والاتحاد السوفييتي ضد الإمبريالية والصهيونية .

لنسأل في هذا السياق : لماذا أرادوا تشويه موقف الاتحاد السوفييتي ، وإلقاء المسؤولية عليه ؟ السبب هو ، السعي إلى عزل سورية عن الاتحاد السوفييتي وعن العرب عموماً . لكي يسهل لهم نهش لحمنا .

إن الجماهير الشعبية ، والوطنيين العرب مع تطور الأحداث أدركوا أنه ليس في مصلحتهم أبداً العداء للاتحاد السوفييتي وكما تعلمون ، تطورت علاقات الصداقة والتعاون بين العديد من البلدان العربية . وكان من وراء ذلك الخير الكثير لشعوبنا العربية .

الآن نحن ضد هجرة يهود الاتحاد السوفييتي إلى إسرائيل . نحن ضد هذه الهجرة . ولكن ، لنسأل : من يُسهِّل الهجرة الآن ؟! إنهم هؤلاء الذين تنكروا للاشتراكية . وصاروا « ديمقراطيين » ! ويتعاونون مع الإمبريالية الأمريكية ، ويتنكرون لمعاهدة الصداقة بين

سورية والاتحاد السوفييتي ! هؤلاء المستسلمون والمحرفون والصهاينة في قلب الاتحاد السوفييتي . وهذا ما يفعلونه !

□ **أريد أن أوضح مسألة : لقد جاء الحديث عن التقسيم من أكثر من طرف . فلو افترضنا جدلاً أن بعض الأطراف تريد أن تتصيد الحزب الشيوعي السوري . أو خالد بكداش كشخص . فما الدافع لكي يقول ظهير عبد الصمد : إن الحزب الشيوعي السوري وافق على التقسيم ؟ وهناك غير ظهير أيضاً . وفي قيادة الحزب التاريخية . لقد كانوا في الحزب وليس خارجه . إن ذلك حدث في المؤتمر الثالث أيضاً !!**

□ □ قلت لك : نحن لم نعلن موافقتنا على التقسيم . دافعنا عن الاتحاد السوفييتي ، هذا الذي جرى .. وظهير ؟!... لا أريد الكلام عن الأشخاص .

إن الذي ينظر إلى تاريخ ظهير حتى الآن يعلم جيداً ، ويرى بوضوح أن ظهير ورغم كل محاولات تشجيعه وضبطه لم يكن في يوم من الأيام شيوعياً .

□ **بأي معنى ؟!**

□ □ لم يكن من أنصار وتبني الماركسية ـ اللينينية . ما كان شيوعياً ! كانت كل المساعي ، التي بذلت في حزبنا ، وخصوصاً في قيادته لأجل ... يعني : تشجيعه ، وتحسين موقفه ... إلى آخره . والآن موقفه واضح . لا أعرف إذا كنتم قرأتم له مقالاته ، فترون موقفه الآن(*) إنه يقف حتى الآن موقف شماتة من الحزب الشيوعي السوفييتي . يقول إنه حزب يستحق ما جرى له . موقف شماتة ، عوضاً عن موقف تضامني ضد الاضطهاد الذي يلاقيه الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . إن ظهير عبد الصمد يهلل لهذا الاضطهاد ، ويقول إن هذا صحيح ونتيجة وضروري .

ليسوا قليلين الذين انضموا إلى الحزب الشيوعي صدفة ، أو هكذا جاؤوا دون قناعة علمية . دون دراسة معمقة للماركسية ـ اللينينية . هناك أفراد من هذا النوع جاؤوا إلى الحزب ثم ...

تعجبني قصيدة لرئيف خوري ، يسميها القافلة . والله يجب أن نبحث عنها وننشرها . قصيدة جميلة جداً . يتحدث عن كيفية مشي القافلة . وإنه لا بد أن يقع ، أو يسقط منها ، أو يتخلف عنها خلال سيرها من هنا ومن هنا أفراد قليلون .

□ **ربما كان موقفاً شخصياً من ظهير ؟!**

□ □ سياسي !

□ **كيف ؟**

□ □ يريدون النهش من لحم الشيوعيين !!

* * *

(*) نشر ظهير عبد الصمد ، وعلى حلقتين متواليتين وجهة نظره في انقلاب آب ١٩٩١ الذي فشل في الإطاحة بالرئيس السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشوف . وكان عنوان هذا المقال : دود الخل منه وفيه ، ورب ضارة نافعة . راجع دراسات اشتراكية : العدد ١١٨ ، تشرين أول ١٩٩١ والعدد ١١٩ تشرين ثاني ١٩٩١ . ويقول فيه : « إن ما جرى في الاتحاد السوفييتي من تغيرات بيريسترويكية كان طبيعياً ، وكان تعبيراً عن حاجة ملحة » ص ١٠ من العدد ١١٨ .

□ **لقد أدى تقسيم فلسطين إلى انقسام الحزب الشيوعي الفلسطيني . مع من وقف الحزب الشيوعي السوري ؟**

□ □ نحن أيدنا عصبة التحرر الوطني . وأذكر أن قادة هذه العصبة جاؤوا إلى سورية . وتناقشت معهم ، وشجعتهم على المسير في هذا السبيل .

الحزب الشيوعي الإسرائيلي كان وجوده طبيعياً بعد ما تشكلت الدولة . يوجد فيه عرب ، ويوجد فيه يهود صاروا شيوعيين . وقام الحزب الشيوعي الإسرائيلي . ولكن كالعادة ، أيضاً ، ظهرت في صفوفه وفي قيادته عناصر صهيونية : ميكونس الذي كان الأمين العام لهذا الحزب ، قلت عنه مرة : هذا ليس شيوعياً ، إنه في أحسن الأحوال صهيوني يساري . وتبين وجهه الحقيقي عندما جرى أول اصطدام بين إسرائيل وبين العرب . فقد أيد موقف إسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستنكر موقف العرب وسماه عدواناً ! عندئذ قال لي بعض الرفاق في الميدان الدولي : إنك كنت على حق عندما كنت تقول إن هذا صهيوني يساري ، وليس شيوعياً .

□ **في الجانب الآخر ، هناك شيوعيون فلسطينيون رفضوا المشاركة أو الانضمام إلى صفوف الحزب الشيوعي الإسرائيلي انضموا إلى الحزب الشيوعي الأردني .**

□ □ هناك أسباب جغرافية . من المعروف أن الشيوعيين العرب كانوا في عصبة التحرر . الذين بقوا في المناطق المحتلة مثل أميل حبيبي وأميل توما وتوفيق طوبي دخلوا الحزب الشيوعي الإسرائيلي . والذين بقوا في الضفة الغربية والأردن تحولوا إلى الحزب الشيوعي الأردني . فؤاد نصار مثلاً عمل في تأسيس الحزب الشيوعي الأردني . يعني أن المسألة ليست قضية رفض أو غير رفض . صار بينهم قضية حدود جغرافية .

□ **والعلاقات بين الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي الإسرائيلي .**

□ □ التقينا ، ونلتقي في عدد من اللقاءات الدولية والمؤتمرات كانوا يدعوننا معاً . وكنا نلتقي هناك .

□ **هل انعكست هذه العلاقات على علاقتكم مع حلفائكم في الجبهة الوطنية التقدمية ؟**

□ □ لا ... لم يحدث شيء من هذا !

* * *

□ **هل ترى أن موقف الاتحاد السوفييتي من مسألة التقسيم كان صحيحاً من الناحية المبدئية ؟**

□ □ لم يكن لديهم مخرج آخر . الرجعيون أكدوا أنهم لا يمكن أن يتعايشوا في دولة واحدة مع اليهود . أكدوا ذلك ، فما كان إلا ظهور دولتين بدل دولة واحدة !

□ **يعني أقروا سياسة الأمر الواقع ؟**

□ □ نعم هذا الذي حصل عملياً . ولكن الاتحاد السوفييتي كان يفضل أن تكون هناك دولة ديمقراطية واحدة .

□ **بعد التقسيم هل طرأ أي تغيير على موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الفلسطينية ؟**

□ □ يعني نحن وجميع الوطنيين العرب ، القوميين العرب ، العرب التقدميين صار همنا هو الوقوف بوجه مساعي التوسع والعدوان الإسرائيلي . القضية الكبرى صارت هكذا !

□ **انصب الاهتمام حول وقف التوسع ؟.**

□ □ إيقاف التوسع الصهيوني . والآن ، كما ترى ، مساعي التسوية السائرة الآن ، ترمي إلى إقامة سلام بين دولة إسرائيل ، وبين العرب . إسرائيل تريد أن يكون السلام معها على أساس السلام مقابل السلام . والعرب ، وخصوصاً سورية يريدون أن تكون الأرض مقابل السلام . وهذا ما ترفضه إسرائيل .

هذا هو همنا الآن !

* * *

□ **حرب الشعب الطويلة الأمد ، شعار طرح لحل القضية الفلسطينية . كيف تعامل الحزب الشيوعي مع هذا الشعار ؟**

□ □ نحن أيضاً ، وبالتعاون مع الحزب الشيوعي الأردني ، شكلنا ما أسميناه وقتها : تجربة الأنصار . فبعد هزيمة ١٩٦٧ بدأت هذه الفكرة وشارك فيها الحزب الشيوعي العراقي بالإضافة إلى ما ذكرت . كان هدفها المساهمة في النضال ضد الصهيونية ، وبشكل مسلح . وقد قمنا بعمليات داخل الأراضي العربية المحتلة واستشهد لنا عدد من الرفاق . ولكن لم تعلن الأسماء لأن كل واحد منهم كان يعمل في تنظيم محدد استشهد باسم تنظيمه . لقد استشهد لنا في النضال داخل العمل الفدائي عدد لابأس به من الشهداء . حتى في العمليات الأولى التي قاموا بها داخل إسرائيل . بل وفي أول عملية(*) .

□ **أرجو التوسع في هذا المسالة ! أول عملية ؟. من مثلاً ؟!**

□ □ لا نقدر أن نتكلم ! نحن لدينا شيوعيون في جميع منظمات المقاومة ، لكن غير معروفين كشيوعيين . كانوا يعملون كمناضلين دون أن يسموا أنفسهم شيوعيين !!

□ **هل اكتشف أحد منهم ؟**

□ □ سرح البعض بتهمة الشيوعية ! البعض لأنهم يطرحون الفكر الشيوعي فقط . وهناك من اتهموا بأنهم أعضاء في الحزب الشيوعي السوري . رفاق بسطاء ، يعني عاديين .

□ **هل كان ذلك بتوجيه من الحزب ؟**

□ □ طبعاً كانت توجيهات للحزب . من أجل أن لا يعرف أحد من رفاقنا ، ومن أجل المساهمة في هذا النضال . عند اللزوم نحن نقوم بذلك ، ولكن لِمَ كنا نعلن أنهم ليسوا شيوعيين ؟ لكي لا يتعرضوا للاضطهاد . لكي لا يتعرضوا للإبادة !

(*) من بين الأسماء التي ذكرت لي ، واستشهدت في العمل من أجل القضية الفلسطينية ناصر عيسى وحكمت قطان . كما ذكر نضال آله رشي الذي استشهد أثناء مقاومة نيوجرسي عام ١٩٨٢ .

□ **لماذا أوقفتم تجربة الأنصار ؟**

□ □ كل المقاومة انحسرت ، ومن جملتها الأنصار .

□ **ولكن أحمد فايز الفواز يقول في كلمة له في المجلس الوطني عام ١٩٧٠ إن هذه التجربة فاشلة لأنه لا يوجد الآن (وقتها) سوى عضو واحد في منظمة الأنصار !**

□ □ غير صحيح . لقد شارك العشرات في هذه المنظمة .

* * *

□ **لقد تأثرت بعض الطروحات الفكرية بالتجربة الفيتنامية . وحاولت إسقاطها على القضية الفلسطينية ، وهذا ما جعلني أتساءل حول موضوعة الحرب الطويلة الأمد . وكما أعرف ، فإن الحزب الشيوعي السوري أيد كفاح الشعب الفيتنامي الذي يقوده هوشي منه .**

هل أحسستم بضرورة الاستفادة من التجربة الفيتنامية من أجل حل القضية الفلسطينية ؟

□ □ لقد اهتممت بقضية فيتنام من زمان ، وكانت تربطني أواصر صداقة مع هوشي منه . التقيت به عدة مرات في موسكو . ولكن حول موضوع الاستفادة من التجربة الفيتنامية ، فهمناها أنها مقاومة . إقامة مقاومة . وهذا ما جرى .

□ **تمت دعوات إلى إقامة نظام « فيتنامي » ، يكون قاعدة الانطلاق باتجاه فلسطين ، ويحمي المقاومة الفلسطينية .**

□ □ نحن ناضلنا لأجل أن تنتصر الاشتراكية في بلدنا ، وفي كل البلدان العربية . ولكن لم نفكر بأن تكون هذه الدولة التي تنتصر فيها الاشتراكية نقطة انطلاق ، أو قاعدة انطلاق من أجل تحرير فلسطين ... عندما تقوم الدولة ، عندها نفكر ! لم تقم هذه الدولة حتى الآن(*) !

من المعروف أن الحزب الشيوعي السوري كان مع الشعارات التي تقول بأن للفلسطينيين الحق بالوجود والعمل بكل دولة عربية والنضال من أجل تحرير فلسطين !

□ **هل أنتم مع تحرير فلسطين ؟**

□ □ نحن مع الشعار الحالي ، وهو : تحرير الأراضي العربية المحتلة .

□ **وقبل عام ١٩٦٧ ؟**

□ □ كنا مع تحرير المناطق التي احتلتها إسرائيل بعد التقسم !

□ **إذا وافقتم على شعار تحرير فلسطين يعني أنكم لستم موافقين على تقسيم فلسطين . أما إذا وافقتم على ما بعد التقسيم ، فهذا يعني أن التقسيم أمر واقع .**

□ □ مشينا كما مشى جميع الوطنيين التقدميين العرب !

(*) كان خالد بكداش ينصح قادة المقاومة الفلسطينية بعدم القيام بأعمال خارج فلسطين ، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للبلد المضيف . وكان يأتي بمثال الجزائر . حيث كان الثوار الجزائريون ينطلقون من تونس والمغرب ، ولكن لم يكونوا يتدخلون بالشؤون الداخلية لا بالمغرب ولا بتونس !

□ فيما لو سئلتم : هل أنت ضد تحرير فلسطين فيما لو استطاع الفلسطينيون تحقيق ذلك ... ماذا تقولون ؟

□ □ نحن نؤيد كل حركة وطنية ضد الاستعمار والصهيونية .

□ في عام ١٩٨٠ ، أجريت مع زملاء لي ، حواراً صريحاً مع بعض قادة الحزب الشيوعي السوري ، وهم : دانيال نعمة ، خالد حمامي ، صريح البني . استطعت عبر هذا الحوار أن آخذ تصريحاً من أحدهم يقول : إنه عندما تتحرر فلسطين نحن لن نكون ضد ذلك . وكان الحوار مسجلاً ، ولكن وقبل نشر هذا الحوار عرضناه على أحد القادة المسؤولين لديكم . فأخبرني أن هذا الكلام ليس صحيحاً . فقلت له : يعني ، هل أنتم ضد تحرير فلسطين . فقال : نعم ... نحن ضد تحرير فلسطين !! وبالطبع حُذف التصريح ، ونشر بالشكل الذي أراده هو(*) .

□ □ من هو هذا الشخص ؟

وعندما أخبرت خالد بكداش باسمه . قال :

□ □ والله نحن لم نكن أبداً ضد شعار تحرير فلسطين . لكن طبعاً ، تفسير ذلك بإلقاء اليهود إلى البحر . لن نكون معه . هكذا اتهمنا الصهيونيون !

إن تحرير فلسطين يعني : إقامة دولة ديمقراطية للجميع في فلسطين . هكذا فهمنا تحرير فلسطين . يعني لسنا من أنصار ذبح اليهود جميعاً أو إلقائهم في البحر . نحن ضد الصهيونية !!

□ سأطرح عليك سؤالاً ، أنا أراه هاماً : فلسطين ، كأرض : هل هي عربية ؟!

□ □ طبعاً ، عربية . واجتزأ الصهيونيون جزءاً منها ، وأقاموا دولتهم .

* * *

□ لقد وافقتم على القرار ٢٤٢ في الوقت الذي كانت فيه الموافقة على هذا القرار بمثابة الخطأ الوطني . إن لم تكن خيانة وطنية .

□ □ من الذي قال ذلك ؟ من قال إنها خيانة وطنية ؟!

□ أنا أعرف أن اليسار الفلسطيني في المقاومة كان يصف موافقة السيد ياسر عرفات إذا حصلت على هذا القرار بالخيانة !

□ □ كنا نطالب بتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وهذه معركة كبرى ، لأن إسرائيل والإسرائيليين ، وخصوصاً شامير يفسرون هذا القرار بشكل لا ينص على تحرير الأراضي العربية المحتلة مع أن القرار يؤكد أنه لا يجوز احتلال أراضي الغير بالقوة . ويطالب بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . لذلك كنا نؤيده .

□ كان التخوف وقتها من مسألة الاعتراف بإسرائيل ، لأنه وفي متن هذا القرار

(*) نشر هذا الحوار في مجلة : « نضال الشعب » التي كانت تصدر في بيروت عن جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، وذلك في العدد ٢٠٢ تاريخ ٩ / ٨ / ١٩٨٠ . وقد شاركني في إجراء هذا الحديث الزميل عز الدين عز الدين . والزميلة بيسان عوني .

عبارة تقول بحق دول المنطقة بأن تعيش بسلام ، وهذا يعني الإقرار بالحدود الآمنة لإسرائيل(*) .

□ □ الآن صار العكس ، أصبح من يرفض تنفيذ القرار ٢٤٢ هو الذي يمكن أن يتهم بالخيانة .

□ **عندما قامت الحركة التصحيحية في سورية في تشرين الثاني عام ١٩٧٠ . هل تم الاتفاق في وجهات النظر حول كيفية حل القضية الفلسطينية ؟**

□ □ اتفقنا عند تأليف الجبهة على ميثاق الجبهة . وبالتالي على ما جاء في هذا الميثاق .

□ **هذا يعني أن مسألة موافقة الحزب الشيوعي السوري على التقسيم لم تطرح عند ذاك . لم يكن هناك ملاحظات من هذا النوع .**

□ □ اتفقنا على الميثاق ... وافقنا جميعاً عليه(*) .

* * *

□ **عام ١٩٧٠ وقعت في الأردن أحداث دموية أدت إلى انسحاب المقاومة الفلسطينية من الأردن . كيف وقف الحزب الشيوعي السوري من هذه النقطة ؟**

□ □ كنا ضد أعمال الاضطهاد التي تجري في الأردن في ذلك الحين . يعني أحداث أيلول . وقد خرج الشيوعيون السوريون بمظاهرة تضامنية سارت من السبع بحرات إلى القيادة القومية . وقد أصدر الحزب قرار المظاهرة . وأظن أن بيانات قد صدرت في هذا الشأن . وقد أيدنا الموقف السوري في دعم المقاومة أثناء أحداث أيلول .

□ **هل كان ما حدث في أيلول ١٩٧٠ نتيجة لأعمال التطرف ؟**

□ □ المقاومة عمل مشروع . ولم أعد أذكر أسباب تلك الأحداث .

□ **كان هناك اختطاف طائرات .**

□ □ غلط ، إن اختطاف الطائرات عمل مدان .

□ **هل كنتم ترون أن تدخل المقاومة في الشأن الداخلي الأردني كان صحيحاً ؟**

□ □ مثلاً : شعار كل السلطة للمقاومة كنا ضده

□ **من المعروف أن السيد الرئيس حافظ الأسد ،وكان وزيراً للدفاع وقف ضد التدخل العسكري في الأردن .**

(*) يؤكد قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ والصادر بتاريخ ١٢ / ١١ / ١٩٦٧ على عدم القبول بالاستيلاء على الأرض بواسطة الحرب . والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة أن تعيش فيه بأمان .

(*)(*) حددت سياسة الجبهة في سورية على عدد من الأسس من بينها: ان الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه حقوق مقدسة لا يجوز التفريط فيها ولا المساومة عليها . كما نصت الفقرة ج على أن : لا صلح ولا تفاوض مع الدولة الصهيونية ، ولا تنازل عن أي شبر من الأراضي العربية المحتلة . ص : ١٤ و١٥ من نص الميثاق . وقد أكد أن الميثاق لا يتعارض مع موقف الحزب الشيوعي السوري من هذه النقطة .

□ □ نعم كان موقفه صحيحاً ، كي لا يستغل ذلك ويفتح المجال للتدخل الأمريكي أو الانكليزي في شأن بلداننا .

□ **وفي المنطقة ككل ؟**

□ □ وفي المنطقــة ككل ، والأفضل للشـعب الفلسـطيني أن تكـون سـوريـة حـرة لا مستعمرة ، وأنا لست ضد هذا الموقف .

* * *

□ **ألا تـرون أن الانشقـاق التـاريخي الأول في الحـزب الشيـوعي السوري كان مدفوعاً من حرارة الفكر المقاوم آنذاك وما حمله من سمات ، والذي كان يدعو لتثوير المنطقة كلها ؟**

□ □ أيضاً تحاول أن تسألني عن رياض الترك ... ما ؟

□ **عن ظاهرة لا عن شخص . ظاهرة فكر وصفته أنت في عام ١٩٧٠ بأنه كلام متطرف ، الثوري المظهر في قضية فلسطين خصوصاً عندما لا يرافقه عمل جدي ، وهو عندئذ خطر وضار كما تقول .**

□ □ نعم .

□ **وطالما وصفته أنت ، فهو ظاهرة موجودة ، يجوز أن يكون رياض الترك ، يجوز أن يكون يوسف نمر . ليس هناك أي إشكال حول الأشخاص ، أريد تقييم هذا التيار الذي طلع آنذاك ، إنه تيار أربك الحزب وشقه .**

□ □ لقد رفعوا شعـارات يسـاريـة متطرفة . الحقيقـة أنهـا موضـوعياً تفيد مآرب الاستعمار والصهيونية . مثلاً ، وكما قلت لك ، رمي اليهود بالبحر . مثلاً : الحزب الشيوعي العربي الموحد . من مثل هذه الشعارات غير الواقعية . عملياً غير ممكنة . إنها شعارات ضارة !

□ **لقد كان هناك أكثر من اتجاه داخل فصائل المقاومة الفلسطينية ... كيف كان يتم التعامل مع هذه الفصائل ... هل كنتم تقطعون علاقتكم مع الفصائل التي ترونها متطرفة ؟**

□ □ لم نكن نقطع علاقتنا معها ، كنا نحاول أن نعمل لكي تسير على طريق الصواب بالحوار ، بالكلام الأخوي .

* * *

□ **وقفت الصين إلى جـانب المقـاومـة الفلسطينية بشكل شبه دائم . وقد تميز موقفها عن موقف الاتحـاد السـوفييتي في بعض المراحل . كيف كنتم تنظرون إلى الموقف الصيني من القضية الفلسطينية ؟**

□ □ نحن كنا مع موقف الاتحاد السوفييتي المعقول . والمتوازن والعملي الواقعي ، هذا هو جوابي !

□ **ألا تثمنون موقف الصين ؟**

□ □ أي موقف ؟!

□ **موقفها من القضية الفلسطينية !**

□ □ الصين كانت تؤيد نضال العرب ، ولا تزال ضد العدوان والتوسع الصهيوني ، ضد مخططات الإمبريالية

* * *

□ **هل تعتبرون أن الأحداث التي وقعت في سورية في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات لها علاقة بالضغط على سورية من أجل موقفها من القضية الفلسطينية ؟.**

□ □ نحن كنا ضد هذه الأعمال الإرهابية . وقد ذهب ضحايا من حزبنا نتيجة لهذه الأعمال مثل : الدكتور عبد الرحمن هلال ، عمر عوض ، نزيه الجمالي ، عبد الكريم القنطار ... إلى آخره . كان الهدف من هذه الأعمال تخريب سورية .

إن الصهيونية تسعى لإثارة الاضطرابات والقلاقل في الدول العربية وخصوصاً في سورية . وليس بعيداً أن يكون لهم دور في هذه الأعمال الإرهابية .

* * *

□ **هل كنتم تعتبرون الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين هي البديل عن الحزب الشيوعي الفلسطيني ؟**

□ □ كلا !

□ **أقصد في المرحلة السابقة .**

□ □ لا السابقة ولا اللاحقة .

□ **كيف تسير علاقتكم مع الحزبين الشيوعيين الفلسطينين ؟**

□ □ لم تكن لدينا علاقة رسمية مع الحزب الذي يسمي نفسه : الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري .

□ **الحزب الثاني غيرَّ اسمه . لقد أصبح اسمه : حزب الشعب الفلسطيني بدلاً عن الحزب الشيوعي الفلسطيني ؟**

□ □ نحن أيضاً غير موافقين على تغيير اسم الحزب !

□ **هل ستقطعون علاقتكم معه على هذا الأساس ؟**

□ □ لم نفكر بذلك .

□ **ولماذا قطعتم العلاقة مع الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري . عربي عواد ؟**

□ □ لأنه انشق عن الحزب الشيوعي الفلسطيني .

* * *

□ **ماذا تقول للانتفاضة داخل الأراضي العربية المحتلة ؟**

□ □ عمل رائع وعظيم . وينبغي أن نعمل جميعاً ، مهما كانت أهدافنا ، ومهما كانت اتجاهاتنا لأجل دعم استمرار هذه الانتفاضة . إن هذه الانتفاضة أظهرت أشياء كثيرة : أشترك فيها النساء بشكل واسع ، اشترك بها الأطفال ، كذلك السعي لأجل إقامة سلطة شعبية تدبر الأمور ، تؤمن المعيشة .

هذه أشياء تلفت النظر وتدل على أن الانتفاضة عميقة الجذور ويجب أن نعمل جميعاً لأجل استمرارها إلى حين تحقيق انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي العربية المحتلة .



الاشتراكيون
الديمقراطيون
.. أزمة النمو

قبل أكثر من عشر سنوات ، وكان ذلك في الثمانين تحديداً . كانت خارطة الأحزاب والقوى السياسية في سورية غير ما هي عليه اليوم . وفي ذلك الوقت لم أكن أعرف خالد بكداش شخصياً . وكانت الأسماء التي تظهر في سماء الحزب الشيوعي السوري لها بريق خاص يمكن تسميته : بريق الأزمة !

كان يوسف فيصل ورياض الترك ودانيال نعمة وظهير عبد الصمد وإبراهيم بكري ومراد يوسف وبدر الطويل ويوسف نمر وبدر الدين السباعي وسعد عزوني .... كانت كل هذه الأسماء ، وأسماء غيرها تعني تحديداً : أزمة الحزب الشيوعي السوري !

وفي أواخر السبعينات ، وأوائل الثمانينات كانت شوارع دمشق بكاملها مغمورة بفيوض الحدث السياسي الداخلي في سورية ، والذي كان للأسف ذا طابع دموي بشع ، مستذكراً الآن : مجزرة المدفعية بحلب ... ومجزرة الأزبكية بدمشق .

هذا يعني أن البلاد كانت في أتون معركة تمس جوهر الوطن كله ، أي وحدته الوطنية . وفي ذلك الوقت تسنى لي أن التقي مع كل هذه الشخصيات(*) . وكنت أدور من مكان إلى مكان أتابع حركة الشيوعيين السوريين ، فأقابل رموزهم ، وأناقش بعضهم بما يجري ، وبآفاق الحدث الذي نعيشه . وكان عليّ وقتها أن أتوِّج هذه اللقاءات مع خالد بكداش باعتباره الشخصية المحورية في تاريخ الحركة الشيوعية السورية . وقد أخبرت دانيال نعمة بذلك . وكان للصدفة متوجهاً إلى فيتنام ، فرد علي بلطافته المعهودة : لابأس ! عندما أعود من السفر ، سنناقش الأمر ، وسأعرض الفكرة على الرفيق خالد .

(*) ماعدا رياض الترك.

وودعته ، ولكني لم التق به ، إلاّ بعد مضي أكثر من مائة شهر على ذلك اليوم ، وكان قد نسي هو ما طلبته منه ! أما أنا فلم أنس ، إلا أنه ، لم يعد بوسعي أن أذكره بطلبي ، لأن دانيال نعمة ببساطة أصبح في حزب غير الحزب الذي أعرفه في مطلع الثمانينات !!

* * *

أتذكر ذلك الآن ، لأن كل شيء قد تغيّر ، كانت تشعبات الحزب الشيوعي السوري على النحو التالي :

١ ــ الحزب الشيوعي السوري .
٢ ــ الحزب الشيوعي السوري ــ المكتب السياسي .
٣ ــ الحزب الشيوعي السوري ــ منظمات القاعدة .
٤ ــ اللجنة المؤقتة في سبيل وحدة الحزب الشيوعي السوري المبدئية .
٥ ــ حركة اتحاد الشيوعيين في سورية .

أما الآن ، فقد انشق الحزب الأول ، وتوحد انشقاقه مع منظمات القاعدة بعد انضمام اللجنة المؤقتة وحركة اتحاد الشيوعيين إليه .
وعلى هذا الأساس ، لابد من التذكير بجملة مسائل ، سجلتها في ذاكرتي منذ تلك الآونة :

● عندما التقيت مع مراد يوسف لأكثر من عشرين ساعة ، هي مجموع اللقاءات التي جرت معه ، وكان يومها في أوج قوته يقارع جملة القيادة التاريخية للحزب تحت اسم : الأغلبية (البلاشفة) . لم يذكر لي أي شيء عن خالد بكداش اللهم إلاّ أنه كان محايداً ، إن لم يكن في صفه قبل حدوث الانشقاق .
لقد تركزت جملة شروحاته حول مسار الأزمة على الصراع الحاد الذي جرى بينه وبين يوسف فيصل ، بالإضافة إلى شرح البعد الفكري والسياسي للانشقاق !

● وعندما التقيت مع يوسف نمر الذي كان يتزعم حركة اتحاد الشيوعيين حدثني أكثر من مرة عن نقطة هامة لن أنساها ، وهي أنه ، وخلال صراعه مع رياض الترك في الجناح الآخر الذي انشق في مطلع السبعينات ، اكتشف أن الأزمة في بعدها التنظيمي كانت ترتدي لبوس سيطرة الفرد الواحد على الحزب ، وهو في هذه الحالة : رياض الترك !

● أما المرحوم الدكتور بدر الدين السباعي الذي كان يقود اللجنة المؤقتة ، فقد طلب مني أن لا يكتب اسمه بجانب اسم الياس مرقص . ودون لي ملاحظة على ورقة صغيرة تقول : « إذا كان بالإمكان عدم ذكر حركتنا إلى جانب الياس مرقص ، فنكون من الشاكرين » . وعندما سألته : لماذا ؟ أوضح أن هذا الشخص ، من الناحية الفكرية هو أبرز تحريفي عربي !!
وقد فوجئت أن الاعتبار قد عاد إلى الياس مرقص وياسين الحافظ في الجهة التي انضم إليها الدكتور السباعي من الحزب الشيوعي !

* * *

هذا يعني أن هناك آلية تفكير جديدة ، في ضوء واقع جديد لدى قادة الحزب الشيوعي السوري التاريخيين . وربما كان من المفيد هنا . تسجيل شيء من وجهة نظر يوسف فيصل الأمين العام للحزب الشيوعي الموحد ، والتي جمعتها من خلال لقاءين منفصلين معه في أواسط عام ١٩٩٢ ومن خلال بعض كتاباته . إلا أن هذا ليس متاحاً الآن لأكثر من سبب . ولكن ينبغي القول إنني أتعامل الآن مع كل شيء على نحو جديد !

* * *

وفي هذا الإطار ، يبرز خالد بكداش ، كممثل لوجهة النظر التاريخية المستمرة التي تعيد نفسها بثبات . وفي حديثه لي عن الأزمة كثف كل ما حصل بأنه : أزمة نمو ! أو كما قال أيضاً : إنها أزمة الاشتراكية الديمقراطية . وهنا ينبغي احترام رأي الآخرين ، وإفساح المجال أمامهم في ضوء حرية الرد !

إن خالد بكداش يفضل عدم الحديث عن الأزمات القديمة ، وكان الحديث سيكون أغنى لو ساعدنا في نبش كل ملف هذه الأزمات . ولكن الذي حصل أنه أعطى الأهمية للانشقاق الأخير ، واكتفى بتلميحات عن الماضي .

ومنذ بداية اللقاء سألني ، وقبل أن أطرح أسئلتي :

□ □ عمّ سنتحدث اليوم ؟

فقلت :

□ **عن الأزمة .**

ولحظتها ، أمسك دفة الحديث . وعرفت من الجملة الأولى أنه بدأ من الأزمة الأخيرة . وقدّرت وقتها أن الحوار سيخضع لطريقة الخطف خلفاً ، وهذا ما حصل !

قال خالد بكداش :

□ □ عندما عدت من موسكو عام ١٩٨٤ ، قال لي بعض أعضاء المكتب السياسي : إن يوسف فيصل قال خلال غيابك ، وداخل اجتماع حزبي ، إنه إذا انقسم الحزب ، فإن السلطة في البلاد ستعترف بالطرفين !

أنا استغربت ! ماهذا الكلام ؟ إنه كلام بدون مقدمات ! ولاحظت في اجتماع اللجنة المركزية الذي انعقد بعد ذلك وجود بذور انتهازية يمينية . وعرفت أن هناك من يدعم ذلك ، ويؤيده . قلت لهم : يا رفاق احذروا ! من الذين يعملون أو يسعون لتحويل حزبنا من حزب شيوعي بروليتاري ثوري إلى حزب اشتراكي ديمقراطي !

قامت القيامة ، وفكر بعض الرفاق ، إنهم هم المعنيون ! أنا قلت : يجب الحذر من جميع العناصر ، التي تحاول دفع الحزب في هذا الاتجاه !

وعندما توقف خالد بكداش عن الكلام ، أحسست أن هناك مسائل لا يريد قولها ، وقد يكون توقعي صحيحاً ، لأنه وعندما تابع الكلام ، أحدث نقلة في السياق ... قال :

□ □ بعدها بدأ الاستعداد للمؤتمر السادس . وانعقد كونفرس منظمة دمشق العاصمة ، لأجل انتخابات المندوبين إلى المؤتمر السادس . وفي كونفرس دمشق ، لم

يصوت للرفاق الثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية السابقة ، وهم :

١ ــ داود حيدو .

٢ ــ يعقوب كرو .

٣ ــ رأفت الكردي .

وفي اجتماع المكتب السياسي ، الذي انعقد بعد الكونفرنس، طرح تساؤل : لماذا أسقط هؤلاء ؟...

وأخذ يوسف فيصل ذلك حجة . وقال : أنا أعتقد أن هذا الإسقاط جرى بالاتفاق مع الأمين العام . فقلت له : هذا ليس صحيحاً . أنا لست ضدهم . بالعكس ، كان رأيي أن لا يسقطوا . والأن يمكن أن نجد حلاً . يمكن أن يحضروا المؤتمر كأعضاء لجنة مركزية سواء كانوا منتخبين أو غير منتخبين .

لم يرضوا ، ولم يردوا ! وانسحب يوسف فيصل من المكتب السياسي ، أخذها حجة . ومن أجل ذلك بدأت الأزمة الكبرى في الحزب !

وتابع خالد بكداش قائلاً :

□ □ تشكل وفد مشترك ، وذهبنا إلى موسكو من أجل التشاور حول المشكلة مع قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي . وقد حدثت هناك سلسلة لقاءات ومباحثات مع القسم الدولي الذي كان بوناماريوف مسؤولاً عنه .

لاحظنا أن بوناماريوف وجماعته يشجعون رفاقنا على الحزب . فعندما بدأ الحديث عن كيفية انعقاد المؤتمر السادس . قلت : من جهتي ، إن كل المؤتمرين انتخبوا في الكونفرنسات المنطقية . ويجب عقد المؤتمر السادس ، وهو يقرر سياسة الحزب ، وانتخاب الهيئات القيادية . فقالوا لي (أي بوناماريوف ، وجماعته) : أنه لا يمكن عقد المؤتمر السادس قبل أن تتفقوا ! فقلت لهم : نتفق في المؤتمر . نضع سياسة . ننتخب هيئات حزبية ...إلى آخره .

بقيت هذه القضية معلقة ورجعنا إلى دمشق كما كنا !

ومضى خالد بكداش يقول :

□ □ تابعت مع الرفاق جهودنا لعقد المؤتمر السادس . جاء واحد من جماعة بوناماريوف إلى دمشق ، وكان همه الأكبر أن لا نعقد المؤتمر السادس . هذا الشخص اسمه : يوري سيبانوفيتش غرودنوف ، وهو سفير روسيا الآن في عمان . كان اصراره ينصب على عدم عقد المؤتمر السادس .

لقد لجأ موفد بوناماريوف إلى التهديد ، وقد قلنا لك ذلك . أي أنه ستتخذ تدابير يا رفيق خالد . قد يؤدي الأمر إلى حذف اسمك من الانسكلوبيديا السوفيتية : يعني دائرة المعارف السوفيتية . قلت له : المؤتمر السادس سيعقد !

وعقدنا المؤتمر السادس كما هو معروف . ولم يحضر يوسف فيصل وجماعته هذا المؤتمر . وعرفنا فيما بعد أن بوناماريوف أفهمه أنه إذا حصل الانقسام ، فإن الاتحاد

السوفييتي سيعترف بهم وحدهم . وبهذا استخدم يوسف فيصل وجماعته هذه الحجة من أجل إقناع بعض الرفاق بالانضمام إليه .

إن هذه الحجة لم تكن صحيحة . لأنه فعلاً ، وكما علمنا فيما بعد ، اقترح بوناماريوف على قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي (كان عضواً مرشحاً للمكتب السياسي) اقترح على المكتب السياسي الاعتراف بجماعة يوسف فيصل فقط . إلاّ إن قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي رفضت ذلك رفضاً باتاً . وقررت الاعتراف بالطرفين !

وفي تقدير بعض الرفاق ، فإن الانقسام الذي حصل ، حصل بالاتفاق مع بعض حلفائنا أو على الأقل بتشجيع منهم !

وأوضح خالد بكداش أساس الانقسام بقوله :

□ □ لقد تبين عملياً أن الانقسام له أساس إيديولوجي وسياسي واضح . وبالفعل أصبح هذا الأساس واضحاً الآن . لقد اصبحوا عملياً ، واقعياً حركة اشتراكية ديمقراطية أي من جماعة الأممية الثانية ، وليس حركة شيوعية .

إن وقائع الوقت الحاضر تؤيد ذلك . الرفاق الآخرون الذين انفصلوا يسيرون ، كما هو معروف ، في طريق تأييد المرتدين والمحرفين في الاتحاد السوفييتي ، بينما حزبنا يتابع تمسكه بالماركسية ـ اللينينية ، وله علاقات رفاقية ، وعلاقات صداقة مع الشيوعيين السوفييت الحقيقيين الذين يناضلون ضد المرتدين والمحرفين والصهيونيين .

الانقسام ، الذي حصل ، لم يشمل ما تصوروه هم ، إنهم في الواقع ليسوا فئة كبيرة داخل الحزب . والخلاصة إن محاولة تحويل حزبنا إلى حزب اشتراكي ديمقراطي فشلت ، ولم تنجح !

□ **كم تقدر عددهم ؟**

□ □ إن عددهم معروف . وقوتهم معروفة لدينا ولدى الآخرين . ولا مجال لذكر العدد ، فنحن لا نريد الإساءة لأحد !

□ **الملاحظ أن الأزمة بدأت مع يوسف فيصل حول منصب الأمين العام . لقد أحس الكثيرون أن يوسف فيصل يريد الانقلاب على خالد بكداش !**

□ □ ربما تكون العوامل الشخصية لعبت دوراً !

ثم ابتسم خالد بكداش وهو يحكي لنا مثلاً عربياً :

□ □ هناك مثل عربي قديم يقول : إن هناك من يفضل أن يكون ملكاً في قرية على أن يكون وزيراً في مدينة . هذا واقع ! وهذا الواقع لعب دوراً في أزمتنا ، ولكن لماذا يريد فلان وفلان أن يكون أميناً عاماً . لماذا ؟

إن التطور في الطبيعة سيلعب دوره . فلان موجود الآن ، وبعد عدة سنوات ، سيلاقي حتفه أو يتقاعد . والتطور الطبيعي سيدفع فلاناً أو فلاناً إلى احتلال هذا المنصب أو ذاك .

ربما تكون الأمور الشخصية قد لعبت دوراً ما . ولكن ، وعلى الأرجح أن الأساس هو إيديولوجي وسياسي ، نعم هناك الأساس الأيديولوجي والسياسي !

□ **كيف كان موقف حلفائكم في الجبهة الوطنية التقدمية ؟**

□ □ أثناء الأزمة جاء خبر من الرفيق عبد الله الأحمر ، بأنه يريد أن يجري معي لقاء .فاتفقت معه على الموعد . وعلى ما أذكر فقد كان ذلك يوم سبت .

ذهبت إلى مقر حزب البعث ، فوجدت هناك الرفيقين عبد الله الأحمر وعبد الحليم خدام . قالا لي : إننا وبتكليف من السيد الرئيس حافظ الأسد ، نجري معك هذه المقابلة . وسألاني : هل لديكم أزمة في الحزب ؟ فقلت : نعم لدينا أزمة ! قالا : هل هناك انقسام ؟ فقلت : نعم لدينا انقسام ! وقلت لهما أيضاً : قبل أن نتحدث عن ذلك أريد أن أوضح لكم ، إذا سمحتم ، بعض الكلمات عن ديالكتيك سياسة حزبنا . لأنه وقبل هذا الموعد ، جرى حديث في مجلس الوزراء حول نشاط الحزب الشيوعي السوري ، ووجهت تهديدات إلينا ، لأننا كما قالوا نزاود فيما يتعلق بمطالب الشعب . وقلت لهما : يا رفاق ! إن حزبنا لا يضع نفسه بديلاً عنكم وبصراحة أكثر : لا نجد بديلاً عنكم من غيركم أيضاً . لكننا شيوعيون ومرتبطون بجماهير الشعب ، ولا بد أن ندافع عن مطالبه . وهذا التأييد لمطالب الشعب ، والدفاع عن مطالبه يعطي قوة لتأييدنا لكم . أما بدون هذا التأييد لمطالب الشعب ، فأية قيمة تبقى لتأييدنا لكم ؟ نحن نضع مطالب شعبنا ، وفي الوقت نفسه نؤيدكم . ولا تناقض بين الأمرين .

إن الرفيقين عبد الله الأحمر وعبد الحليم خدام لم يعترضا على هذا الكلام . قالا لي : بل سألاني : هل يمكن أن نتصل بالرفاق الآخرين المنقسمين ؟ فقلت : نعم ... أسألوا من تريدونه ، الحقيقة هذه سياستنا ، وقد ذكرت هذه المقابلة في اللجنة المركزية .

* * *

□ **لقد قرأنا مقالاً في « دراسات اشتراكية » حول صعود الاشتراكية الديمقراطية في الحزب الشيوعي السوري كتبه غسان دمشقية . هل اطلعت على هذا المقال ، هل أنت موافق على مضمونه ؟**

□ □ نعم اطلعت عليه ، وأنا موافق على مقال غسان دمشقية .

□ **إنني أتذكر الآن تحذيرك الذي أطلقته في مجلة النهج حول خطر الاشتراكية الديمقراطية على الحزب . كيف تلمست هذا الخطر آنذاك ؟**

□ □ كان هناك اتجاهات يمينية تصدر من بعض الرفاق !

□ **إلى أين كانت تسعى هذه الاتجاهات ؟**

□ □ إلى طمس وجه الحزب الطبقي . إلى تجاهل مطالب الجماهير الشعبية الواسعة . إلى نوع من الليونة فيما يتعلق بالتناقض بين الاشتراكية والإمبريالية .

□ **وما مصلحتها في ذلك ؟**

□ □ يعكسون عقلية أوساط معينة . أوساط برجوازية صغيرة تتأرجح بين الاشتراكية والرأسمالية . دائماً هناك أوساط من هذا النوع .

□ **ومستقبل هؤلاء الذين أسميتهم بالاشتراكيين الديمقراطيين ؟**

□ □ والله يظهر أن تطورهم الحالي يبين مستقبلهم . وعلى ما أعلم ، فإن أوساطهم

مخلخلة ... مهلهلة ، هناك تناقضات في صفوفهم وعدد من الرفاق يتركون ويذهبون إلى بيوتهم أو يأتون إلينا .

□ **لقد قام الطرف الآخر إثر انعقاد مؤتمره التوحيدي بإعلان أسماء قيادته ونشرتها الصحف بشكل عادي . لماذا لم تعلنوا أسماء قيادتكم ؟**

□ □ من أجل المستقبل ، وهذا شيء أمني !

□ **هل تشعرون بإمكانية عودة الحزب إلى ظروف سرية ؟**

□ □ كل شيء ممكن ، ولكن الآن لا يوجد مؤشرات .

□ **هل نستطيع القول إن تحالفكم مع حزب البعث العربي الاشتراكي لازال وطيداً ؟**

□ □ لا يزال الحزب الشيوعي السوري عضواً في الجبهة الوطنية التقدمية وله ممثل في قيادتها المركزية .

□ **على الصعيد الفكري أو النظري السياسي هل طرح الحزب الشيوعي الموحد شيئاً جديداً ؟!**

□ □ طرحوا أشياء .. يقولون عنها أنها أشياء جديدة ! ولكن في الواقع رجعوا الى الوراء إلى المواقف الاشتراكية الديمقراطية التي كانت موجودة قبل أن يؤلف لينين الأممية الشيوعية .

□ **مثل ماذا ؟**

□ □ مثل السكوت عن الصهيونية ـ عدم وضع أهداف تحول اشتراكي واضح ـ إنكار ، أو التهجم على مبدأ المركزية الديمقراطية في الحزب .

□ **هل لاحظت مثلاً أنهم ابتعدوا عن التحليل الطبقي ، عن الموقف الطبقي ؟ هل ابتعدوا عن قضايا الجماهير ، الطبقات الشعبية ، مصالحها ، شعاراتها ؟ هل اقتربوا من البرجوازية ؟**

□ □ إن أيديولوجيتنا هي إيديولوجية الطبقة العاملة . ولكن هذه الايديولوجيا لا تعني فقط الطبقة العاملة . يقول ماركس وانجلز في البيان الشيوعي : إن تحرر الطبقة العاملة سيؤدي إلى إلغاء استثمار الإنسان للإنسان . في كل بلد .

ومن المعروف أن اللينينية تقول إنه عندما تقوم ديكتاتورية البروليتارية ، فإن هذا يعني تحالف الطبقة العاملة مع جماهير الفلاحين .

نظر إليّ خالد بكداش ، ثم قال :

□ □ أنا لا أتابع كثيراً أدبياتهم .

وأضاف :

□ □ من الواضح أن اتجاه يوسف فيصل حدد تطور القوى المنتجة كأساس للتقدم الاجتماعي ، وهذه مسألة قديمة . كما أن الموقف الطبقي الذي يمثله هذا الاتجاه يمثل مصالح وشرائح الطبقات الأخرى غير الطبقة العاملة . فقد تم تعويم شعار الاشتراكية . بالإضافة إلى تخريب الأداة التي يمكن بواسطتها الوصول إلى الاشتراكية . وذلك من خلال

تحويل الحزب إلى نادي ثرثرة ، أو نادي تعدد منابر . ولم يقدر الحزب الشيوعي الموحد على حل مسألة المركزية الديمقراطية ، فأجلها .

القضية الأخرى ، هي قضية البرجوازية البيروقراطية ، والبرجوازية الطفيلية . فهي غير واضحة عندهم كمصطلح . إذ يتم استعمالها دون إظهار المضمون الحقيقي . في حين تم إيضاح هذه المسألة عندنا .

وأيضاً ، هناك تشويش في الموقف الأممي البروليتاري ، والموقف من الماركسية ــ اللينينية على أساس أنها منهج ، وهذا ما سمي بتعويم النظرية . كما تم إيضاح مسألة التخلي عن الهوية الفكرية ، وبالتالي الطبقية . إلا أن هذا التخلي لا يتم صراحة أو علناً ... يتم بالتدريج وعلى جرعات كي يسهل ذلك على القواعد والكوادر .

وسألت خالد بكداش :

□ نقل إلي أن يوسف فيصل قال في أحد المرات إن أحداً لا يعرف ما هو الصحيح ! أيكون هذا يأساً .

فأعاد السؤال إليّ :

□ □ هل هو يأس من قبل يوسف فيصل كماركسي ــ لينيني أم كمناضل ؟

أوضحت له أن الافتراض في المسألتين معاً ، فقال :

□ □ كماركسي ــ لينيني . أظن أنه انتهى ! أما كونه مناضلاً ، فمسألة أخرى . إننا نستطيع أن نأخذ منه موقفاً وطنياً !!

□ إذا قام الحزب الشيوعي الموحد بتغيير اسم الحزب ، فأصبح اسمه : الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، فهل تعارضون وجوده في الجبهة الوطنية التقدمية ؟

□ □ لا ... ولا نقف منه موقفاً معادياً . بالعكس إننا ندعوه إلى العمل المشترك .

□ والعلاقات الشخصية بينكم وبينهم ؟

□ □ عندما مرضت زاروني في المستشفى .

* * *

قلت لخالد بكداش :

□ قد لا تكون سعيداً هذا المساء . لأن الحديث مخصص للحديث عن الأزمات في الحزب الشيوعي السوري . ويقال : إن الخلافات دليل صحة . وأنا لا أعرف إذا كان هذا الكلام صحيحاً أم لا !

ما الذي حصل لكي ترتسم خارطة للانقسامات الطويلة والمعقدة في تاريخ الحزب ؟ وأنت أبو الشيوعيين السوريين . ما الذي جرى لأولادك يا خالد بكداش ؟ ولماذا تحدث الانقسامات في الحزب الشيوعي السوري ؟

وكعادته استنفد كل فرص الصمت قبل أن يجيب ، ثم قال بهدوء وراحة :

□ □ الوضع الاجتماعي العام يولد مثل هذه القوى !

إن الفكر الاشتراكي العلمي عانى كثيراً من الانقسامات : منشفيك وبولشفيك ... وإلى غير ذلك . يقول لينين ، ما معناه : إننا نعيش في أوقيانوس من البرجوازية الصغيرة . ولا بد أن يؤثر ذلك على مسيرة الحزب !

وقال خالد بكداش بصوت حاد :

□ □ انجلز يقول : نضال الآراء دليل عافية الحزب . ولكن يجب أن يبقى النضال بالآراء داخل الحزب.

لقد طور لينين هذا المفهوم ، عندما قال : إنه يمكن أن يكون هناك خلافات في الرأي داخل الحزب . ولكن دائماً يجب خضوع الأقلية للأكثرية . وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات الأعلى . ويجب أن يكون هناك انضباط شبه عسكري في الأحوال العادية ، وعسكري تماماً في الأحوال الاستثنائية !

لقد برهنت تطورات الاتحاد السوفييتي على صحة كلام لينين ، بما في ذلك ما يجري الآن .

وأضاف بعد لحظة صمت :

□ □ إن تحويل المجتمع تحويلاً ثورياً ليس مسألة سهلة . وقد ذكرت لكم إنني أحب قصيدة رئيف خوري حول القافلة . المنعطفات مسألة كبيرة يا أخ عماد .

□ **إذاً السبب في البرجوازية الصغيرة والمنعطفات الصعبة ؟**

□ □ المنعطفات الصعبة والعقلية البرجوازية الصغيرة .

□ **كان على الحزب في هذه الحالة أن يتطهر من هذه العقلية عبر سنوات حياته الطويلة !**

□ □ طهّر كثيراً ... ويتابع التطهير ، وسيتابع التطهير باستمرار . إن هذه العملية لاتقف ، إنها عملية مستمرة !

□ **وهذا ينال من وحدة الحزب باستمرار ؟**

□ □ طبعاً !

□ **ولكنه يدل على أن الحزب الشيوعي السوري لم يكن قد نجح في عملية تطهير المرحلة التي سبقت !**

□ □ لا يدل على ذلك ! في أحد المنعطفات يطهر . ولكن ، وفي منعطف آخر نضطر إلى تطهير آخر ، وهكذا !!

□ **إن المنعطفات في حياتنا السياسية كثيرة . بمعنى أن على السياسي في بلدنا أن يعيش منعطفاً جديداً كل فترة . وهذا يعني أن أي حزب سيصبح هزيلاً مع مرور الزمن ، ففي كل منعطف نرى تضاؤلاً في حركة ومواقف الأشخاص بعكس المتوقع !**

□ □ ويأتي ناس غيرهم .

□ **وهل يستفيد هؤلاء من الذين سبقوهم ؟**

□ □ يجب أن يستفيدوا من تجربة الذين سقطوا !

□ **مادور الحزب في هذه الحالة ؟**

□ □ إيضاح الأمور لهم جيداً . والقيام بعمل تثقيفي واسع جداً وعميق . ونحن في هذا المجال لسنا على المستوى المطلوب ، أنا أعترف بذلك !

□ **لماذا ؟**

□ □ أسباب ذاتية .

□ **هل تذكر لي أشكالاً أو وسائل جديدة لتلاقي ذلك ؟**

□ □ هناك دائماً احتمال بحدوث ذلك .

□ **أذكر تجربة المقاومة الفلسطينية . كانوا يتلافون ذلك بمعسكرات عمل أو معسكرات تثقيف ودورات كادرية أو شبه كادرية ... بالإضافة إلى الإيفاد إلى الخارج .**

□ □ الحزب الشيوعي السوري يقوم بمثل ذلك . ولكن ليس بالمستوى الكافي . يجب أن يكون مثلها وأحسن . وقد أثارت اللجنة المركزية في اجتماعها الأخير مثل هذه المسائل .

* * *

□ **إن رجلاً يحب الشعر مثلك ، لابد وأنه يحب بيت شعر لأبي تمام يقول فيه :**

السيف أصدق إنباء من الكتب … في حدّه الحد بين الجد واللعب

على هذا الأساس ، هل ترى أن الحزم ضروري في التنظيم ؟

هز خالد بكداش رأسه وهو يردد :

في حدّه الحد بين الجد واللعب

ثم قال :

□ □ يجب تطبيق مبادىء اللينينية في هذا المجال . يعني الانضباط الحزبي . وكما قلت ، يجب أن يكون هذا الانضباط شبه عسكري في الحالات العادية وعسكرياً تاماً في الحالات الاستثنائية . يجب مراقبة التنفيذ مراقبة صارمة . يجب عدم التهاود في بروز بعض الاتجاهات المتطرفة يسارياً أو يمينياً . لا تهاون معها ، هل حدث أن تهاونا معها ؟ نعم حدث ذلك !

□ **إن لينين عندما تحدّث في مسألة الحزب والتنظيم وصلابة التنظيم ، وتشبيهه بتنظيم عسكري ، لم يكن قد مر بتجربة طويلة في سياق العمل الحزبي . أما أنتم ، في الحزب الشيوعي السوري ، فقد مرت سنوات طويلة على تجربتكم الحزبية . هل وصلتم إلى وجهة نظر خاصة في التنظيم ؟**

□ □ تتوقف تجربة كل حزب شيوعي على الأوضاع في البلد الذي هو فيه . فمثلاً ، وعندما يكون الحزب الشيوعي سرّياً ، يكون تنظيمه غيره عندما يكون نصف علني ، أو عندما يكون علنياً تماماً .

وأنا أعتقد أن تجربتنا في التنظيم في سورية صحيحة . كانت صحيحة وستبقى صحيحة . ولكن حدثت بعض الأخطاء وتم تلافيها .

□ **هل تعتبر الحزب الشيوعي السوري حزباً علنياً ؟**

□ □ الآن هو بين العلنية واللاعلنية . فمثلاً نجد أن ميثاق الجبهة يقول إن الجبهة تتألف من الحزب الفلاني والحزب الفلاني ، ومن الحزب الشيوعي السوري . ولكن الحزب الشيوعي ليس له جريدة علنية تنطق باسمه رسمياً .

إن « نضـال الشعب » تصدر بشكل نصف علني ، ولكنها لا تباع في الأكشاك ، أو في السوق !

* * *

□ **سنبقى في موضوع أزمات الحزب . إن أول ما يمكن أن يخطر ببال القارىء في هذا المجال هي الأزمة التي نشأت في غضون المؤتمر الثالث عام ١٩٦٩ .**

ولكني وقبل الوصول إلى هذه الأزمة . أود العودة إلى البدايات ففي عام ١٩٣٧ أصبحت أنت الأمين العام للحزب الشيوعي السوري . ولكن قبلك كان فؤاد الشمالي أميناً عاماً . وفي بعض المصادر يشككون في هذا الرجل . يقولون مثلاً : إنه كان عميلاً . هل تفيدنا بشيء حول فؤاد الشمالي ؟!

□ □ نعم ... لقد كان فؤاد الشمالي أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوري ــ اللبناني . وقد قيلت بعض الشبهات حوله . مثلاً : عقد في بيروت اجتماع لقيادة الحزب في أحد البيوت . وبعد أن خرجوا من هذا الاجتماع ، لاحظ الرفاق أن الطرقات التي جاؤوا منها قد بثت فيها عناصر الأمن الفرنسي . هذا ما أدى إلى اعتقال بعضهم . وفؤاد الشمالي لم يعتقل وقتها . في حين اعتقل آخرون !

□ **أنت ، وبشكل شخصي ، هل شككت بفؤاد الشمالي ؟ سفره المفاجىء ، وصوله المفاجىء ، انتقاله إلى صفوف القيادة بسرعة . يقولون إن جهات ما وراء هذا الشخص !**

□ □ لقد جاء فؤاد الشمالي من مصر . وأنا ، تفصيلاً ، لا أعرفه . كنت في الشام ، وهو في بيروت . ولكن بعض الرفاق حكوا عنه هذا الكلام .

□ **هل تعاطفت مع هذا الكلام ؟**

□ □ والله . بعض المسائل وقفت عندها .

□ **مثل ماذا ؟**

□ □ اجتماع القيادة ، واعتقال البعض .

□ **ألا يوجد حوادث أخرى من هذا النوع ؟**

□ □ كانوا يطبعون المناشير في بيروت ، ويرسلونها إلى سورية مع رسل . أحياناً ، الذي كان يعرف ذلك هو فؤاد الشمالي ! وكان هؤلاء الرسل يفاجؤون في شتورا ، وفي أغلب الأحيان ، بإيقاف السيارة التي فيها المناشير ، فتصادر ، ويعتقلون الرفاق الذين معها .

□ **لو كنت أنا في هذا التنظيم لجزمت أن فؤاد الشمالي كان عميلاً للفرنسيين !**

□ □ لربما بعض من كان يرسل معهم المناشير كانوا على علاقة بالأمن !

* * *

قلت لخالد بكداش ، وأنا أقلب مجلة كانت بيدي :

□ **لقد شنت حملات كثيرة عليك ! منها ما يتعلق بتاريخك الشخصي ، ومنها بتاريخك السياسي . فمثلاً أنت تتكلم عن نشاطك الطلابي ضد الاستعمار الفرنسي ،**

وهـم يقـولـون إن مكتب عنبـر الـذي درست فيـه كـان حكـراً على أولاد الطبقـة الأرستقـراطيـة في دمشـق . وفي يدي مجلـة حديثـة ، لنقل أنها تنشـر آخر الحملات عليك . إن شخصاً اسمه : هاشم الأمين يتحدث في مذكراته عن شخص خالد بكداش . إنه هجوم عنيف لا يحتمل .

فقـاطعني خـالد بكداش ، وكـأنه على اطلاع بما ينشـر عنه . نـادى على السيدة وصال زوجته ، وطلب منها أن تحضر لأنها هي التي تعد الرد على ما ينشره هاشم الأمين(*) وقال دون أي رد فعل :

□ □ إنهـم يقـولـون إن مكتب عنبر هـو لأولاد الأرستقراطية . تصـور ! جرى قبولي طـالبـاً مقيماً في القسـم الداخلي على أسـاس مسـابقة ، وورقة فقر حـال . وقد نجحت في المسابقة وقبلوني في مكتب عنبر طالباً في الداخلي على هذا الأساس .

وحول هـاشـم الأمين : أنـا الذي لعبت دوراً في تقديمه إلى الحزب . أنـا أعرفه . لكن ، وكل مـا في المسـألة أن هـاشم الأمين لم يحتمل العقبات والصعوبات التي يمكن أن يواجهها كل مناضل شيوعي !

هو يقول إنه لم يجد في الحزب منفعة شخصية . بالعكس يوجد تعتير . يوجد صعوبات قـاسية . يوجد اعتقالات ... إلى آخره .

أنـا شـخصيـاً ، قضيت فترة غير قصيرة من حيـاتي الحزبية سراً . كان العمل شـاقـاً . لا نخرج إلاّ في الليل ، لأن وجهنا معروف . وهـاشم الأمين لم يتحمل هذه الصعوبات ، ولأنه لا يوجد منفعة ، قـام هـاشم الأمين بترك الحزب !

إن الـذين مثلـه ، وعنـدمـا يجـدون مثل هـذه الصعـوبـات ، يتـركـون العمل النضـالي ، ويبحثون عن المبررات لخروجهم ، وهـاشـم الأمين لم يجد غير الافتراءات الشخصية التي حاكها محـاولاً تبرير تخـاذله وعدم استمراره في النضـال .

أعتقد هذه هي القصة !

□ **لقد اتهمك ببيع أصوات الشيوعيين أثناء الانتخابات !**

□ □ لم أقرأ هذا الكلام ، يظهر أن هنـاك حلقة ثـانية . لا يوجد شيء من هذا ، ولكن هل حدث نوع من تبـادل الأصوات ؟ نعم حدث سواء في سورية أو في لبنـان ، وأنـا أرى أن تبـادل الأصوات عمل مشروع ، ولكن لا يوجد شيء مما يقوله .

□ **إنه يقول إن والدك كان دركياً عند الأتراك !**

□ □ لقد كـان والدي ضـابطـاً في المدفعيـة ، كومندان ، وبـالتركي : بمباشي ، وقد اشترك في الحرب العالمية الأولى .

لقد رفض والدي الدخول في سلك عسكري يسيطر عليه الإفرنسيون ... المستعمرون الإفرنسيون . إن كثيراً من زملائه دخلوا في السلك العسكري الإفرنسي ، وصـاروا ضبـاطـاً كبـاراً . أمـا هو ، فلم يدخل . رفض !

(*) نشـر هـاشـم الأمين مذكراتـه في مجلـة الـراية اللبنانية ، أما أنا فقرأت العددين ٦٦ و٦٧ تاريخ ٢٥ / ١١ و٢ / ١٢ / ١٩٩١ على التوالي . وبهما مضمون الحديث عن خالد بكداش ، ويذكر في هذا الصدد أنه ما إن أعد الرد ، وطلب نشره في نفس المجلة حتى توفي هاشم الأمين صاحب المذكرات .

اشتغل مناظراً على تعمير الطرقات في بلدية دمشق ، ولكنهم أخرجوه أيضاً لأنه رفض أن يدخل في سرقات. المتعهد والمهندس يريدان سرقة نصف الإسمنت ، ويريدان من والدي أن يوافق على السرقة . لكن والدي رفض . فأخرجوه من تعمير الطرقات . وحوّلوه إلى التنظيفات !

كان والدي مناظراً في التنظيفات ، كان ينهض في ساعة متأخرة من الليل ، ويخرج إلى العمل ليشرف على التنظيف وجمع الزبالة ، وهذا العمل أثر على صحة والدي . لقد مات والدي بذات الرئة بسبب هذا العمل(*) !

□ **لم يكن هاشم الأمين هو الشخص الوحيد الذي شن عليك مثل هذا الهجوم ، هناك حالات أخرى ، ولكن أرجو بداية أن تحدثني عن وضع قدري القلعجي !**

□ □ كان قدري القلعجي صحفياً ، وعمل في صحافتنا . وكان أمله في المؤتمر الثاني الذي انعقد بين عامي ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ أن ينتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب . لكن المؤتمر الثاني لم ينتخبه !

على هذا الأساس حقد قدري القلعجي . كان بإمكاني أن أزكيه في هذا المؤتمر لأساعد على إنجاحه ، ولكني لم أفعل . لأني كعادتي لا أتدخل في عملية الانتخابات . تماماً مثلما حصل في المؤتمر السابع وحدثتك عنه . الرفاق رشحوا أنفسهم ، كل مرشح جاء إلى المؤتمر وأجاب على الأسئلة التي وجهت له . وفيما بعد ، حصل التصويت بالاقتراع السري ، ولم يرشح قدري القلعجي أحد ولم ينتخبه أحد !

□ **يقولون إنك اتهمت قدري القلعجي بالعمالة للشيشكلي !**

□ □ إن سلوك قدري القلعجي لم يكن شيوعياً . وعندما يحدث ذلك تنتشر الهمسات : لماذا فعل كذا ، ولماذا ...؟! وفي النهاية انتهى قدري القلعجي . وصار مراسلاً لإذاعة لندن !!

□ **ورشاد عيسى ؟ يقولون إنك أنت الذي أبعدت رشاد عيسى !**

□ □ هو الذي أبعد نفسه ... هو الذي ترك !

هناك رفاق شجبوا موقف الاتحاد السوفييتي من مسألة التقسيم ، وكان رشاد عيسى من بينهم . ولكن رشاد عيسى لم يعلن شيئاً . قال إنه ضد التقسيم ، وضد موقف الاتحاد السوفييتي . وانقطع عن العمل !

□ **ألم يكن رشاد عيسى موقع خلاف في تلك الفترة ؟**

□ □ لا ... أبداً .

□ **قيل إنه أعلن انسحابه من الجريدة عندما كانت الحملة على الحزب !**

□ □ لا أعرف إذا ما قدم انسحاباً ، ولكن هذه المسألة ذُكرت . ولم يكذّب ذلك(*) !

□ **هل كانت توجد خلافات تنظيمية في صفوف الحزب آنذاك ؟**

□ □ لا ... لم يكن هناك أي خلافات في التنظيم .

(*) نشر رد السيدة وصال على مذكرات هاشم الأمين في العدد .

(*)(*) كان رشاد عيسى على صلات طيبة مع أسرة بكداش حتى اللحظات الأخيرة من حياته، وقد اعطيت وثيقة تثبت ذلك ، وهي عبارة عن رسالة بخط يده أرسلها إلى خالد بكداش قبل وفاته بفترة ـ راجع وثائق هذا الكتاب .

□ **في تلك الآونة كان الخلاف مع تروتسكي على أشده في الاتحاد السوفييتي . هل انعكس ذلك على الوضع في الحزب ، هل برز مؤيدون له ؟**

□ □ نحن لم نهتم بهذه المسائل . نحن شيوعيون ، نحن أصدقاء للاتحاد السوفييتي .

□ **كان هناك أيضاً الخلافات مع زينوفيف وكامينيف وبوخارين ، ثم جاءت حملة التصفيات .**

□ □ أي تصفيات ؟!

□ **تصفيات المعارضة ، معارضة خط ستالين . كيف كنتم تقيمون هذه المعارضة ؟**

□ □ كنا مع الاتحاد السوفييتي ، ومع ستالين .

□ **بغض النظر عمّا يقوم به ؟!**

□ □ لماذا ؟! لم يقم بشيء ! ضرب تروتسكي ، وهذا عمل عظيم أنقذ الماركسية ـ اللينينية من التروتسكية . وبوخارين كان يريد الأموال الموجودة في الاتحاد السوفييتي لكي تصرف على تحسين معيشة الشعب ، بينما كان ستالين يريد تنفيذ وصية لينين لبناء الصناعة الضخمة .

□ **إذاً لم ينعكس الصراع في الاتحاد السوفييتي على الحزب الشيوعي السوري !**

□ □ لا ... أبداً .

* * *

□ **تبرز في ذهني الآن حالة هامة في تاريخ الحزب الشيوعي السوري ، وهي : اعتقال فرج الله الحلو . لقد وضعت بعض الجهات المسؤولية عليك . يقولون أنك كنت السبب غير المباشر لتصفيته !**

فقاطعني خالد بكداش غاضباً :

□ □ ليس صحيحاً !

وأضاف :

□ □ عندما حصلت الضربة الشديدة ضدنا ، شكلنا قيادة مركزية سرية لقيادة الحركة الشيوعية في سورية . وكان الوضع صعباً جداً في منظمة دمشق .

كان فرج الله الحلو يأتي إلى دمشق من أجل تحسين العمل السري . أنا كنت في موسكو . فأرسلت خبراً مع حسن قريطم ومع يوسف فيصل بالذات ، وأخبرته أنه ليس من الضروري أن يذهب فرج إلى دمشق . خفت عليه ، ولكنهم أرسلوه من أجل تصفية الأمور .

□ **ومن الذي أرسله ؟**

□ □ القيادة في غيابي كان فيها أرتين مادويان ونقولا الشاوي . لم يردوا على اقتراحي ، جاء فرج الله الحلو إلى دمشق ، واعتقل هذه هي الحقيقة تماماً . هناك من قال أنه اعتقل وهو داخل إلى الحدود السورية اللبنانية وهناك من قال أنه اعتقل هنا أي في دمشق .

ذهب إلى بيت سري ، وكان رجال الأمن يعرفون هذا البيت . كانوا ينتظرونه في نفس البيت ، فتح الباب ودخل ... فوجد الأمن فيه !

... واعتقلوه !

* * *

□ قبل أن ننتقل إلى موضوع الياس مرقص وآخرين أحب أن تحدثني عن مشكلة التعريب .

□ □ كان هناك جماهير أرمنية في لبنان وسورية ، وقد ضم الحزب أعداداً كبيرة من الأرمن ، وبرزت في هذه الأثناء قضية أن الأرمن كثيرون في الحزب ، نريد عرباً أيضاً ، وعلى هذا الأساس وضع شعار تعريب الحزب ، وأنا شخصياً لعبت الدور الذي أستطيعه لتعريب الحزب .

لقد تبنيت مسألة تعريب الحزب ، ويعترف بذلك أرتين مادويان في مذكراته ، يعترف بذلك الجميع ، بما فيهم الأرمن بالذات ، بأنني بذلت كل جهدي في سبيل تعريب الحزب : يعني توسيعه بين العرب . وبذلك تكون أكثرية القيادات عربية . وكما ترى الآن فإن القيادات عربية .

□ ألم يخطر ببالك أن يحتج أحدهم بأنك كردي ؟

□ □ أنا كردي المنشأ ولكني من العرب المستعربة ! العرب العاربة قليلون جداً .

* * *

□ لقد قرأت مؤخراً أنك وراء إبعاد مجموعة من الشيوعيين من بينهم الياس مرقص وياسين الحافظ !

□ □ أنت تعرف موضوع الياس مرقص . هناك خلاف سياسي معه ! فبعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي طلب منا أن ندين ستالين ونهاجمه ، نحن لم نتدخل في هذا الأمر ! الخلاف جوهره سياسي ، وإلاّ ما الذي يمكن أن يكون بيني وبين الياس مرقص ؟! أنا لا أعرفه بشكل شخصي ، أنا لم أره ! حتى ياسين الحافظ الخلاف معه سياسي .

هم الذين تركوا ! وأنا أقولها صراحة . أقولها بكل استقامة : لم يحدث أي اضطهاد للشيوعيين في الحزب الشيوعي السوري . لم أقم باضطهاد الشيوعيين ، وعلى العكس من ذلك ، بذلت جهدي دائماً لتقديم الرفاق الجيدين ، الأكفاء والنشيطين .

□ أتتذكر الآن قصة رفيق رضا . هناك أقوال مختلفة حول هذه الشخصية .

□ □ شك الرفاق في سلوك رفيق رضا بادئ الأمر . فقلت لهم : ابعثوه إلينا ، ونحن نكبسه ! كانوا يقولون إنه مشبوه ، ولكن بعض الرفاق في القيادة قالوا : لا يوجد دلائل ، اقترحت إرساله إلى رومانيا لقضاء شهر العسل . قلت يرتاح ، ونرى الغلط بعدها .إلاّ أن رفيق رضا رفض ، مع أن كل شيوعي كان يرغب في الذهاب إلى رومانيا آنذاك .

ازدادت شكوكي عندها ، سواء عذروه ، أم لم يعذروه . وتساءلت : هل يعني أن رفضه جاء نتيجة تعليمات من زعمائه الذين يتعامل معهم ؟ من المخابرات يعني .

لقد خرّب رفيق رضا كثيراً ، وأظن هو الذي كان وراء اعتقال فرج الله الحلو ... أظن هو !

□ إن مثل هذه الحالات تثير أسئلة كثيرة ، وقبل قليل حدثتني عن فؤاد الشمالي . وأنا الآن أسأل : إن حزباً في طور التكوين يدخل إليه خالد بكداش ليجد أن هناك من الاحتمالات ما يشير إلى أن أمينه العام كان عميلاً . ألم تحبط ؟ ألم تشعر أن هذا الحزب بحاجة إلى سبر !

□ □ إن الأعداء يدفعون عناصرهم داخل الحزب ، ويحاولون شراء عناصر من الحزب نفسه ، وهذه عملية مستمرة .

يجب اليقظة والحزم ، إذا برزت علامة استفهام حول شخص ما يجب فوراً إبعاده ... إن لينين يتكلم عن مالينوفسكي الذي كان نائباً في الدوما . وكان له صلة في الاوخرانا القيصرية (جهاز الاستخبارات القيصري) ... ماذا قال لينين حول هذه المسألة ؟ قال لينين : إن مراقبة التنفيذ هامة جداً. مالينوفسكي كان يرسل العشرات من الشيوعيين إلى السجن ، ولكنه كان مجبراً على تنفيذ سياسة الحزب . كانت خطاباته في الدوما تأتي بمئات الشيوعيين إلى الحزب . وفي أرشيف المخابرات بعد الثورة الروسية اكتشف أن مالينوفسكي كان عميلاً !!

إن مسألة أمن الحزب ، هي مسألة صعبة ، مسؤولية . أمن الحزب شيء هام جداً .

□ ألم تؤثر عليك هذه الحالات ... لقد كنت في بداية حياتك السياسية ؟

□ □ أنا لم آت من أجل أشخاص في الحزب . أنا جئت من أجل مبادىء لينين . لم أجيء من أجل فلان وعلتان !

□ عندما تتحدث عن الماضي ، لا أجد إلاّ اسماً أو اسمين يترددان كأصدقاء ! هل ألغى العمل الحزبي الصداقات الشخصية ؟!

□ □ أنا لم أضع علاقات الصداقة فوق العلاقات الحزبية الرفاقية ، أما من الذين كانوا أصدقائي فأذكر خصوصاً : فرج الله الحلو وحسن قريطم وانطوان ثابت وفوزي الشلق ، وأنا أسعى لعلاقات رفاقية ، لا أسعى لعلاقات صداقية !!

□ هل كانت علاقاتك الرفاقية مع الذين تركوا الحزب جيدة ؟

□ □ أعتقد أنها كانت جيدة من قبلي . العمل الحزبي هو الأساس !

* * *

□ هل بالإمكان أن تحدثني عن أزمة فكرية قديمة برزت إلى السطح في خمسينات هذا القرن ، وعرفت باسم التيتوية ، أو مجموعة المتأثرين بوجهة نظر الرئيس اليوغسلافي الراحل جوزيف بروز تيتو حول التسيير الذاتي ؟

□ □ نحن عندها وقفنا ضد التيتوية ، وأيضاً نقل تفسير الأمور من حالة إلى حالة : مثلاً يمكن أن يتم التسيير الذاتي ضمن النظام الاشتراكي ، برأينا : يمكن ذلك ، بظروف معينة يمكن ذلك طبعاً مع مراقبة شعبية صحيحة جدية .

إن التسيير الذاتي عندها يؤدي إلى عودة الرأسمالية إلى البلاد . ومن الناحية السياسية العامة أيضاً ، لم يكن واقع حزبنا مع التيتوية فيما يتعلق بالموقف من الاتحاد

السوفييتي ، كأول بلد اشتراكي ... كقوة اشتراكية حاسمة في التطور البشري .

هذا هو موقفنا من التيتوية .

□ **هل شكلت التيتوية أزمة في الحزب ؟**

□ □ لم تشكل أزمة .

□ **هل خرج من الحزب مجموعة على هذا الأساس ؟**

□ □ لا ... ولم يكن الكم الذي تكلم في التيتوية كبيراً ، كانوا في بيروت .

□ **يقال إن نجاة قصاب حسن كان من بينهم .**

□ □ لا ... كان قدري القلعجي يغازل التيتوية . ولم تطل هذه الظاهرة .

* * *

□ **قبل أن نبدأ بالحديث عن المؤتمر الثالث ، سنتحدث قليلاً عن الحزب الشيوعي اللبناني . لأنه ومنذ ميلاد الحزب الشيوعي السوري . كان له تاريخ مشترك مع الشيوعيين اللبنانيين . وإلى الآن لا يمكنكم اقتسام اسم فرج الله الحلو ، الذي سقط نتيجة للخلاف مع جمال عبد الناصر .**

لماذا انقسم الشيوعيون اللبنانيون عن الشيوعيين السوريين . كيف ؟ ومتى ؟

□ □ لقد نشأ الحزب الشيوعي السوري كحزب ضحى تحت الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان . كانت سورية ولبنان بلداً واحداً تحت الانتداب ، ونشأ الحزب الشيوعي السوري ، وكان من شعاراته : الوحدة السورية . وهذا يعني توحيد حكومة حلب وحكومة الجبل ... الخ . هذه الحكومات التي ألفها الفرنسيون . نحن كنا من أنصار توحيد كل هذه الحكومات تحت حكم واحد .

... وتطورت الأمور . وبدأ يظهر الكيان السوري والكيان اللبناني ، فصرنا نقول : الحزب الشيوعي السوري اللبناني . وعندما جرى استقلال كامل للبلدين ، وجلت القوات الفرنسية عن سورية ولبنان ، وأصبح البلدان بلدين مستقلين : كل بلد له استقلاله ، حكومته وحدوده ، ظل التعاون بين الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي اللبناني قائماً .

ولكن ، ومع تطور هذه الأوضاع قام الحزبان المستقلان ، كل منهما في بلده . وذلك في عام ١٩٥٨ ، وحصل الاستقلال التام في عام ١٩٦٤ ، وهو استقلال تنظيمي كامل .

□ **والخلاف النظري السياسي بين الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي اللبناني ؟**

□ □ لا أتذكر وجود مثل هذا الخلاف ! فبعد استقلال كل حزب جرى تعاون فيما بينهما .

* * *

□ **في أعقاب الانفصال ، وفيما بعد ، في أعقاب هزيمة حزيران ظهرت في صفوف الحزب الشيوعي السوري نزعات جديدة . لنقل مثلاً : إنها بدأت كمزاج ، كما استشهدت أنت بلينين .**

كانت هذه النزعات ذات طابع قومي ، ومتأثرة بما كانت تطرحه بعض القوى في المقاومة الفلسطينية .

هل كانت طروحات أعضاء الحزب هؤلاء نتيجة موضوعية للمرحلة التاريخية التي يعيشون فيها ؟

□ □ لينين يقول حتى بعد انتصار الثورة الاشتراكية ووصول الطبقة العاملة إلى الحكم . يبقى جو يساعد على ظهور الميول التحريفية في المجتمع ، وحتى في الحزب الشيوعي ..

إن عقلية المرحلة الرأسمالية لا تزول فجأة مع انتصار الثورة الاشتراكية ، بل تحتاج إلى زمن طويل حتى تزول كلياً .

إن التحريفية تنشأ بسبب وجود أوقيانوس من البرجوازية الصغيرة .

لذلك لا نستغرب أن تبرز في هذه المرحلة التي تحدثت عنها الميول التحريفية المتطرفة يمينياً أو يسارياً .

إن الظروف هي التي ساعدت على اتخاذ بعض الرفاق تلك المواقف ... هذه مسألة لا شك فيها ، ولكن أعداء الحزب ، وخصوصاً الصهاينة والرجعية يشجعون على ظهور مثل هذه الاتجاهات : أي الميول التحريفية اليمينية أو اليسارية المتطرفة .

□ **هل جاءت هذه الأزمة رد فعل على الواقع : واقع الانفصال ، ثم هزيمة ١٩٦٧ ؟**

□ □ بهذا المعنى الانفصال لا علاقة له بما حصل !

□ **قصدت من سؤالي أن المد الجماهيري مع الوحدة وحدوث الانفصال جعل بعض الشيوعيين يشكلون تياراً قومياً داخل الحزب !**

□ □ لم يكن مرتبطاً بالانفصال ! لا أعتقد ذلك ... أما بالهزيمة ، فهو مرتبط !

□ **هل وجد نوع من القصور في تنظيرات الحزب فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ؟**

□ □ أيدنا باستمرار المقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار والصهيونية . لقد قامت علاقة جيدة بيننا وبين العديد من فصائل المقاومة الفلسطينية .

لقد التقيت ذات مرة ، في الطائرة ، وأنا في طريقي إلى موسكو مع ياسر عرفات ، وكان ذلك في نهاية السبعينات ، على ما أذكر .

وتكريماً للمسافرين قدموا لنا الفودكا ، فلم يشربها ياسر عرفات ! كذلك قدموا لنا سكائر ، فلم يدخنها أيضاً ! قلت له : حسناً تفعل ! لا تدخن ولا تشرب . ولكن لماذا لست متزوجاً حتى الآن ؟!

فقال لي : أنا متزوج إحدى وعشرين دولة عربية !!

ودار بيني وبينه حديث قلت فيه :

علينا بالسعي دائماً لتحسين العلاقات بين المقاومة الفلسطينية وسورية .

وقد وافقني على ذلك ، وأراد أن يفهمني أنه من أنصار هذه النقطة . وقلت له :

المهم أن سورية تؤيد المقاومة الفلسطينية . أما بالنسبة للعلاقة بين بعض فصائل المقاومة الفلسطينية وبين هذا الحزب أو ذاك في سورية ، فيجب أن لا يؤثر على المسيرة العامة في النضال ضد الصهيونية والاستعمار .

وأشاد ياسر عرفات يومها بموقف الحزب الشيوعي السوري ، وفهمت منه أنه يريد أن تتحسن العلاقات بين سورية والمقاومة الفلسطينية في كافة المجالات .

كذلك التقيت مع جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وقد رحبت بسياسته ، وأظهر هو كثيراً من الود تجاه الحزب الشيوعي السوري .

والتقيت أيضاً مع نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين . وشعرت بوجود العديد من نقاط اللقاء الهامة بين حزبنا وبين الجبهة الديمقراطية .

* * *

□ طالما نحن في إطار الحديث عن المؤتمر الثالث ، وعن المقاومة الفلسطينية . هل كنتم تشعرون أن دوراً ما تلعبه بعض الفصائل في تأييد التيار الجديد في الحزب إبّان أزمة المؤتمر الثالث ؟

□ □ لم أشعر بذلك !

□ المقاومة الفلسطينية احتضنت رياض الترك ، وأيدته في ذلك الوقت .

□ □ ليس كل المقاومة ، إنما بعض الاخوان ذوي الميول المتطرفة ، والذين يطالبون بإلقاء اليهود بالبحر وغير ذلك .

* * *

□ هناك مسألة أخرى أود طرحها معكم ، فلو عدنا إلى طروحات التجديد في المؤتمر الثالث وما بعده لرأينا أن فكراً فلسفياً جديداً يتمظهر بشكل أو بآخر في هذه الطروحات .. مثلاً :

هربرت ماركوزه ، بانديت كوهن ، جاك لا كان ...

□ □ أوكد لك أن أحداً لم يسمع بهؤلاء ، اللهم إلاّ في الأخبار .

إن ما تتحدث عنه ليس له أي أثر على حزبنا !

* * *

□ ماذا كان جرى لو أن الحزب الشيوعي السوري تبنى كل طروحات رياض الترك ؟

□ □ كان الحزب الشيوعي قد انتهى ! أو لأصبح قوة صغيرة معزولة عن الجماهير الواسعة ، ولا تأثير لها في الحياة الاجتماعية العامة والسياسية في سورية !

□ كيف واجهت النقاشات الحامية التي دارت في صفوف الحزب إبان انعقاد المؤتمر الثالث ؟

□ □ لقد ذهبت إلى كل المنظمات التي كانت تشكل الحزب الشيوعي في سورية ... ذهبت إلى حلب ، إلى دير الزور ، إلى عفرين ، إلى الجزيرة ... وبعد عودتي من الجزيرة حدث معي احتشاء في القلب ربما من الإرهاق الجسدي .

لقد كان الحزب ملتفاً حول اتجاه واحد ماركسي – لينيني . وفي المؤتمر الثالث حصلت على ٩٨ صوتاً من أصل ٩٩ صوت . وعندما انتهى المؤتمر عدت إلى البيت واستلقيت لأرتاح ، وتذكرت هذا البيت للمتنبي :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

□ **كان الشارع السياسي يتصور أن الحزب بكامله خرج من يد خالد بكداش !**

□ □ الحزب الشيوعي السوري لم يكن يوماً بيدي حتى يخرج منها !! كان الحزب ملكاً للمبادىء الماركسية ــ اللينينية . كان ملكاً للهيئات .

□ **يقولون إنهم كانوا يدعونكم للاجتماع في المكتب السياسي ، فترفضون ذلك ، وتتغيبون !!**

□ □ كل ما قالوه ترهات لا تستحق الرد عليها . قلت لك لا أريد النزول إلى هذا المستوى . اكتب ذلك على لساني ! .

□ **إننا لا نتكلم عن أشخاص ، وأنا أريد المأخذ الأساسي على سياسة رياض الترك بعدما انفصل نهائياً عن الحزب الشيوعي السوري .**

□ □ إذا كان رياض الترك متواضعاً ، ومن منبت اجتماعي ليس ميسوراً ، فهذا لا يكفي .

المهم هو موقفه السياسي !

لقد أيد رياض الترك أعمال الأصوليين من اغتيالات ، وما أشبه ، وخصوصاً الاخوان المسلمين . وأعلن أن هذه ليست حركات رجعية بل حركات شعبية !

كما وضع شعار الحزب الشيوعي العربي الموحد لضرب الاتجاه العام للحزب الشيوعي السوري وتفكيك وحدته .

إن إطلاق شعارات آنية لا يمكن تحقيقها يجعل الحزب يفقد مصداقيته . كما يؤدي إلى أن تصاب الجماهير بالإحباط .

□ **ولكنك ، وفي لجنة صياغة مشروع البرنامج ، التي انبثقت عن المؤتمر الثالث قبلت بعض المساومات معه . مثلاً : وافقت على إبقاء فكرة الحزب الشيوعي العربي الموحد في المقدمة على أن تحذف من فصل الوحدة العربية . وهذا يعني أنه كان قوياً وقتها !**

□ □ ليست القضية قضية مساومة مع قوي . لقد كانت المناقشة حامية في الحزب حول مشروع البرنامج !

□ **هل أضعفت هذه الأزمة الحزب الشيوعي السوري ؟ يقولون إن عدداً كبيراً خرج مع رياض الترك ؟**

□ □ كان الحزب مع قيادة الحزب . ولكن مجموعه : أي مجموع الحزب ، فقد أصواتاً ضئيلة هنا أو هناك كانت معه . إن الاتجاه الصحيح هو الذي مضى معنا !

* * *

□ **ننتقل الآن إلى الحديث عن الأزمة التي أسفرت عن ظهور « منظمات القاعدة » بقيادة مراد يوسف .**

□ □ لقد بيّنا موقفنا حول ما فعله هؤلاء الرفاق في المؤتمر الخامس وليس عندي ما أضيفه على ذلك !

□ **هل ترى إمكانية لوحدة مفترضة بين يوسف فيصل ومراد يوسف بالإضافة إلى رياض الترك ؟**

□ □ حسب المعلومات التي وردتنا والتي لا تزال ترد إلينا ، فإن اللقاء الآن بين يوسف فيصل ومراد يوسف ليس كما يحاولون تصويره على انه وحدة !

في الواقع ، لم تحدث الوحدة إلى الآن ! لم تحدث وحدة اندماجية كاملة بين جماعة يوسف فيصل وجماعة مراد يوسف . لا يزالون فريقين داخل حزب واحد يسمونه : الحزب الشيوعي الموحد !

□ هل هي معرضة للانفصال ؟

□ □ لا أدري !

* * *

□ لو عدنا إلى تاريخ الحزب الشيوعي للاحظنا مايلي :
بعد المؤتمر الثالث حدثت أزمة ــ قبل المؤتمر الخامس حدثت أزمة ــ وقبل المؤتمر السادس أيضاً حدثت أزمة .

أي أن أغلب المؤتمرات التي كان يعقدها الحزب كانت تسفر عن أزمة !

ما السبب في ذلك ؟

هل هو الصراع من أجل السيطرة ؟!

□ □ إنها عملية تشبه مسار القافلة .

نحن لم نطردهم ، هم الذين تركوا الحزب . بالإضافة إلى واقع حركة التحرر الوطني ، وتشابك الأمور في العديد من القضايا !!

نظرت إلى خالد بكداش ، وقلت له :

□ هل رأيت وجهك في المرآة ، وأنت تتكلم ؟ إن نظراتك عميقة مثل نظرات التاريخ ! ولو كان التاريخ رجلاً ، لقلت له : ما علاقتك بخالد بكداش ؟ إن أميناً عاماً لحزب كالحزب الشيوعي السوري يعلن بعد ٢٥ عاماً من انعدام المؤتمرات أن المسؤولية تقع عليه في النهاية لهو رجل جريء أمام الهيئات ! ولكن سؤالي الذي ألحّ عليّ طويلاً ، يعود ويفرض نفسه الآن :

هل كنت زعيماً ديكتاتورياً للحزب الشيوعي السوري ؟

فقال خالد بكداش :

□ □ حول قضية المؤتمرات أريد أن أصارحك بمسألة ، ولا أعرف إذا ما كانت تنشر أم لا ؟ لقد كنا ننوي أن نعقد مؤتمراً عاماً للحزب الشيوعي السوري سنة ١٩٥٦ . وقد فاتحت الرفاق السوفييت بهذا الأمر حينئذ وذلك لكي يرسلوا مندوباً إلى المؤتمر . لكن الرفاق السوفييت نصحوني : لا تعقد مؤتمراً الآن !

لماذا ؟ لأن سورية كانت آنذاك على علاقة جيدة مع الاتحاد السوفييتي . وكانت سورية تتهم بأنها شيوعية . وعلى هذا الأساس ، رأى الرفاق السوفييت أنه لا يجب عقد هذا المؤتمر . وحرفياً كان هناك : كوسينين وسوسلوف ، وقد طلبا ذلك غيرة على سورية . وأنا استمعت إلى هذه النصيحة ، ونقلتها إلى الرفاق ، حيث قررنا أن لا نعقد المؤتمر !

□ **من هم الذين سمعوا هذا الرأي ؟**

□ □ فرج الله الحلو ، نقولا الشاوي ، حسن قريطم ، أرتين مادويان ، وأنا ... ويوسف فيصل أيضاً .

لقد استعضنا عن هذا المؤتمر بالاجتماع الموسع للجنة المركزية عام ١٩٥٧ . وعملياً كان هذا الاجتماع مثل المؤتمر . ولكن لم يعلن عنه أنه مؤتمر ، كان فيه بحدود ١٦٠ رفيقاً ، هذا هو السبب !

وأتذكر مثلاً : أنه كان يمكن عقد المؤتمر بعد ذلك . لقد كان ذلك ممكناً ، رغم الظروف السرية كان بإمكاننا عقده . هناك أخطاء . لقد تأخر مدة طويلة !!

□ **هل كان القرار بيدك ؟**

□ □ بيد الهيئة .

□ **أنت قلت أن تأخير عقد المؤتمر يقع عليك شخصياً !**

□ □ يعني كان من الضروري أن أحرّك الآخرين لكي نعقده .

□ **ولماذا لم تحرك .**

□ □ لنفس الأسباب التي ذكرت ؟

□ **هل كنت تشعر أن سلوكك كان فردياً في قيادة الحزب ؟**

إن هذه النقطة ، تؤخذ كنتيجة للنقد الذاتي الذي قدمته أمام المؤتمر الثالث . أريد شعورك الداخلي ، هل كنت تشعر أنك متفرد بالقرار ؟ يقولون أنك كنت ديكتاتوراً طيلة الفترة الممتدة من المؤتمر الثاني إلى المؤتمر الثالث ، تتصرف كما تشاء ، تعين موريس صليبي عضواً في اللجنة المركزية ، وفي المرة الثانية تخلعه !!

□ □ هذا الكلام ليس صحيحاً !

إن الذي حصل مع موريس صليبي هو الآتي : كان هناك قرار بأن يكون موريس صليبي عضواً في اللجنة المركزية . يوجد اقتراح بذلك . وقبل أن ينفذ هذا القرار ، سافرنا ، أنا وهو . أظن سافرنا إلى كوريا ، واستقبلنا كيم إيل سونغ . قلت لموريس صليبي : فيما لو سئلت ، ما هو مركزك ؟ قل : أنا عضو في اللجنة المركزية .

هذه هي الحادثة ، كان هناك قرار بذلك !

□ **وهل يحق للأمين العام ، في حال عدم انعقاد المؤتمرات أن يعين عضواً في اللجنة المركزية ؟**

□ □ يجب أن توافق اللجنة المركزية على ضم فلان من الناس .

□ **ألم تكن اللجنة المركزية موافقة على ضم موريس صليبي ؟**

□ □ كانت موافقة ، ولكنها لم تكن قد أخذت القرار بذلك .

□ **إذاً لم تكن تشعر أنك كنت تنفرد في القرار .**

□ □ لا أبداً .

□ **كنت تعود للهيئات باستمرار .**

□ □ كنت دائماً ، وفي كل اجتماع : في المكتب السياسي ، أو في اللجنة المركزية . أقدم تقريراً عما أفعله . ويحق لي في بعض الحالات أخذ قرار بين اجتماعين للمكتب السياسي ، أو للجنة المركزية ، ولكن لهما الحق أيضاً بالنظر إلى هذا القرار إذا كان صحيحاً أم لا .

□ أحب الآن أن أطرح مسألة الديمقراطية الحزبية ، فالحزب الشيوعي السوري يفتقد إلى المنبر الديمقراطي الذي يمكن من خلاله عرض الرأي الآخر المخالف لرأي الأكثرية .

□ □ إن من جملة مبادىء اللينينية حول المركزية الديمقراطية هو خضوع الأقلية للأكثرية .

□ ولكن يحق لهذه الأقلية أن تعبر عن رأيها .

□ □ تعبر عن رأيها في الهيئات .

□ ولماذا لا يكون ذلك بجريدة داخلية ؟

□ □ في الجريدة ، يجب أن يكون الرأي للأكثرية . لكن في الفرقة ، في الكونغرس المنطقي ، في المؤتمر العام يمكن للأقلية أن تعبر عن رأيها .

□ إذاً لا داعي لوجود منبر ديمقراطي يعبر عن رأي الأقلية .

□ □ المركزية الديمقراطية تتطلب خضوع الأقلية للأكثرية . هذا هو المفهوم الديمقراطي .

□ أيوجد معارضة الآن في الحزب الشيوعي السوري ؟

□ □ داخل الحزب لا يوجد معارضة ، وإذا كنت تعني بذلك الرفاق الآخرين الذين انفصلوا عن الحزب ، فهم موجودون !

□ أقصد في الحزب الآن ؟

□ □ لا أشعر بوجود كتلة جديدة .

□ هل هناك طموحات لتطوير الديمقراطية الحزبية لديكم ؟

□ □ الديمقراطية داخل حزبنا واسعة جداً . وكما قلت لك ، فإن تبادل الآراء طويل عريض ، وهذا يدل على عافية الحزب كما يقول انجلز .

□ هل تقبلون وجود أعضاء غير ملحدين في الحزب ؟

□ □ نحن لم نحاسب أي إنسان في تاريخ حزبنا على دينه ، ومعتقداته الدينية . يكفي أن يوافق على برنامج الحزب ، وينتمي إلى أحد المنظمات كي يكون عضواً في الحزب .

□ ومسألة المرأة ... لماذا لا يوجد اختلاط بين الذكور والإناث في هيئات الحزب القاعدية ؟

□ □ هذه مسألة تتبع للظروف الاجتماعية والموضوعية(*) !

(*) يوجد تنظيمات مختلطة في الحزب الشيوعي السوري ، كما يوجد تنظيمات غير مختلطة ـ كما قيل لي ـ إذ أنه وفي إحدى المدن السورية جرى دمج تنظيم اللجنة الفرعية النسائية مع الرجالية ، فتواردت الشكاوى بأن هذا الدمج لم يكن مواتياً لأن الرجال لا يعرفون خاصية العمل بين النساء الشعبيات . وكانت الفائدة أكبر حالما أصبحت هناك استقلالية في العمل النسائي .

رجل الياسمين

والأدب •

العاشق • •

في شريط مسجل بصوته ، وفي عيد ميلاده الستين، قال خالد بكداش بصوت جهوري قوي ، إنه يحب الياسمين والفُلّ والهرجاية ، وهي من أزهار دمشق المعروفة ، وذات الرائحة الطيبة !

ولمجرد سماعي لأسماء هذه الأزهار ، قلت في نفسي : « إن هذا الرجل يحب دمشق ! » .

وبالفعل وعندما سألته زوجته في هذا الشريط عن أحب البلدان إليه ، رد بسرعة وقوة :

ـ وعز الشرق أوله دمشق !

ـ ومن هو الشخص الذي أثر في حياتك ؟

ـ وصال فرحة بكداش !!

بهذه العفوية والصراحة ، كان خالد بكداش الإنسان يتحدث في احتفال أسرته الصغيرة بعيد ميلاده .

وقالت لي السيدة وصال ،إن زوجها ، لو لم يكن سياسياً لكان أديباً ! ولا أعرف ما الذي أغراني لأتصور فجأة أن خالد بكداش كتب رواية ما !

تنامت شخصيات الرواية في رأسي ، وتسارعت أحداثها في أمكنة وهمية ، وتحددت لغتها ، فإذا هي رواية تتحدث عن : يشار كمال !

ومن يعرف يشار كمال ، يمكن أن يعي جيداً مغزى تصوري هذا . إذ أنه كان أميناً عاماً للحزب الشيوعي التركي وكان أيضاً كاتباً روائياً بل إن حياته نفسها رواية ملحمية شيقة !

إننا لا نستطيع أن نقسم التاريخ كما نشاء ، فلا يمكن أن يكون كما نريده نحن ، لا يمكن للتاريخ أن يكون إلاّ كما هو . أي أن خاد بكداش لا يمكن أن يكون إلاّ الأمين العام للحزب الشيوعي السوري !

كان البيت يعج بورشة عمل كبيرة ، حيث أنهم يصورون فيلماً وثائقياً عن حياته . وهذا ما دفعهم إلى نقل درجة أهمية اللقاء معي إلى الدرجة الثانية . لولا خالد بكداش !

لقد رفض أي تبديل في الموعد . وقال لهم : عندما ينتهي اللقاء يبدأ التصوير . وكان كلامه هذا قراراً في صالحي !

وعلى هذا الأساس توقفت ورشة العمل الكبيرة في الصالون بانتظار حديثه معي ! وعندما جاء ، رأيته يرتدي طقمه الزيتي الغامق ، ويتكىء على عصاه المزينة برسوم جميلة ، ويحيي كل هذه الورشة ويتجه نحوي ليجلس في النهاية إلى جواري .

في هذه المرة ، ومن جهته أنا بالصمت ، وكان الجميع ينظرون إلينا باهتمام . تأملت تقاطيع وجهه طويلاً ، ورحت أحسب المسافة التي تفصل بين حاجبيه وبين الحد الذي وصل عنده منبت الشعر في رأسه . كانت هذه المسافة تساوي ثلث وجهه المتطاول . وكان أبرز ما في هذا الوجه حاجباه الكثيفان اللذان يرسمان ملامح الحزم والصرامة في هذا الوجه الكردي الذي يطيب له أن ينتمي إلى العرب المستعربة . ولفت نظري أيضاً أنفه الأفطس ، ذو الأرنبة العريضة التي تذكر بانوف المصارعين الرومان ، ومن تحتها ارتسم شاربان شائبان يزيدان صرامة الوجه الذي يفكر طويلاً قبل أن يتكلم .

ولم يكن خالد بكداش يتوقع أن أبدأ حديثي معه همساً ، إلاّ أن كلماتي الأولى التي قلتها بصوت منخفض خففت من حدة صوت الحضور ليسمعوا ما أقول :

□ قبل سنوات ، كنا نرى الناس يتحلقون حول المذياع ، نسمع حوارات حول الوحدة العربية وفلسطين حول الوطن والناصرية والبعثية والشيوعية .

والآن تفككت هذه الحلقات . صرنا نسمع الأصوات المتفرقة حول اليأس والجفاف ورائحة المستنقعات ، حول الخبز واللقمة .

ما الذي حصل يا خالد بكداش ، هل نحن في حالة جذر ؟!

فأجاب بسرعة :

□ □ الحديث عن المصاعب التي تلاقيها الجماهير معناه أن الشعب ليس في حالة جذر ... في نمو !

□ أنا أختلف معك في هذا ، النهوض هو حالة تحرك من أجل المطالب الوطنية والاجتماعية .

□ □ نعم ، إن الكلام هو بدء التحرك . يقولون : في البدء كانت الكلمة ، الكلمة هي بدء الفعل !

□ ولماذا تخف حدة الحديث في القضايا الوطنية والقومية ؟ في الخمسينات والستينات كنا نرى الشارع يخرج برمّته ليندد أو ليؤيد ، أما الآن فقد انكفأ .

فقال بعد صمت :

□ □ إن الجواب على هذا السؤال يعني : يجب توسيع الديمقراطية للجماهير الشعبية ولقواها الوطنية والتقدمية .

□ ربما كان السبب في فشل هذه القوى .

ولم يعلق على كلامي هذا ، فقلت :

□ **كان عدد أعضاء الحزب الشيوعي السوري في الخمسينات يحصى بعشرات الألوف ... أما الآن ؟!**

□ □ من الطبيعي جداً أن يكون النهوض الجماهيري واسعاً جداً عندما تكون القضية قضية نضال ضد المستعمر الأجنبي . أو ضد المخططات الأجنبية . أما الآن ، فقد تغيرت الأساليب ، هناك الاستعمار الجديد ، غير الواضح .. مثلاً : عندما كنت طالباً ، كنا نذهب يوم الجمعة مشياً إلى المهاجرين ، نزهة يعني ، وعندما كنا نرى جندياً إفرنسياً ماشياً أمامنا ، كنا نتعوّذ منه ، وربما نفكر ، إنه ذئب ... ونتساءل : ماذا يفعل هنا ؟ الآن .. لا يحدث هذا ! فدائماً النضال ضد الحكم الاستعماري المباشر أهون من النضال ضد الحكم الاستعماري الخفي . أعتقد أن هذه ظاهرة عالمية ، وليست محلية فقط !

لقد أدركت الإمبريالية العالمية ماذا يجب أن تعمل ، إنها تتحاشى الظهور بمظهر المتسلط . كذلك في الداخل فالبرجوازية الطفيلية غير مرئية ، ولا تظهر على الساحة ، وهذا أخطر ! هذا هو السبب .

□ **إن الناس صاروا يكرهون السياسة . السياسة في العالم الثالث وبال . والمواطنون يبذلون جُلَّ وقتهم من أجل لقمة العيش في الوقت الذي يعيش فيه الآخرون برخاء .**

سأقول لك شيئاً : إنني من الذين اتهموك بالانتهازية . وقلت ذات مرة : إن خالد بكداش لديه سيارة مرسيدس ، ونسي هموم الجائعين ، ولكني أحسست بالسعادة عندما قرأت أحاديثك عن الجوع ... والآن أسألك : متى تنتهي كل هذه الأزمات ؟!

□ □ ستنتهي الأزمات والمصائب عندما تحقق الاشتراكية انتصارها على النطاق العالمي . أما في ظل وجود الإمبريالية والرأسمالية هنا وهناك ، فستستمر المصاعب والمصائب .

□ **يقولون إن آثار مشاركتكم في الحكم قد برزت على أحوالكم الاقتصادية بمعنى : بيت ... سيارة ... دخل شهري ... هل اثَّرت هذه المستجدات على سياستكم ؟**

□ □ لا أعتقد ذلك ! سيارة مرسيدس أم سيارة طنبر ... المهم وسيلة نقل !!

□ **لماذا لم يصبح خالد بكداش وزيراً ؟**

□ □ عندما بدأت العلاقات بين سورية والاتحاد السوفييتي كان جميل مردم يريدني سفيراً لسورية في الاتحاد السوفييتي ! لقد رفضت ذلك رفضاً باتاً ، وقلت لنفسي : يريد التخلص مني في سورية !

□ **يعني إذا سميت وزيراً ، تكون النية هي الخلاص منك ؟**

□ □ ذكرتني بعمتي . فذات مرة ، قالت لي : إن شاء الله نراك وزيراً . فقلت لها : لماذا يا عمتي ؟ أنا أكثر من وزير ! فسألتني : كيف ؟ فقلت : أمين عام الحزب الشيوعي ... هذه أكثر من وزير ، ولكن لم يعجبها !!

وضحك خالد بكداش ، فشاركته الضحك ، ولكني قلت :

□ **لأنك الوحيد من بين الأمناء العامين لأحزاب الجبهة الذي لم يستلم منصب**

وزير ! عبد الغني قنوت صار وزيراً ، فوزي الكيالي مر بمنصب وزير ، فايز إسماعيل ...إلخ . إلاّ أنت . ألم تكن عندك رغبة ؟ أم أن هذه المسألة لم تعرض عليك ؟؟

□ □ رفاقنا وحزبي ... لو رشحت لوزارة لكانوا قبلوا كما أعتقد ، ولكن أنا لم أفكر في هذا الموضوع بتاتاً .

* * *

ها هو الرجل الذي يحب الياسمين والفل ، يتجاوب مع الأسئلة التي تتلاحق في ذهني ... هاهو يشعل سيكارته بأسلوب هادىء وأنيق بعد أن يدفعها بالمشرب الأسود ، فيذكرني بإشعال سيكارة أنا الآخر من العلبة التي وضعوها أمامي .

قلت له :

□ نحن الآن في لحظة تضاف للتاريخ ... من يدري ، من سيعلق علينا بعد سنوات ! أنا وأنت سنكون أمواتاً . والأطفال سيصبحون ، رجالاً ... نحن الآن في عام ١٩٩٢ ، هل كنت تتصور أن تعيش إلى مثل هذه الأيام ؟!

فأجاب بصوت متعب :

□ □ عندما كنت شاباً ، وكنت أرى في الطريق رجلاً طاعناً في السن يسير على عصا . كنت أقول بيني وبين نفسي : إن شاء الله لا أصل إلى هذا العمر . لكن لم يطلع في يدي . وصلت لها . وهي من الأخطاء التي ارتكبتها أنا في حياتي . عمري الآن في الثمانين ، والذي صار صار . ما كنت أتصور أن أصل إلى هذا العمر !

كان جوابه على قد السؤال ، ولكنه أشعرني بمرور الزمن ثمانين عاماً دفعة واحدة ! تهدلت وجنتاه قليلاً ، وتحول المشهد الذي أمامي إلى شيء آخر لا يتعلق بالعمل الذي أقوم فيه . إذ أن أمامي الآن حياة كاملة ينبغي النظر إليها بجملتها ... وعلى هذا الأساس سألته :

□ يقولون إنك من أقدم الشيوعيين الذين بقوا أحياء في العالم ... أبوك حارب الفرنسيين كما قرأت عنه . وأنت من حاربت ؟!

وعرف خالد بكداش ما الذي أرمي إليه ، فبعد تلك الساعات الطويلة من الأسئلة والأجوبة ... من الحوار المتواصل يعود السؤال ليجمل كل شيء دفعة واحدة . لقد شعرت أنا بفداحة السؤال . لا أعرف لماذا تمنيت لو أني لم أسأله هو والسؤال الذي قبله . وأحسست أن لحظة الصمت التي توقفها كانت أطول من كل المرات علماً أنها لم تصل إلى النصف دقيقة ... قال بعدها :

□ □ أنا لم أحارب ! لم أحمل السلاح ! لقد ناضلت بقلمي وصوتي . مشيت مع الرفاق سنوات طويلة كما تعلمون . قبل أن أكون شيوعياً كنت طبعاً مثل جميع أبناء شعبي . كنت وطنياً ، ولا أزال طبعاً وطنياً ، انتميت إلى الحزب الشيوعي السوري عام ١٩٣٠ ولا أزال شيوعياً حتى الآن . وسأظل شيوعياً حتى النفس الأخير ! وعاد إلى صمته !!

قلت له :

□ إذا اتفقنا على أن نسمي ما عشته حرباً. ماذا خسرت في هذه الحرب ، وماذا ربحت ؟!

على الرغم من قطع هذا السؤال بتقديم الشاي مع قطع من الكاتو المنزلي ، لم ينس السؤال ، وأجاب :

□ □ لم أخسر شيئاً ! إذا كان ما لاقيناه من مشاق وصعوبات يعد خسارة ، فلقد خسرنا خسارة كبيرة . أما إذا كان الوضع شعوراً بأننا نقدم بعض الواجب نحو شعبنا ووطننا فأنا ربحت في ذلك .

وضحك تلك الضحكة الدبلوماسية التي ذهبت الشيخوخة برونقها ، وأنصت إلى ما قلته له :

□ **إن المحاربين عادة يحاصرون بدائرة الضوء ، ودائرة الضوء تكشف ما خفي عن الناس . وأنا أسألك ، وأحاول أن أسلط الضوء على كل شيء في حياتك ، كيف تقضي وقتك الآن ؟**

□ □ أقضي وقتي كما يقضيه جميع عباد الله البسطاء . آكل ، وأشرب ... أتنزه وأنام ... وأقرأ وأكتب وأفكر ... هكذا أقضي وقتي !

□ **ألا تتفرج على الفيديو ؟**

□ □ ليس عندي فيديو !

□ **طيب هل تغني ؟**

□ □ عندما كنت شاباً كنت أدندن في بعض الأحيان .

□ **لمن ؟**

□ □ كما يقول المازني ، فأنا لا أملك ذلك الصوت المحتمل . ولكني كنت أدندن بيني وبين نفسي لمحمد عبد الوهاب وأم كلثوم ... لأسمهان .

ثم قال باستياء :

□ □ أنا ليس عندي وقت كبير للغناء !

لكنه ، عاد واستدرك :

□ □ وأحب فيروز .

□ **ومارسيل خليفة ؟**

□ □ ربما مرة أو مرتين سمعت مارسيل خليفة ... لا أذكر !

□ **هل سمعت للشيخ إمام ؟**

□ □ سمعت له بعض الأغاني ، ولكن لا أذكر .

□ **هل تذهب إلى الصيد ؟**

□ □ ذهبت عندما كنت شاباً عدة مرات .

□ **إذاً كنت تحب الصيد ؟**

□ □ ومن لا يحب الصيد ؟! خرجت مرة لصيد الغزلان في الصحراء فلم أوفق ولا بغزال . كان الغزال يهرب منا ، يذهب إلى أماكن مليئة بالصخور والأحجار وكأنه يعرف أن السيارة لا تصل إلى هناك .

□ **مع من كنت تذهب إلى الصيد ؟**

□ □ لي صديق سائق . من أوائل الشيوعيين في دمشق . توفي الآن . أنا وهو وزعنا

أول منشور بدمشق . اسمه : أحمد ظاظا من الحي الذي نسكن فيه . ومرة أخرى ذهبنا إلى الصيد مع الأستاذ المحامي نجاة قصاب حسن ، ونجاة قصاب حسن أطلق ولم يصب شيئاً !!

□ **الذي يذهب إلى الصيد يحب الفروسية .**

□ □ امتطيت الخيل في شبابي بين عسال الورد وتل فطايا لفترة قصيرة . عدة أشهر يعني .

□ **هل تحب السباحة ؟**

□ □ أحب السباحة حتى الآن ؟

□ **أتذهب إلى المسبح الآن ؟**

□ □ لا أذهب الآن . قبل سنتين ذهبت إلى المسبح ! يوم الجمعة كنت أمضي ساعة أو ساعتين .

□ **هل تحب التجديف ؟ الركوب في الزوارق والتجديف فيها ؟**

□ □ جدفت ، ولكن ليس كثيراً . كنت أفضل السباحة كثيراً في البحر . لقد سبحت في البحر الأسود . سبحت في اللاذقية ، سبحت في كوريا الشمالية (المحيط الهادىء) ، سبحت في إيطاليا في نابولي .

لقد سبحت في كل البحور .

□ **حتى في البحور الشعرية . لقد سمعت شريطاً مسجلاً بصوتك تتحدث فيه عن الشعر ، وقلت إنك تحب المتنبي . لماذا تحب المتنبي ؟**

□ □ لأن شعر المتنبي جذل ، دسم ، وفيه رجولة ، إنه يقول :

وكل ما خلق اللهُ ولم يخلق ... مُحتَقَر في همتي كشعرة في مفرقي

لقد أعجبتني قصائد كثيرة للشاعر المتنبي ، ومن جملتها قصيدته التي مطلعها :

على قدْر أهل العزم تأتي العزائم ... وعلى قدر الكرام تأتي المكارم

وفيها يقول عن سيف الدولة ، كما أظن :

وقفتَ وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيلة ... ووجهكَ وضاءٌ وثغرك باسم

□ **ومن تحب أيضاً من الشعراء القدماء ؟**

□ □ إنني أحب الشعر العربي من امرىء القيس وإلى الآن ... إنني أحب معلقة امرىء القيس التي يقول فيها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسِقطِ اللوى بين الدَخول فحومل

ويقول فيها غزلاً جميلاً :

أفاطمُ مهلاً ، بعد هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرك مني ان حبكِ قاتلي ... وإنكِ مهما تأمري القلبُ يفعلِ

ويصف الحصان وصفاً جيداً :

مِكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويعجبني من المعلقات أيضاً ، معلقة عمرو بن كلثوم :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا

ويقول فيها :

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأمهلنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا
ونشرب إذا وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما تعجبني أيضاً معلقة طرفة بن العبد ، وهي جميلة جداً . يقول فيها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومن جملتها هذا البيت الشعري المتداول حتى الآن :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهند

تعجبني أيضاً معلقة عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
يادار عبلة بالجوار تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
دار لآنسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المبسم

ومنها :

أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم

كما أحب أبا العلاء المعري ، وقصيدته المشهورة :

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باكٍ ولا ترنم شادي
أشبيه صوت النعي إذا ما قيس ... بصوت البشير في كل نادي
صاح هذي قبورنا تملء الرحب ... فأين القبور من عهد عاد
صاح خفف الوطء ما أظن ... أديم الأرض إلاّ من هذه الأجساد

□ **ومن تحب من الشعراء المعاصرين ؟**

□ □ من الشعراء الأحياء أحب ثلاثة في العالم العربي بصرف النظر عن اهتماماتهم السياسية . أعرفهم ، وأحفظ لهم ، وهم : محمد مهدي الجواهري ، نزار قباني ، سعيد عقل . وهناك الشعراء الذين رحلوا : رئيف خوري وخصوصاً قصيدته : نشيد القافلة ! ثم رضوان الشهال . لنستمع إلى مايقوله رضوان الشهال عن لينين :

يقود خطاهم عبقري مخلد كما لم تلد أم ولم ترو أعصر .

كما أحفظ لولي الدين يكن :

هل عرفت الهوى الذي أخفيه ... أي شيء من القلب لم تعلميه
هو مأواك منذ كان وهل ... يحجب شيء في البيت عن ساكينه
أيها القلب لست تقبل نصحاً ... فتجرأ هذا الذي تبتغيه
قد كنت طفلاً فيه ومازتُ طفلاً ... وبنوه شابوا ونسل بنيه

وتعجبني سينية البحتري التي مطلعها :

صُنت نفسي عما يدنس نفسي   وترفعت عن جدا كل جبس

وأذكر باستمرار أبيات أحمد شوقي التي وجهها إلى ثوار سوريا عام ١٩٢٥ ، ومنها :

سلام من صَبا بردى أرق   ودمع لا يُكفكف يا دمشق

وللحرية الحمراء بابٌ   بكلِ يد مضرجة يُدَق

ومنها :

دم الثوار تعرفه فرنسا   وتعلمُ أنه نورٌ وحق

ونفى خالد بكداش أن يكون قد قرأ شعراً لنزيه أبو عفش أو رياض الصالح الحسين . إلا أنه قال :

□ □ لقد سمعت شعراً لمحمود درويش ومظفر النواب .

بهذه الانسيابية الشفافة تحدث خالد بكداش عن علاقته بالشعر العربي وبرموزه . كانت بيوت الشعر تنساب من فمه بطلاقة وصوت جهوري جذاب . وعندما كنت أحاول مقاطعته كان يتابع الأبيات التي يحفظها ، وكأنه يحتج على مقاطعتي ولذلك قال لي :

□ □ لم أذكر كل شيء يتعلق بالشعر . ذكرت لكم بعض أشعار نور الدين يكن . ولكن أشعار سعيد عقل لم أتحدث عنها . قصيدته عن الشام وغيرها . أتدري ، لقد عمل سعيد عقل قصيدة عن النبي محمد ، ولكنه لم ينشرها . كان سعيد عقل صديقي . تعرفت عليه في لبنان ، وكنا نمشي سوية . ولا أخفيك لقد كان سعيد عقل معجباً بتوما الأكويني .

* * *

وها هو العاشق الذي يتفاخر بأن الشخص الذي أثر في حياته هي زوجته السيدة وصال ... هاهو يقسم أنها كانت حبه الوحيد . إن رجلاً مثل خالد بكداش يستحق أن نسأله عن حبه للمرأة . ولذلك قلت له :

□ **لماذا لم تحك لي عن علاقاتك النسائية ، هل كنت عاشقاً مثلاً ؟!**

□ □ والله ! أول حب جدي كان مع أم عمار . نحن في حي واحد . والدها محمد علي فرحة هو خال أمي . يعني والدها أخو جدتي من أمي ، تقربنا ، تعارفنا ... إلى آخره .

بعد الخطبة وكلت أخي ، الذي أصبح وكيلي في كتبة الكتاب ، الذي تم في الشام دون أن أكون موجوداً . وعندما عادت أم عمار إلى بيروت قالت لي : هذه المرة آتي إلى عندك مثل زوجتك . صار الكتاب في الشام .

وبعدها صار الزواج . الزواج تم في عهد سري ، وحين كنت في بيروت جاءت أم عمار إلى بيروت عملنا حفلة زفاف في بيت سري . وسأروي لك نكتة ، وإن شئت انشرها :

المحامي الكبير أدمون رباط دافع عني مرة في بيروت . كان يصعد إلى الجبل ، ويترك بيته بحراسة رفيق شيوعي . اسمه : كريكور . يسلمه المطبخ والمدخل . وكنت أنا وفرج

الله الحلو ونقولا الشاوي وكريكور وأم عمار . عملنا حفلة . وهذا يعني أن التكريم الرسمي للزواج كان في المطبخ .

حكى القصة باسترسال ، وهذا ما شجعني على متابعة الأسئلة حول هذا الموضوع . فقلت له :

□ **أنت تقول أن أول حب حقيقي كان مع أم عمار . هذا يعني أن هناك حب غير حقيقي ! هل كان يوجد مثل ذلك في حياتك ؟**

فأجاب بلا مبالاة :

□ □ وقعت بعض الصلات مع بعض الفتيات . لكن لم تؤد إلى نتيجة وزواج ، يعني أنا كنت أحياناً لا أقترح الزواج وأحياناً ، الفتيات كن لا يردن الزواج من شاب ملاحق لا يعرف وضعه ، هذا صار !

□ **هل كانت هذه العلاقات رومانسية ؟**

□ □ كانت تأخذ شكلاً رومانسياً !

□ **يعني بدون عمق في العلاقة ؟**

□ □ بدون عمق .

وضحك الجميع . وضحك خالد بكداش بسعادة . إلا أن السيدة وصال ذكّرته بقصة فتاة أرستقراطية . فأوضح القصة بقوله :

□ □ أحبتني ابنة أحد الأغنياء . وكانت جميلة جداً ، ولكني لم أتزوجها لأنها كانت ابنة غني ، كان أبوها صاحبنا ، وصديقاً للحزب .

□ **يعني أنك كنت تفصل بين عقلك ومشاعرك .**

□ □ كان كل شيء عندي هو النضال الذي أمارسه . وأنا أعتقدت أن وضعها الطبقي يمكن أن يعطل نشاطي السياسي . لقد استمرت هذه العلاقة عدة أشهر .

□ **ماذا كان موقفها عندما رفضت الزواج منها ؟**

□ □ هي كانت تريد الزواج أصلاً .

□ **لماذا لم تحاول سلخها عن طبقتها (تطليق طبقي يعني) ؟**

□ □ هذا الشيء لم يحصل .

* * *

وانتقلنا إلى حديث شيق آخر . اكتشفت فيه جوانب أخرى عن شخصية خالد بكداش . فهو قارىء ذكي وممتاز ، ذكرني حديثه مباشرة بجورج أمادو الذي قال ذات مرة : إن السياسيين لا يقرؤون ! فها هو خالد بكداش يقرأ بغزارة ... بل ، ويحدث بشكل عميق عما يقرأه . قلت له :

□ **ليس لدى السياسي من وقت كاف ليقرأ كل شيء . وأنت أسمعتني شيئاً عن الشعر ، وأخبرتني أنك تمضي وقتك بالقراءة أحياناً . قل لي ماذا تقرأ !**

□ □ أنا أقرأ باستمرار ، وأتصفح ، أقرأ مصادر الماركسية ـ اللينينية لماركس وانجلز ولينين . كما أقرأ قصصاً وروايات . وآخر ما قرأت كان رواية لأرنست هيمنغواي

اسمها « وستشرق الشمس أيضاً » تجري أحداثها بين إسبانيا وفرنسا ، وهذه الرواية لابأس بها .

☐ **لقد تطور الفكر الماركسي ـ اللينيني ، بعد ماركس وانجلز ولينين ظهر غرامشي وتولياتي.ظهر ألتوسير وبولنتراس وآخرون. هل تابعت ما كتبه هؤلاء ؟**

☐ ☐ قرأت عن غرامشي ، وقرأت أعمال ستالين ، قرأت كتاب ستالين المعروف : « أسس اللينينية » ، وكتابه حول الماركسية والقضية الوطنية وقضية المستعمرات . هذا الكتاب الذي مدحه لينين ، وقال عنه إنه مرجع هام من مراجع دراسة القضية الوطنية .

وفي هذا الكتاب يؤكد ستالين ما قاله لينين قبله أن اليهود لا يؤلفون لا أمة ولا شعباً وقد ترجمت أسس اللينينية إلى العربية ، وكتاب الماركسية والمسألة القومية .

☐ **عن أي لغة ؟**

☐ ☐ عن الفرنساوي .

☐ **وكم لغة تجيد ؟ فرد مازحاً** :

☐ ☐ العربية قليلاً ! **وأضاف** :

☐ ☐ الفرنساوية واللغة الروسية وأتكلم قليلاً من الكردية ، ولكني لا أستطيع تقديم تقرير باللغة الكردية .

☐ **ماهي أجمل كلمة لديك في اللغة الكردية ؟**

☐ ☐ خويبون ، وتعني الاستقلال !

☐ **وماذا تعني كلمة « آزاد » بالكردية ؟**

☐ ☐ آزاد تعني الحرية ... ما ؟

☐ **من تحب من الروائيين العالميين ؟**

☐ ☐ موباسان ... الذي قال عنه غوركي : موباسان الكبير ! وأميل زولا وبلزاك وأندريه مالرو الذي كتب قصته المشهورة : « الشرط الإنساني » ، وهي قصة رائعة يصف فيها نضال الشيوعيين في الصين . ومن جملة ما جاء فيها أنهم كانوا يعتقلون الشيوعيين في الصين . ويعدمونهم بإلقائهم في مرجل القطار . وقد اعتقل ممثل الكومنترن في الصين ، ومعه رفيقان صينيان . كانوا خائفين من الموت حرقاً . أما هو ، فكان يحمل حبة سيانور البوتاسيوم ، وهذا سُم قاتل جداً . كان يملك حبتين . رأى الشابين خائفين كثيراً من المحرق ، فأعطاهم الحبتين . وقال بينه وبين نفسه : افترض أنني مت بحريقة !

☐ **لم تذكر مكسيم غوركي !**

☐ ☐ قرأت له عدة قصص ، وخصوصاً أذكر : الأم ، وهي رواية مشهورة . ورواية Suit de Crimette ليالي القرم وهي غير مترجمة للعربية . وأيضاً قرأت لديستويفسكي كثيراً . وأجمل عمل له هو : الأبله ! أما أجمل عمل قرأته لتولستوي فهو الحرب والسلم . كذلك أحب قصصص انطون تشيخوف القصيرة . لقد قرأت هنري ترويا على كبر ، وأحببته . ومن الكتاب الانكليز أحب تشارلز ديكنز وخصوصاً قصة مدينتين .

☐ **قصة مدينتين لديكنز أثرت في جمال عبد الناصر . ودفعته إلى التفكير في الثورة . وأنت ماهي الرواية التي أثرت بك في هذا الاتجاه ؟**

□ □ القصة التي لعبت دوراً في هذا الموضوع هي قصة : الأم لمكسيم غوركي ، وبعدها قصة أميل زولا : جيرمينال والإضراب .

□ إن ما ذكرته لي يشير إلى ولع ما لديك بالواقعية وجذورها ،وصولاً إلى الواقعية الاشتراكية . هل تؤيد المدرسة الواقعية في الأدب ؟

□ □ الواقعية مدرسة هامة جداً ! ولكني أيضاً لا أنسى الرومانسية . في الرومانسية أشياء جميلة أيضاً .

□ هل ترى أن هناك أخطاء وقعت في المدرسة الواقعية الاشتراكية ؟

□ □ ربما ... أحياناً لم تكن موضوعية تماماً . يعني تجري عندهم محاولة لإظهار الجوانب الإيجابية فقط !

□ مسألة البطل الإيجابي ؟

□ □ نعم ... ويهملون الجانب السلبي . كان من الضروري تناول الجانبين ، ربما هنا ... عندهم أخطاء . ولكن ، وبشكل عام ، المدرسة الواقعية الاشتراكية مدرسة جيدة في الأدب . وتخلق في نفس الإنسان الثقة بالمستقبل . وإمكانية زوال كل ما يعانيه الإنسان في المجتمع في المشاعر أو الفقر ... فتبدو له الدنيا كأفق مشرق !

□ لقد تدخل لينين في رواية الأم لمكسيم غوركي ، وطلب تعديل بعض المسائل في الرواية . أترى من الضروري أن يتدخل السياسي في الأدب ؟

□ □ أنا من أنصار الحرية الكاملة للأديب ، نتركه وشأنه . ولكن التصحيح ممكن . إذا كانت هناك بعض المواقف السياسية غير صحيحة يمكن تصحيحها ، ولكن النقد أيضاً يجب أن يكون حراً !

□ لقد فرض حظر على بوريس باسترناك في الاتحاد السوفييتي !

□ □ في رواية دكتور زيفاكو يوجد تشويه كبير للأحداث . لا يجوز أن يزور !

□ ولكن أعماله منعت !

□ □ لماذا منعت ؟ لتبقى ويرد عليها .

□ هل أنت مع تدخل الأديب في السياسة ؟

□ □ ولماذا لا يتدخل في السياسة ؟! يتدخل كما يشاء .

□ ألا يؤثر ذلك على القيمة الفنية للعمل الأدبي ؟

□ □ حسب هذا الانتاج . المهم رأي الناس في هذا الأدب .

□ هل أنت مع الأدب الذي يطرح الشعارات ؟

□ □ يجب أن يؤدي توجيه الأدب في النهاية إلى هدف .

□ في البيان الشيوعي تم فرز الأدب على أساس طبقي . هذا يعني أنه ليس هناك من أدب محايد ؟!

□ □ إذا جئت لي بأدب محايد لقلت لك هل هو محايد أم لا . أنا أتساءل هل هناك أدب محايد ؟!

□ إذاً سيبقى الأدب منحازاً إلى طبقة محددة .

□ □ طبعاً .

□ **من الروائيين العرب من تحب ؟**

□ □ يعجبني كثيراً عبد القادر المازني . ومن كتبه الهامة جداً : حصاد الهشيم ، وقبض الريح . وله قصص قصيرة : على الطريق . وروايتان : إبراهيم الكاتب ، وإبراهيم الثاني .

يعجبني مثلاً عمر الفاخوري . لقد أهداني كتاباً أدبياً اسمه : الفصول الأربعة . وكتب عليه : إلى أخي خالد الذي يدلنا على الطريق . لقد اعتزيت كثيراً بهاتين الكلمتين .

لقد زرت عمر الفاخوري في بيته . عنده مكتبة كبيرة . فسألته : هل قرأت كل هذا . فقال : نعم ، ولكن يبدو أنه يجب أن أقرأ من جديد !

وضحك خالد بكداش ، ثم أضاف :

□ □ عندما تعرف على الشيوعيين ، أخذ تفكيره اتجاهاً معيناً لم يكن موجوداً عنده في السابق . وعندما توفي رثيته أنا . وقلت إنه كان عالماً قائماً بذاته . ومن جملة المسائل السابقة أن يقف الأديب أمام الباب المرصود ، ويتساءل : من ترى سيفك الرصد ؟ وعندما تعرَّف عمر الفاخوري على الشيوعيين وعلى الماركسية ــ اللينينية كأنما شعر بأن الرصد قد انفك !

ثم تأملني خالد بكداش ، وكأنه يعتز بمعرفة عمر الفاخوري . وقد تأكدت هذه الحالة عنده عندما كررت عليه نفس السؤال ، فوجدته يعرب عن هذا الاعتزاز بشكل مباشر . قال لي :

□ □ قرأت حنا مينه في الشراع والعاصفة والثلج يأتي من النافذة ، وهو كاتب جيد . وفارس زرزور في روايته لن تسقط المدينة التي تتكلم عن الاحتلال الفرنسي . وأنا أعرف فارس زرزور وعبد الرحمن منيف بشكل شخصي . وعبد الرحمن منيف كاتب كفء .

كذلك أحب رواية نجيب محفوظ بين القصرين لأنها تؤرخ لمصر . وأحب يوسف إدريس وخصوصاً كتابه الذي يشبه كتاب مكسيم غوركي . وكتاب يوسف إدريس : قاع المدينة .

□ **ومحمد كامل الخطيب ؟**

□ □ لم أقرأ له !

□ **سننتقل الآن إلى كاتب لم تتحدث عنه ، إنه جورج أمادو . فتنهد خالد بكداش ، وقال :**

□ □ جورج أمادو قرأت له كثيراً ، ومعجب به جداً ... يكتب عن عمال الكاكاو ، عن باهيا جميع القديسين . تعجبني كتابته عن الواقع ، والمعلمية التي يعرض بها هذا الواقع . إنه كاتب يُقرأ بلا ملل !

□ **لابد وأنك قرأت روايته : فارس الأمل .**

□ □ قرأتها ...

□ **لماذا غنوا في بلاد الكاكاو للويس كارلوس برستس الأمين العام للحزب الشيوعي البرازيلي ، ولم يغنوا لك في سورية ؟**

□ □ لويس كارلوس برستس قام بأشياء لم يقيض لي القيام بها . كان برستس

فارس الأمل ، كان بالفعل فارساً ، وقاد ثورة شعبية كبرى .

□ **يخطرني سؤال : لو أنك اعتقلت زمناً طويلاً ، هل كان الأدباء سيكتبون عنك ؟**

□ □ لا أدري !

□ **هل تتوقع أن تقرأ عملاً أدبياً عن حياتك السياسية ، وأنت حي ؟**

□ □ بالطبع ، سأكون مسروراً إذا حدث ذلك . ولكني أعتقد أنني لم أصل بعد إلى هذا المستوى !

□ **لماذا تتواضع كثيراً ؟**

□ □ الواقع ! ولكنهم لا يقولون عني متواضعاً . يقولون إنني ديكتاتور !!

* * *

□ **في أكثر من مرة لاحظت أنكم تستشهدون في خطاباتكم بآيات قرآنية . لماذا تفعل ذلك ؟**

□ □ لأنها منتشرة عند جماهير الشعب .

□ **هل حفظت القرآن الكريم ؟**

□ □ حفظت أجزاء كبيرة منه . أتذكر ، وعندما كان عمري خمس أو ست سنوات أرسلتني الوالدة لأتعلم القرآن عند الخجاتي(*) ، وهناك درست القرآن وحفظت أشياء كثيرة ولازلت أحفظها حتى الآن .

□ **ماذا تقول عن القرآن الكريم؟**

□ □باعتقادي يجب على كل مناضل. على كل واع أن يقرأ القرآن!

□ **هل كان فكراً ثورياً ؟**

□ □ كما قلت لك قبل قليل . حتى الآن نستشهد به في المناسبات العظيمة . ولقد قال علي بن أبي طالب : إن للفقير حقاً في مال الغني ، فما اغتنى غني إلا بفقر فقير هذه بذرة لفكرة القيمة الزائدة التي كتبها ماركس .

□ **هل قرأت كتاب النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية للدكتور حسين مروة ؟**

□ □ قرأت منه كثيراً . إنه كتاب جيد . وأرى أنه في رأس مهمات حزبناوليس حزبنا فقط بل مهمات جميع التقدميين العرب، العمل الجاد لاحياء التراث التقدمي العربي، الذي جرت وما تزال تجري محاولات محمومة، ولكن فاشلة لطمسه ووأده وهو تراث غني جداً، يتمثل في أعمال فلاسفة عظام، أذكر منهم الآن اثنين هما ابو النصر الفارابي في كتابه «المدينة الفاضلة» والفيلسوف العربي الاندلسي ابن رشد صاحب كتاب «تهافت التهافت» الذي فند فيه آراء أبو حامد الغزالي في كتاب «تهافت الفلاسفة» وقد لعبت فلسفة ابن رشد دوراً هاماً كبيراً في أوربا نفسها كما هو معروف حيث استمد منه الفلاسفة الاوربيون الكثير الكثير من مفاهيمهم حتى اصبحت مذهباً اشتهر باسم «افيروهيزم»

(*) وهي سيدة تعلم الأطفال حفظ القرآن

□ **كلمتني عن الشيخ أحمد كفتارو ، هل تلتقي باستمرار معه ؟**

□ □ العلاقات ودية بيني وبينه شخصياً ! كذلك يوجد زيارات بيني وبينه .

□ **قلت لي : إنه تقدمي . وأنا أسألك الآن عن الدور التقدمي للدين .**

□ □ يعني بإيجاز أن يكون ضد الإمبريالية . ويسعى لتحسين حالة الشعب المعاشية . المتدينون الذين يعملون من أجل ذلك يكونون تقدميين ... ومرة حكيت لأحمد كفتارو مفتي الجمهورية أن لينين يقول إن التباين في الرأي بين الكادحين حول وجود أو عدم وجود جنة في السماء يجب أن لا يمنعهم من الاتحاد لبناء جنة لهم على الأرض .

هذا ما قلته ، فقال لابنه : سجلها !... سجلها !

□ **هل تشعر ، وعندما تكون وحيداً أنك بحاجة إلى قراءة القرآن الكريم ؟**

□ □ كما قلت لك ، أول ما تعلمت تعلمت قراءة القرآن وكثيراً ما رجعت إليه ، وأنا أستشهد به .

□ **سألتك عن القرآن الكريم لأن أحدهم ، وهو رجل عادي ، يعرف أنني ذاهب لمقابلتك . قال لي : أرجوك ، اسأل خالد بكداش ، هل سيؤمن بالله ؟ ألم يمل بعد من البلاشفة ؟ ألا يريد الذهاب إلى مكة ؟ وأنا أحمل الأمانة ، وأسألك نفس السؤال .**

تأملني خالد بكداش طويلاً . وأشعل سيكارة جديدة ، وسحب منها نفساً عميقاً ، ثم قال :

□ □ عندما كنت نائباً في مجلس النواب ، أراد أحدهم أن يهاجمني بهذا الاتجاه ، فأجبته : الدين لله ، والوطن للجميع ... الدين لله ، والوطن للجميع !

□ **وأنا ماذا أقول لهذا المواطن ؟**

□ □ الدين لله ، والوطن للجميع !!

وصمت خالد بكداش ، ارتدى وجهه هالة وقار غريبة . ولم يلتفت إلي ، رغم أنه في المرة الأولى أشعرني أنه تضايق مني . راقبته وهو يرمي رماد السيكارة بهدوء . كانت أصابعه نحيلة معرورقة لكنها كانت جميلة ، تحيط بالسيكارة المتوهجة بنعومة ورقة .

قلت في نفسي : أيكون سؤالي تدخلاً في حياته الشخصية ؟! لكنه أجابني دون أن يدع لي مجالاً أطول للتفكير :

□ □ حزبنا لا يحاسب الإنسان على معتقده الديني ، لا يسأل إنساناً يريد أن ينتمي إلى حزبنا ، ماهو دينك ؟ يسأله ، ماهو اتجاهك ؟ هل هو يعادي الإمبريالية والاستعمار ؟ هل هو يعادي الإقطاعية والرأسمالية ؟ هل هو مع الوطن ؟ هل هو وطني ؟!

وصمت خالد بكداش ، وصمت أنا بدوري !

* * *

قلت له :

□ **هل تؤمن أن الماسونية تصنع الزعماء ؟**

فأجاب :

□ □ وراء الماسونية تختفي أشياء كثيرة .

وأضاف :

□ □ الصهيونية تحاول أن تلعب دوراً في كل الحركات . حتى إن الصهيونيين يحاولون لعب دور في حركتنا الشيوعية . ولذلك حاولوا الدخول في الماسونية .

□ **هل عرض عليك أن تكون ماسونياً ؟**

□ □ يوجد لي صديق اسمه : خليل حورية . كان موظفاً في الدولة . وبزمانه قال لي : ما رأيك بدخول الماسونية ؟ فرفضت ! ولا أدري إذا ما دخل هو إليها ... لقد عرض عليّ فقط .

□ **ولماذا لم تدخل الماسونية ؟**

□ □ لأني دخلت الحزب الشيوعي السوري . لأن الفكر الشيوعي متناقض تماماً مع الماسونية(*) .

□ **هل تؤمن بالتحليل النفسي ؟**

□ □ بسيكولوجيا ... هذا علم قائم بذاته ، موجود ، ويعطي بعض النتائج الإيجابية .

□ **هل تؤمن بالسحر ؟**

□ □ لا .

□ **من تحب من الزعماء العرب المعاصرين ؟**

□ □ لا أحب صدام حسين !

□ **لماذا لا تحب صدام حسين ؟**

□ □ هذا السؤال لا يسأل ! معروف لماذا ! كل الناس يعرفون لماذا لا يحبون صدام حسين .

وأضاف :

□ □ لأنه طاغية ، ولأن اتجاهه الوطني غير سليم . مثلاً ، تلك الفعلة التي فعلها مع الكويت ، كانت خدمة مباشرة للإمبريالية العالمية ، الحرب ضد إيران ! إيران معنا . ضد الإمبريالية وضد الصهيونية . لماذا الحرب ضدها ؟ لا مبرر لذلك .

□ **وهل كنت مع الائتلاف الدولي في هجومه ضد العراق إثر احتلاله للكويت ؟**

□ □ نحن أيدنا موقف سورية !

* * *

وسألت خالد بكداش في نهاية الحديث :

□ **لماذا لم تكتب مذكراتك إلى الآن ؟**

□ □ ربما لأنني مشغول ، ليس عندي وثائق ، لم أحفظ . يجب أن أعتمد فقط على الذاكرة وهذا لا يكفي .

□ **هل ستحاول ذلك ؟**

(*) يمنع قرار المؤتمر الثالث للكومنترن على كل شيوعي أن يكون ماسونياً .

□ □ لم أفكر بذلك !

□ **بقي لدي سؤال أخير : هل توافق على أن يكون ابنك الدكتور عمار بكداش أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوري من بعدك ؟**

□ □ لم أفكر بهذا الموضوع بتاتاً !

□ **أخيراً ماذا تريد أن تقول ؟**

□ □ ان أحسن المحسنين الى البشرية فيما لاقته وما تلاقيه من عذاب وآلام هم :

أولاً : الموسيقيون من بيتهوفن وشتراوس وتشايكوفسكي وام كلثوم ومحمد عبد الوهاب وسيد رويش.

ثانياً : الشعراء : من بوشكين وبول ايلوار وأبو العلاء المعرّي والمتنبي وناظم حكمت الى مهدي الجواهري ونزار قباني وسعيد عقل.

ثالثاً : الروائيون والقصصيون من دوستويفسكي وتولستوي ومكسيم غوركي وجورج امادو وموباسان الى يوسف ادريس ونجيب محفوظ الى المؤلف المجهول صاحب الف ليلة وليلة.

القسم الثالث

١ ـ الوثائق

- يحوي هذا القسم من الكتاب مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة المتعلقة بمراحل مختلفة من حياة سورية وموقف الحزب الشيوعي السوري منها .

- كتب خالد بكداش عدداً من هذه الوثائق ، كما هو مبين في متن الوثائق . حتى أن البيان الرباعي الذي أصدره الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي اللبناني والحزب الشيوعي العراقي بالإضافة إلى عصبة التحرر الوطني في فلسطين صاغه خالد بكداش،بعد أن دوهم البيت الذي عُقِد فيه اجتماع مندوبي هذه الأحزاب من قبل رجال الأمن في ذلك الوقت .

- لابد من شكر السيد عبد الوهاب رشواني عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي السوري على تزويد هذا الكتاب بما لديه من وثائق احتفظ بها طيلة الفترة الطويلة التي مرت على صدورها .

وثيقة رقم (١)

بتاريخ ١ حزيران ١٩٣٧ نشرت جريدة «الإنشاء» مقالاً كتبه خالد بكداش حول لواء اسكندرون ، وقد أعادت جريدة «صوت الشعب» نشره في عددها الرابع الصادر في ٥ حزيران ١٩٣٧ وفيما يلي نص هذا المقال :

« من المسؤول عن نكبتنا في إسكندرون ؟
تعلق شعب اللواء بالوطن السوري »

قبل أربعة أشهر زرت الاسكندرونة،الاسكندرونة الصغيرة الجميلة، الجاثمة بوداعة بين الجبل الاخضر والبحر الازرق، وكانت قلقة مضطربة بعد أن سمعت بقرار جنيف!

وها أنا ذا الآن في الاسكندرونة،وقد طفت أسواقها وزرت مقاهيها الشعبية وحوانيتها الصغيرة، فرأيتها كذلك مضطربة قلقة،كما كانت قبل أربعة أشهر ، ولكنه قلَق من نوع جديد ، قلق ليس فيه ذعر ولا ارتباك ولا بلبلة ! هو قلق الجبار الذي ينتظر مصيره برباطة جأش،وقد عقد النية على النضال . لا قلق المستجير الواهي العزيمة الذي يتوقع البلية ويرتعش وجلاً إذ يخشى أن نسحقه !

وقد زادت الاسكندرونة تعلقاً بأمها سورية، برغم كل العناصر الهدامة المعتزة بسيطرتها وامتيازها التي بذلت كل مافي صدرها من خبث وانحطاط،لإضعاف قوى الوحدة السورية في اللواء .

أقول زادت الإسكندرونة تعلقاً بأمها سورية العربية ، ولا أعني أن هذا التعلق كان من قبل ضعيفاً ، بل أريد الإشارة إلى دخول عناصر تركية وافرة،من العناصر الشعبية في جبهة النضال الجدي لأجل سورية ، ضد مطامع تركيا الاستعمارية .

ففي الاجتماع الشعبي الذي عقدته مدينة الاسكندرونة في بهو سينما وكسي مساء يوم الأربعاء في ٢٦ أيار . كان بين الحضور عشرات العمال والصناع الأتراك ، الذين صفقوا كثيراً عندما كان الخطباء يصيحون ، كان لواء الاسكندرونة سورياً وسيبقى سورياً .

وقد يستغرب البعض هذا الأمر ولا يفهمه ، وقد يفهمه البعض ولا يستسيغه ، أما نحن فنستبشر به ، لأننا عرب واعون نفتخر بعروبتنا ، ونحب وطننا وثقافتنا ، ونعتز بما في ماضينا من تقاليد حرة ديمقراطية شريفة ، ولذلك نمتلىء حبوراً عندما نرى قضيتنا السورية العربية تجتذب،بطبيعتها الاستقلالية وجوهرها الوطني التحريري،عطف كل نصير للحق والعدل والإخاء والسلام .

وقد حدثني أحد الأتراك أنفسهم فقال :

« لسنا وحيدين في تضامننا معكم للدفاع عن اللواء . فكثير من الأتراك ، بل جموع غفيرة منهم يعطفون عطفاً أكيداً على موقف سورية ، ولكنهم يخشون أن تنتصر الحكومة التركية في مطامعها الاستعمارية ، فيتعرضون إلى الإرهاب والتنكيل والاضطهاد التي يتحملها الشعب في تركيا نفسها الآن .

فالتهويل على الأتراك يتم بحرية مطلقة،ولا يقتصر الدعاة الدساسون على إيهام الأتراك بأن العرب سيضطهدونهم ، بل يقولون لهم : إن نجاح تركيا أكيد ، وستستولي على هذه البلاد ولو بالقوة . لأن تركية قوية،وسورية لا تستيطع مقاومتها . أما فرنسا فليست مستعدة للدفاع عنها . فإذا لم تنل تركية مبتغاها بالمفاوضة والتراضي ، يزحف الجيش التركي ، وبين عشية وضحاها ، يصبح اللواء تركياً !.

هذا ما يقولونه،ويؤيد هذه الأقوال ما تشيعه بعض الجرائد عن حشد الجيوش التركية على الحدود ، بل قد مرت علينا أيام سمعنا فيها أن الجيوش التركية أصبحت على أبوابنا .

ومن المؤسف أن لا تحارب السلطات الإفرنسية من هنا ولا في فرنسة ، هذه الدعاوات التي تنتشر انتشاراً هائلاً في كل أنحاء اللواء،وخصوصاً بين الأتراك ، دون أن تلقى أية مقاومة » .

هذا ما قاله أحد الأتراك،وفيه شيء كثير من الصحة . فلو كان في اللواء إدارة جازمة مخلصة تغار غيرة حقيقية على مصالح الشعبين السوري والإفرنسي ، لما رأينا الاستعمار التركي ودسائس تلقى التشجيع وتنشر بهذه السهولة ، وهذه الحرية .

وهنالك بعض العناصر غير التركية تتفوق بنشاطها الهدام على الدعاة الكماليين أنفسهم ، ولا تكتفي بالتهويل على الأتراك وإيهامهم بأن تركية منتصرة لا محالة ، بل تعمل ليل نهار لأجل الإيقاع بين العرب والأتراك من جهة،وتحطيم التضامن الذي تحقق بين الأرمن والعرب من جهة أخرى .

فقبل وصولي بيومين كانت هذه تشيع أن جماهير كبيرة من العرب ستأتي مسلمة من حلب ومن الضواحي لأجل إفناء الأتراك !

ومنذ شهر تقوم هذه العناصر نفسُها بمساعٍ كبرى لإقناع بعض زعماء الأحزاب الأرمنية بأن حلول جنيف هي في مصلحة الأرمن أيضاً ، لأن زوال الانتداب عن الاسكندرونة ليس معناه تعرض الأتراك للإفناء من قبل العرب فقط ، بل معناه أيضاً ضياع حقوق الأرمن وخضوعهم لاستبداد العرب ! لذلك رأينا في الآونة الأخيرة بعض الضَعف والتردد عند زعماء الحزبين الأرمنيين حزب الطاشناق وحزب الرامغاوار في منطقة الاسكندرونة .

ومن هي هذه العناصر التي تقوم بهذه الدعايات ؟ هل هم الدعاة الكماليـون فقط !

كلا ! إن هؤلاء بلا حول ولا قوة لولا أولئك الذين عملوا لعرقلة الانتخابات النيابية الماضية في اللـواء وطلبوا رسمياً تأجيلها ، أولئك الذين يتدخلون الآن في كل كبيرة وصغيرة،حتى في نقل الموظفين،ويسعون لمنع كل تدبير إداري تقوم به الحكومة الوطنية في اسكندرونة . أولئك الذين يشجعون عبد الغني التركماني في انطاكية على توقيع البرقيات من الأتراك لتأييد قرارات جنيف، أولئك الذين شجعوا خلال سنين طويلة،ومازالوا يشجعون،العناصر الانفصالية والنعرات الطائفية في كل البلاد ، وعملوا،أو يعملون،لإثارة القلاقل والفتن،ويثيرونها حرباً شعواء على مطالب الشعب والإصلاحات التي ننتظرها من العهد الوطني الجديد،لا في الاسكندرونة فقط بل في كل أنحاء سورية ولبنان !

ولكنهم لم ينجحوا،بالرغم من مؤامراتهم ودسائسهم،في إضعاف جبهة قوى الوحدة السورية . بل زادت هذه الجبهة قوة ومنعة في كل البلاد ، في جبل الدروز،في العلويين،وفي الاسكندرونة أيضاً ، الاسكندرونة الصغيرة الجميلة ، الجاثمة بوداعة وقوة في حضن أمها سورية العربية ، بين الجبل الأخضر والبحر الأزرق !

الاسكندرونة

خالد بكداش

وثيقة رقم (٢)

ننشـر فيمـايلي نص بـرنـامج فرع الحـزب الشيوعي السـوري في لواء الاسكندرون ، والـذي كـان يسمـى : الحزب الشيـوعي في لـواء اسكندرون . وقد قدم هذا البرنـامـج إلى السلطات التركية هناك،كل من السيدين:قاسم رضوان وآرتين ماخيان . واعتبرا مؤسسـان لهذا الحزب الذي نص في المادة الأولى من نظامه الداخلي على أن الحزب الشيوعي في لواء الاسكندرون هو فرع للحزب الشيوعي السوري .

وقد نشرت جريدة«صوت الشعب»في عددها ٤٢ الصادر في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٧ نص هذا البرنـامج بالإضافة إلى نص النظام الداخلي :

برنامج الحزب الشيوعي في لواء اسكندرونة

المـادة الأولى : ينـاضل الحزب الشيوعي في لواء اسكندرون لأجل التحرر الوطني والاجتماعي لشعب اللواء ، وهدفه الأعلى:الاشتراكية .

المادة الثانية : يناضل الحزب الشيوعي في لواء اسكندرون، وفقاً لمبادئه ، في جميع الظروف لأجل نظام إنساني،يؤمن الخبز والحرية والسلام لكل الشعب .

المـادة الثـالثـة : لأجل هذه الغاية يجتهد الحزب الشيوعي في لواء اسكندرون لجمع كل القوى الشعبية في اللواء وتوحيدها،دون تمييز في الجنس أو في الدين ، في سبيل المطالب التالية :

أ ـ الإخاء بين كل سكان اللواء كيفما كان جنسهم أو دينهم .

ب ـ إقامة نظام ديمقراطي في اللواء .

ج ـ ضمان الحريات الشعبية الديمقراطية،كحرية الصحافة والرأي والكلام والنقابات والأحزاب والاجتماعات والجمعيات ...إلخ وتوطيدها .

د ـ النضـال ضد كل دعايات التفرقة والشغب وكل الدعايات والمساعي الرجعية والفاشيستية كيفما كانت طبيعتها .

هـ ـ العمل بنشـاط لأجل رفع المستوى المـادي والثقافي والصحي لكل سكان اللواء في المدن والقرى .

و ـ تأمين رخاء شعب اللواء وتطوره الحر في الهدوء والسلام .

ز ـ المحافظة على العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع الوطن السوري وتقويتها .

ح ـ تقوية علاقات الصداقة مع الشعب الإفرنسي والشعوب المجاورة .

ط ـ التعـاون مع كل الأقطار الديمقراطية في النضـال ضد الحرب التي يهيئها الفاشيست وفي المحافظة على السلام في العالم حسب مبادىء السلامة الاجتماعية،ووفقاً لعهدة عصبة الأمم .

وثيقة رقم (٣)

في تشرين الأول ١٩٤٨ أصدر الحزب الشيوعي السوري والحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي اللبناني وعصبة التحرر الوطني في فلسطين،بياناً حول القضية الفلسطينية،وقرار تقسيم فلسطين ، ونظراً لأهمية مضمون هذا البيان التاريخية ننشره كاملاً :

بيان إلى الشعوب العربية
من الحزب الشيوعي العراقي
والحزب الشيوعي السوري
والحزب الشيوعي اللبناني
وعصبة التحرر الوطني في فلسطين

عن القضية الفلسطينية ، وعن المشاريع الاستعمارية والحربية ، الانكليزية والأمريكية ، في الشرق العربي !

يشدد المستعمرون الانكليز والأمريكيون هجومهم على الشرق العربي ، وهم وإن تزاحموا وتكالبوا على النفط والأسواق والقواعد العسكرية ، فإنهم متفقون متضامنون على دعم النظام الاستعماري ، وتوطيد النير في أعناق الشعوب العربية ، وخنق نضالها في سبيل التحرر الوطني والديمقراطية . أما الفئات الحاكمة الرجعية الخائنة ، فتزحف على الأربع أمام المستعمرين .

الأسباب الحقيقية للحرب في فلسطين الشهيدة !

وكانت الحرب الفلسطينية نتيجة مباشرة للتكالب بين انكلترا وأمريكا اللتين عملتا لإثارة هذه الحرب،بغية استغلالها،لتسوية الحساب بينهما .

وبعد أن سالت الدماء البريئة أنهاراً ، اتفق اللصوص الانكليز والأمريكيون على اقتسام البترول والنفوذ والأسواق في الشرق الأدنى ، وتبلور اتفاقهم حول فلسطين في مشروع عميلهم برنادوت الذي يقوم على التقسيم،ولكن كما أراده المستعمرون . فهو يقضي بمنع العرب من بناء دولة مستقلة لهم في أراضي القسم العربي من فلسطين ، وبإلحاق هذه الأراضي بالمستَعمَرة البريطانية الأردنية ، وإخضاع مراكز النفط في حيفا لإشراف بريطانيا وأمريكا المباشر ، ثم تنسيق سيطرتهما المشتركة على فلسطين بتأليف « اتحاد » في السياسة الخارجية وشؤون الدفاع بين الدولة اليهودية و« المملكة الأردنية الكبرى » .

وهكذا يُدفَن مبدأ الجلاء والاستقلال الذي نص عليه قرار الأمم المتحدة ويتحقق ما أراده الاستعمار من منع العرب واليهود من تأليف دولتين مستقلتين ، ويبقى في كل فلسطين نظام الاستعمار والاحتلال والتدخل الأجنبي الذي يسمح للانكليز والأمريكيين بتشييد القواعد العسكرية والمطارات ، وحشد القوات المسلحة ومد أنابيب البترول وبناء المصافي ، كما يتحقق للملك عبد الله صنيعة الاستعمار ، تكبير « مملكته » تمهيداً لمشروع سوريا الكبرى ، ويتحقق للصهيونيين توسيع « مداهم الحيوي » فيشمل فلسطين وشرق الأردن معاً ، سعياً وراء حلمهم الرجعي القديم القائل بجمع كل يهود العالم حول « ضفتي الأردن » .

خيانة الرجعية العربية في قضية فلسطين !

لقد كشفت الحرب الفلسطينية بصورة نهائية تامة عن خيانة الحكام الرجعيين في الدول العربية ، وخضوعهم المطلق للاستعمار الأجنبي . فقد اتضح بما لا يقبل الجدل،أنهم لم يعلنوا الحرب لمنع التقسيم كما زعموا ، بل لتنفيذ التقسيم كما تريده بريطانيا ، ولاستغلال حالة الحرب لأجل تثبيت حكمهم المُزَعزَع ، وقمع الحركة الشعبية الصاعدة في كل بلد عربي ، وبيع الأقطار العربية جملة للاستعمار ، في ظل الإرهاب والأحكام العرفية .

لقد كان الحكام الرجعيون عالمين بالمؤامرة المُبيتة بين الانكليز والزعماء الصيهونيين وصديقهم الملك عبد الله ، والرامية لتمزيق القسم العربي من فلسطين،وإلحاقه كله بمملكته،أو إلحاق معظم أجزائه ، وتوزيع بعض الأجزاء الأخرى ، ومنع عرب فلسطين من إقامة دولة مستقلة لهم في أراضيهم ، وقد بذل الحكام الرجعيون جهدهم لتنفيذ هذه المؤامرة ، فدعوا إلى الثقة ببريطانيا ، جلادة العرب وناكثة كل عهد ووعد ، ورفعوا عبد الله إلى مصاف الأبطال ، وغطوا خيانتهم بحملة رعناء من التهويش والكذب والافتراء على الاتحاد السوفييتي العظيم ، وعلى الشيوعيين العرب الذين برهنت الحوادث أنهم كانوا على حق وعلى صواب .

نكبة عرب فلسطين وجميع الشعوب العربية في الحرب الفلسطينية !

إن الحرب الفلسطينية التي كانت نكبة هائلة على عرب فلسطين أدت إلى خرابهم،وتشريد مئات الألوف منهم،وانتزاع أقسام جديدة من أراضيهم ، كانت أيضاً نكبة عامة على الشعوب العربية عسكرياً ودولياً واقتصادياً ووطنياً .

فمن الناحية العسكرية ، حارب الحكام الرجعيون بأمر الانكليز الذين قادوا الأعمال العسكرية العربية قيادة مباشرة ، ووجهوها من البداية إلى النهاية . فأمروا القوات العربية بالتقدم أو بالتراجع ، وفقاً لأغراضهم وسياستهم ذات الوجهين،دون أية مراعاة للضرورات العسكرية ، وخلافاً لأبسط القواعد الحربية ، مستهترين بالجنود والضباط العرب استهتاراً مجرماً مخجلاً ، وهكذا أذاق الحكام الرجعيون الجيوش العربية أمر النكبات وطعنوها من خلف،خدمة للانكليز وتنفيذاً لأوامرهم .

ففي أعناق الحكام الرجعيين الخونة دماء الآلاف من الجنود والشباب العرب الذين قتلوا في سبيل مطامع الانكليز والأمريكيين .

ومن الناحية الدولية أهان المستعمرون وعملاؤهم سمعة العرب في العالم ، وسعوا إلى عزلهم عن الرأي العام الديمقراطي العالمي ، وجروا الدول العربية إلى سياسة عداء واستفزاز ضد الاتحاد السوفياتي ، وإلى إقامة العلاقات الودية مع الفاشيين اليونان ، ومع فرانكو جلاد الشعب الإسباني والمراكشيين العرب ، والمنبوذ من جميع شعوب الدنيا .

ومن الناحية الاقتصادية ، تفاقم العجز في موازنات الدول العربية ، وزيدت الضرائب على الجماهير الشعبية ، وعَمّ الكساد والضيق ، واستفحلت البطالة ، وتدهورت الصناعات الوطنية ، وزادت ضعفاً على ضعفها .

ومن الناحية الوطنية ، كانت الأحكام العرفية وسيلة لقمع النضال الوطني الشعبي في الأقطار العربية،وتمكين مراكز الاستعمار البريطاني في مختلف الأقطار العربية ، وفتح طريق الاحتلال العسكري أمام أمريكا التي أخذت ترسل مدمراتها إلى الشواطىء العربية ، وتوفد جنودها وضباطها إلى فلسطين بحجة مراقبة الهدنة . وفي ظل الأحكام العرفية زُيفت الإنتخابات العراقية تمهيداً لفرض المعاهدة الجديدة التي ردها الشعب العراقي بنضاله الباسل ، وأُطلقت يد الانكليز في السودان ، وبوشرت المفاوضات المصرية البريطانية لتجديد معاهدة ١٩٣٦ ، وتغلغل النفوذ الأمريكي إلى قناة السويس ، وتفاقم التدخل الانكليزي والأمريكي في سوريا ولبنان،وأصبح الاستقلال الذي حققه الشعبان بدمائهما أثراً بعد عين . أما المملكة السعودية فتبين أنها في يد الأمريكيين ، مثل مملكة عبد

الله في يد الانكليز : أداة ذليلة خانعةحقيرة لا تملك من أمرها شيئاً .

وساهمت الرجعية الصهيونية أكبر مساهمة في جرائم الاستعمار ومؤامراته ، وأشعلت حرب فلسطين لتوطيد حكمها،وللتوسع في القسم العربي ، وتبرير ارتمائها في أحضان الاستعمار الأمريكي ، وفتح المجال لتغلغله الاقتصادي والعسكري في أراضي الدولة اليهودية ، وفي كل فلسطين .

إن هذه النكبات التي سببتها الحرب الفلسطينية ، سوف تزداد وطاتها إذا استمرت حالة الحرب كما يريد المستعمرون وأعوانهم وعملاؤهم ، ولذلك تطالب الشعوب العربية بوقف الأعمال الحربية في فلسطين نهائياً ، وإعادة المشردين العرب إلى ديارهم ، وإنقاذ الأراضي العربية في فلسطين من براثن الانكليز والأمريكيين والصهيونيين وعبد الله ، وسحب قوات الهاغانا والقوات الأردنية وجميع الجيوش منها ، وإقامة دولة عربية مستقلة ديمقراطية فيها .

الجامعة العربية : أداة في يد الاستعمار

أكدت الحرب الفلسطينية بما لا يقبل الجدل أن « جامعة الدول العربية » إنما هي أداة في يد الاستعمار ، ووكر خيانات ودسائس ضد الشعوب العربية ، وواجهةمزيفة تخفي وراءها أبشع المنافسات الدنيئة الحقيرة بين البيوتات المالكة والإقطاعيات الرجعية المتهالكة المتكالبة على نيل الحظوة لدى المستعمرين .

إن الجامعة العربية اتخذت موقفاً سلبياً مخجلاً من انتفاضة العراق الرائعة ضد معاهدة بورتسموث ، في حين أنها أيدت وحيت معاهدة الإذلال والاحتلال الأردنية ، وسمّتْها استقلالاً ، ولم تفعل شيئاً لتأييد نضال الشعب المصري ضد الاستعمار ، وأيدت الأمريكيين في استيلائهم على بترول المملكة السعودية ، وعرقلت نضال جميع الشعوب العربية في سبيل الجلاء والاستقلال ، ثم توجت خياناتها وجرائمها بتآمرها مع الاستعمار والصهيونية ضد فلسطين الشهيدة ، وهي تبذل الآن جهدها لجر الأقطار العربية كلها إلى تحالف عسكري مع الاستعمار الانكليزي والأمريكي !

وقد اتضح لكل عربي مخلص ، أن الطريق لجمع كلمة العرب في سبيل التحرر من الاستعمار ، وتحقيق الاستقلال ، والسير في طريق العزة والقوة والازدهار ، ليس طريق جامعة الباشوات والبكوات ، ولا طريق الزعامات الإقطاعية الرجعية البالية ، بل هو طريق الاتحاد الوطني والنضال الشعبي في كل قطر عربي ، وطريق التضامن الحقيقي الواسع بين الجماهير الشعبية في كل الأقطار العربية ، للنضال العنيد ضد الاستعمار الانكليزي والأمريكي ، وضد هذه الإقطاعية الرجعية نفسها ، وفي سبيل الاستقلال والحرية الديمقراطية الصحيحة .

مشاريع الانكليز والأمريكيين الحربية في الشرق العربي !

إن المستعمرين الانكليز والأمريكيين ، رغم ما بينهم من تزاحم وتكالب ، متفقون على جمع كل أقطار الشرق الأدنى،من اليونان وتركيا وإيران إلى الشرق العربي ، في نظام استعماري وعسكري موحد ، وهم يجدون كل عون وتأييد من الزعماء الصهيونيين المجرمين،ومن الحكام الرجعيين العرب الذين يعملون ، كل في ميدانه ، لتعميق هوة العداء بين العرب واليهود ، وإدامة جو التوتر والمذابح بين الطرفين ، لصرف الأنظار عن نير الاستعمار ومشاريعه الحربية . إن إبقاء الجيوش العربية في فلسطين ، وتطويل حالة الحرب ، واستمرار الأحكام العرفية ، وتوحيد قيادتي الجيشين العراقي والأردني ، تحت إشراف الضباط الانكليز ، والدعوة إلى توحيد جميع القيادات العسكرية العربية على نفس الشكل ، وإلى عقد تحالف عسكري بين الدول العربية ، الخاضعة كلها للنفوذ الاستعماري الانكليزي والأمريكي ، وزيادة الاعتمادات الحربية وتعميم التجنيد الإجباري — مع أن الطعنة التي تلقتها الجيوش العربية من خلف في فلسطين على يد الحكومات الرجعية العربية ما تزال تقطر دماً — ثم ظهور نوري السعيد إلى الميدان من جديد ، والترويج لفكرة الكتلة الشرقية ، والقيام بالدعاية للفاشيين اليونان ، والسعي للتقرب من الرجعية التركية السفاكة ، عدوة العرب التقليدية

التي اغتصبت لواء اسكندرونة ، وقاومت جلاء الانكليز عن مصر ، وحاربت،وما زالت تحارب،نضال العرب من أجل استقلالهم وحريتهم . كل ذلك ليس الغاية منه « حصر الخطر الصهيوني » ولا المحافظة على القسم العربي من فلسطين ، كما يزعمون كذباً وبهتاناً وتضليلاً ، بل الغاية منه :

أولاً : قمع الحركة الوطنية والديمقراطية المتعاظمة بين الجماهير الشعبية ضد الاستعمار والرجعية في جميع الأقطار العربية .

ثانياً : تثبيت المراكز المتزعزعة للرجعيات الإقطاعية الخائنة الحاكمة في الأقطار العربية .

ثالثاً : خنق الحريات الديمقراطية وإغراق الأقطار العربية في ظلمات أنظمة فاشيستية دونها ظلمات القرون الوسطى .

رابعاً : زيادة الضرائب على الجماهير الشعبية العربية والإمعان في سياسة الاحتكار والنهب .

خامساً : إضعاف الأقطار العربية اقتصادياً والتمهيد لفرض قروض أجنبية جديدة على البلدان العربية .

سادساً : توطيد استعمار بريطانيا وأمريكا في الشرق العربي وتجديد معاهدات الاستعباد السابقة (في مصر والعراق) وعقد معاهدات جديدة مع بقية الأقطار العربية .

سابعاً : ربط الأقطار العربية بصورة مكينة نهائية بالمعسكر الاستعماري العالمي،سياسياً وعسكرياً ودولياً،وتحويل كل الشرق العربي إلى ثكنة عسكرية وقاعدة حربية هائلة،يتصرف الانكليز والأمريكيون بخيراتها ونفطها ومياهها وانتاجها ودماء شبابها وجنودها في الحرب العالمية الثالثة التي يهيئونها ضد الاتحاد السوفييتي والديمقراطيات الشعبية في أوربا الوسطى الشرقية ، وضد حرية شعوب الدنيا بأسرها . وهكذا يجعلون أوطاننا ساحات قتال طاحن . فيجرّون على الشعوب العربية أقسى ويلات الحرب وفظاعاتها ، فتُهدَم بيوتنا ، وتُدَمر مدننا وقرانا ، وتُنسَف معاملنا ومتاجرنا ، وتُحرق حقولنا وبساتيننا ، وتذهب نساؤنا وأطفالنا وشيوخنا وشبابنا طعاماً لنيران المدافع والقنابل ، وتغدو هذه الديار العربية الطامحة إلى الحياة والحرية والسلام ، بلقعاً موحشاً ، وأطلالاً تنعب فوقها البوم والغربان .

ولكن الشعوب العربية التي تكره الحرب والاستعمار ، وتريد السلام والحرية والاستقلال والتقدم ، لن تقع في شباك المستعمرين ، ولن تنجر وراء مغامراتهم الحربية المجرمة ، ولن تقبل أن تكون كنوزها وخيراتها وبترولها ومعادنها ومواردها ودماء أبنائها نهباً للمستعمرين ، وهي تعلم أن مصلحتها تقضي عليها بأن تكون في معسكر السلام والحرية والديمقراطية ، معسكر أعداء الحرب والاستعمار ، لا معسكر الاستعماريين الذين يريدون تخليد الاستعباد في أعناق الشعوب العربية ، ثم إبادتها في حروبهم المجرمة .

الاستعمار الأجنبي وحليفته الإقطاعية هما سبب تأخر الأقطار العربية وبؤس شعوبها !

أيها الإخوان والأخوات ، أيها العمال والفلاحون والمثقفون الأحرار ، أيها الطلاب والشباب ، أيها التجار الصغار والمنتجون الكادحون ، أيها الوطنيون المخلصون في جميع الأقطار العربية : إن الاستعمار الأجنبي ، العسكري والاقتصادي والسياسي يخنق أوطاننا العربية . فهو السبب الرئيسي الذي يمنع تطورها الصناعي والزراعي والاجتماعي ، وهو السبب الرئيسي لتدهور أحوالنا الاقتصادية،ولما تقاسيه شعوبنا من بؤس وفقر وحرمان .

إن الاستعمار الانكليزي والأمريكي ، بالاستناد إلى حليفته الإقطاعية الرجعية الخائنة ، يهيمن على حياتنا السياسية والعسكرية ، وينهب مرافقنا وكنوزنا وخيراتنا جميعاً .

فالقوات الانكليزية تحتل العراق ومصر وشرق الأردن،والضباط الانكليز متسلطون على قيادات الجيوش العراقية والمصرية والأردنية ، والخبراء الانكليز والأمريكيون يسيطرون على الجيشين اللبناني والسوري ، وعلى الجيش السعودي . وللاستعمار مطارات وامتيازات وقواعد في كل قطر

عربي ، وشركات البترول الأمريكية والبريطانية تستعبد الجزيرة العربية وتهيمن على زيت العراق والكويت ، وتمد أنابيبها وحفرياتها عبر فلسطين وسوريا ولبنان ومصر . والرأسمال الأجنبي ، الانكليزي والأمريكي والفرنسي ، يسيطر على أهم مرافق الأقطار العربية : من النقد إلى سكك الحديد إلى الكهرباء إلى النقل الجوي والبري والمائي ، والخبراء الانكليز والأمريكيون مُتغلغِلون في الإدارات الرئيسية في جميع العواصم العربية ، والبضاعة الأجنبية ، وخصوصاً الأمريكية ، تطغى على أسواقنا،وتقتل صناعتنا الوطنية والحرفية ، وتلقي بألوف العمال والشباب المتعلم في مهاوي البطالة .

إن عشرات الملايين من الفلاحين العرب محرومون من الأرض،يعيشون عيشة لا تليق بالإنسان تحت نير الإقطاعيين البرابرة ، وكبار الملاكين شركاء الاستعمار وخدامه . والبؤس والحرمان والمرض والجهل تسحق القرى في الأرياف ، والأحياء الشعبية في المدن : لا مدارس ولا طرقات ولا صحة ولا بيوت صالحة للسكن ، ولا ري ولا نور ، ولا مياه صالحة للشرب ، وليس بين ٤٠ مليوناً من سكان الشرق العربي من هو راض عن هذه الحالة سوى حفنة ضئيلة من الحكام والإقطاعيين وكبار المحتكرين الذين يغتنون ويتنعمون ويشاركون الاستعمار في التحكم والسرقة والنهب .

تلك هي – في ظل الاستعمار والإقطاعية – حالة شعوب يحمل تاريخها أسماء ابن سينا وابن رشد والفارابي وابن خلدون ، تلك هي حالة ملايين العرب في العراق موطن الرشيد والمأمون ، وسوريا موطن أبي العلاء والمتنبي ، وفلسطين موطن صلاح الدين ، ولبنان موطن جبران والريحاني وعمر فاخوري ، ومصر وريثة أقدم مدينة في التاريخ الإنساني .

ولكن شعوباً يحمل تاريخها هذا التراث الفكري والإنساني العظيم لن تبقى فريسة الاستعباد الأجنبي والتحكم الإقطاعي المظلم .

معسكر الاستعمار العالمي يتزعزع ويتقهقر ،
بينما معسكر الحرية والديمقراطية في العالم يتقدم ويتعاظم !

إن عجلة التاريخ تسير إلى أمام : فقد خرج الاستعمار العالمي من الحرب الكونية الثانية مُضعضَع القوى،مُزعزَع الأسس . فانهارت قوتان استعماريتان كبيرتان هما ألمانيا واليابان ، وتضاءل الاستعمار الفرنسي والإيطالي ، وتزعزعت الإمبراطورية البريطانية ، وهي تتفسخ اليوم وتنهار تحت أنظار الجميع . أما الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تقاس ويلات الحرب ، وكدس طغاة المال والاحتكار فيها أرباحاً وقوى،يطمحون بواسطتها إلى السيطرة على العالم . فالأزمة الاقتصادية المرعبة تقرع أبوابها ، وتصطدم مشاريعها التوسعية في أوربا وآسيا ، بمقاومة الشعوب الجبارة .

أما معسكر الحرية والديمقراطية ، معسكر النضال ضد الاستعمار ، فقد خرج من الحرب وهو أشد بأساً من معسكر الاستعمار ، وقوته تنمو وتتعاظم يوماً بعد يوم . فالاتحاد السوفييتي العظيم ، موطن الاشتراكية،وعدو الاستعمار اللدود،وأكبر نصير للشعوب المناضلة في سبيل حريتها ، قد خرج من الحرب أقوى وأعظم مما كان . وبينما العالم الرأسمالي يقاسي البطالة والأزمات والاضطراب والثورات ، وتنزل فيه أجور العمال وينخفض مستوى معيشة الجماهير ، يبني الاتحاد السوفييتي اقتصادياته بنجاح وسرعة ، وقد تجاوز فيه الانتاج مستوى ما قبل الحرب ، رغم هَوْل التخريب الذي أصابه خلال الحرب ، وزادت أجور العمال خمسين بالمائة ، بينما ارتفعت قدرتهم الشرائية في الوقت نفسه ٤٠ بالمائة . ونزلت أسعار الحاجيات،وهي تنزل باستمرار . وقد تعاظم نفوذ الاتحاد السوفييتي في العالم،وأصبح الآن أقوى دولة في الدنيا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ودبلوماسياً ، وهو يحبط استفزازات الأمريكيين والانكليز في ألمانيا وغيرها ، بحزم الجبار الواثق من قوته .

وقد تحطم الطوق الاستعماري في أوربا الوسطى والشرقية ، وخرجت منه شعوب تحررت من

النيـر الأجنبي والإقطـاعي ، وسـارت في طـريـق الديمقـراطيـة الشعبيـة،تحث الخطى نحـو النظـام الاشتراكي .

وفي إيطاليا وفرنسا يقاوم العمال ببسالة ، تحت قيادة الشيوعيين ، مشاريع التوسع الأمريكي .
وفي الصين العظيمة يقوم ٢٠٠ مليون إنسان بحرب وطنية عظمى،لا هوادة فيها،ضد الاستعمار ، تحت لواء الشيوعيين قادة التحرر الوطني ، وهم يواصلون انتصاراتهم الرائعة ، يوماً بعد يوم ، ويحررون وطنهم من المستعمرين الأمريكيين وخدمهم الإقطاعيين الصينيين الخونة ، ويشيدون لأنفسهم وطناً جديداً قائماً على قواعد راسخة من الاستقلال والحرية والديمقراطية .

وفي أندونيسيا المناضلة الباسلة اتحدت جميع الأحزاب الوطنية في جبهة كبرى،في طليعتها الشيوعيون ، والتف حولها ملايين من الجماهير الشعبية ، وهي تواصل النضال المسلح الظافر لإكمال تحرير أندونيسيا من الاحتلال الهولندي والاستعمار الأمريكي والبريطاني ، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية . وفي الهند الصينية والملايو وبورما يحمل السلاح عشرات ومئات الألوف من الوطنيين العمال والفلاحين ، ويكافحون تحت قيادة الشيوعيين وسائر الوطنيين المخلصين ، في سبيل تحرير أوطانهم من الاستعمار الأجنبي ، وتحقيق الجلاء والاستقلال والديمقراطية . ويقوم الشعب اليوناني بأبسل ثورة وطنية ديمقراطية ضد الاستعمار الأمريكي والبريطاني وخدمه الملكيين الفاشيين . وأفريقيا السوداء تتحرك ويقض ذلك مضاجع المستعمرين . وفي أمريكا نفسها تتسع الحركة الشعبية التقدمية ضد سياسة الاستعمار والحرب .

فالشعوب العربية ليست وحدها في نضالها الوطني والديمقراطي : إن كل قوى الحرية ، حليفة العرب عظيمة هائلة في الدنيا ، والأرض تميد تحت أقدام المستعمرين في كل مكان

الاتحاد السوفييتي : حليف العرب الطبيعي ضد الاستعمار !

لقد انهارت حملة التهويش والافتراء على الاتحاد السوفيتي التي أثارها المستعمرون وعملاؤهم بأمل إبعاد الشعوب العربية عن حليفها الطبيعي في نضالها ضد الاستعمار والرجعية .

فالعرب يرون أن الاتحاد السوفيتي هو الذي أيد نضال سوريا ولبنان في سبيل الجلاء،وهو الذي أيد انتفاضة العراق الباسلة ضد معاهدة جبر بيفن ، ونضال مصر ضد معاهدة صدقي بيفن ، وهو الذي يؤيد اليوم نضال شعوب مصر والعراق والأردن لأجل الجلاء وإلغاء المعاهدات الاستعمارية ، ونضال الشعبين السوري واللبناني ضد مشروع سوريا الكبرى ، وهو الذي دافع عن حق فلسطين في الجلاء والاستقلال ، وقد كان ولايزال من أنصار وحدة فلسطين ، على أساس الجلاء والاستقلال ، كما صرح ممثلوه رسمياً في هيئة الأمم المتحدة ـ لأن من مبادئه الإخاء والتعاون والتقارب بين القوميات والشعوب ، بدليل أن ستين قومية مختلفة تعيش بتعاون وإخاء في الاتحاد السوفييتي . ولكنه أيد قيام دولتين مستقلتين في فلسطين نظراً للتوتر الشديد في العلاقات بين العرب واليهود،بسبب ما أورثته سياسة الاستعمار البريطاني من عداء مُستحكِم بين الفريقين،بمساعدة الرجعيين العرب والصهيونيين . وتبين اليوم،كم كان الاتحاد السوفييتي على حق ، ويتضح أنه أراد بموقفه الصريح تجنيب عرب فلسطين والشعوب العربية نتائج المؤامرة الاستعمارية التي دبرها الانكليز والأمريكيون ضد فلسطين،بمعونة عملائهم الحكام الرجعيين العرب ، والزعماء والإرهابيين الصهيونيين المجرمين .

إن العمال والفلاحين والمثقفين المتحررين العرب يتتبعون ، بشوق ولهفة ، أنباء انتصارات الشعوب السوفيتية في توطيد النظام الاشتراكي الذي لا يستثمر فيه إنسان إنساناً ، ولا يستعبد شعب شعباً .

إن العرب الذين قاسوا ويقاسون المصائب والنكبات من نير الاستعمار الانكليزي وشريكه الأمريكي ، يرون بالتجربة،أن الاتحاد السوفييتي هو نصيرهم الثابت الأمين ، وحليفهم الجبار في نضالهم،لأجل الاستقلال والحرية والديمقراطية الصحيحة .

إلى الاتحاد الوطني ! إلى التضامن العربي !

إن الأحكام العرفية والاستثنائية ، والمحاكم العسكرية ، وإلقاء الألوف من الوطنيين العرب نساءاً ورجالاً ، ديمقراطيين وشيوعيين ونقابيين ، في السجون ومعسكرات الاعتقال ، وجرائم الضرب والتعذيب الوحشي ، كلها لم تفل من عزيمة الشعوب العربية . فموجة النضال الشعبي ترتفع في كل قطر عربي ، وفي فلسطين الشهيدة يتظاهر العرب هاتفين بسقوط عبد الله وأسياده المستعمرين ، وينضم الجنود العرب إلى الشعب المتظاهر . وفي كل عاصمة عربية يتعاظم نضال العمال النقابي والإضرابي . وفي القرى العربية تتفتح عيون الفلاحين،فيهبون في وجه استبداد الحكومة والإقطاعيين . ويرفع المثقفون المتحررون العرب أصواتهم داوية،ضد الطغيان،في سبيل الحرية وإطلاق الفكر العربي من قيود الاضطهاد والاستعمار والتجهيل الإقطاعي .

أيتها الجماهير العربية ، أيها العمال والفلاحون ، أيها الطلاب والمثقفون الأحرار ، أيتها النساء والفتيات ، أيها التجار الصغار والمنتجون الكادحون في جميع الأقطار العربية ! إن الحزب الشيوعي العراقي ، والحزب الشيوعي السوري ، والحزب الشيوعي اللبناني ، وعصبة التحرر الوطني في فلسطين ، هذه الهيئات الوطنية الشعبية التي برزت من قلب الشعوب العربية ، والتي برهنت الحوادث إخلاصها وصواب سياستها وثباتها وعنادها في النضال الوطني ضد الاستعمار ، من أجل الاستقلال والحرية وفي الدفاع عن خبز الجماهير ومطالبها الحيوية ، تتوجه اليكم في هذه الظروف الدقيقة من تاريخ الشعوب العربية ، وتدعوكم الى جمع الصفوف والنضال ، للسير الى أمام في قضيتنا الوطنية التحررية .

فلْنجمعْ قوانا ، ولْنوحِّدْ صفوفنا في كل قطر من الأقطار العربية ، في جبهة وطنية شعبية،تضم جميع القوى الوطنية والديمقراطية في صف موحد،ضد الاستعمار والرجعية !

ولنتضامن ، على اختلاف أقطارنا،ضد الاستعمار الانكليزي والأمريكي وعملائه وأعوانه الرجعيين ، في سبيل الجلاء عن كل الشرق العربي ، وفي سبيل الاستقلال والديمقراطية !
فلنتضامن ضد دعاة الحرب ، ضد المشاريع والتكتلات الحربية التي يُراد فرضها علينا !

إلى الاتحاد الوطني ، إلى التضامن العربي ، في سبيل :
١ ـ وقف الأعمال الحربية نهائياً في فلسطين ، وإعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم وسحب القوات الصهيونية وجيوش عبد الله وكل القوات العسكرية من الأراضي العربية في فلسطين .
٢ ـ إقامة دولة عربية مستقلة ديمقراطية في القسم العربي من فلسطين ومنع تمزيقه أو إلحاقه كلياً أو جزئياً بأي شكل كان .

٣ ـ الجلاء العسكري والمدني التام عن مصر والعراق وشرق الأردن وإلغاء المعاهدات التي تقيد هذه الأقطار ، ورفض كل معاهدة جديدة .

٤ ـ إلغاء امتيازات جميع شركات البترول الاستعمارية في جميع الأقطار العربية .

٥ ـ استرجاع استقلال سوريا ولبنان الذي باعه الحكام الرجعيون للانكليز والأمريكيين ومكافحة مشروع سوريا الكبرى الذي يهدد كيان الجمهوريتين العربيتين بالمحو والزوال ، ويوطد أقدام الاستعمار في الشرق العربي .

٦ ـ الكف عن سياسة الاستفزاز والعداء نحو الاتحاد السوفييتي ، وتعزيز الصداقة والتعاون السياسي والاقتصادي مع الدولة الاشتراكية الكبرى ، لأجل الدفاع عن السلم والنضال ضد الحرب ودعاتها ومشاريعهم .

٧ ـ مكافحة مشروع الكتلة الشرقية وإحباطه،ورفض كل محالفة مع الرجعية التركية ، وتأييد حق الشعب السوري في لواء اسكندرونة .

٨ ـ إلغاء الأحكام العرفية والاستثنائية في كل الأقطار العربية ، والقضاء على أساليب الإرهاب الفاشستي ، وتحرير جميع المعتقلين الوطنيين الديمقراطيين العرب ، واحترام الحريات الديمقراطية والنقابية ، وحرية القول والنشر والصحافة والاجتماع ، وحرية تأليف الأحزاب والجمعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

٩ ـ محاربة النعرات الطائفية والعنصرية التي يثيرها الاستعمار وعملاؤه في كل قطر عربي ، لتفريق صفوف أبناء الوطن الواحد ، وإضعاف تضامنهم الوطني ونضالهم في سبيل الحرية والاستقلال والديمقراطية .

عاش التضامن بين الشعوب العربية ضد الاستعمار الانكليزي والأمريكي ، وعملائه الرجعيين الخونة ، في سبيل الجلاء والاستقلال والحرية والديمقراطية !

عاش التضامن بين الشعوب العربية وجميع قوى الحرية في العالم ، وفي رأسها الاتحاد السوفييتي العظيم ، في النضال ضد العدو المشترك ، الاستعمار الانكليزي والأمريكي ، في سبيل السلام واستقلال الشعوب والديمقراطية الصحيحة !

وليرتعش المستعمرون وعملاؤهم الحكام الرجعيون ، أمام يقظة الجماهير الشعبية العربية ، وأمام تضامنها في النضال العظيم لأجل الاستقلال والحرية ، لأجل الكرامة العربية والشرف العربي !

الحزب الشيوعي العراقي
الحزب الشيوعي السوري
الحزب الشيوعي اللبناني
عصبة التحرر الوطني في فلسطين

تشرين الأول ١٩٤٨

وثيقة رقم (٤)

في شهري نيسان وايار عام ١٩٥٦ عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان اجتماعات دورتها العادية التي صدر عنها عدد من القرارات ، وفيمايلي نص القرار المتعلق بقضية الوحدة العربية .

قرار
عن قضية الوحدة العربية

إن طموح البلدان العربية إلى وحدتها ليس وليد ظروف طارئة أو رغبة عاطفية ، ولا نتيجة لدعاية فكرية قام بها حزب أو فريق من الناس ، بل هو مظهر لحاجة واقعية ، ونتيجة لتطور تاريخي موضوعي مستقل عن الرغبات والإرادات . فإن الأرض المشتركة ، ووحدة اللغة ، والتاريخ المشترك ، والتكوين النفسي المشترك الذي ينعكس في الثقافة المشتركة ، والأوضاع الاقتصادية التي يتمم بعضها بعضاً ، كل هذه العوامل الدائمة التي تكونت تاريخياً،والتي تتطور ، رغم ما أقيم ويقام في وجهها من عوائق مصطنعة ، في اتجاه موحد يؤدي إلى ازدياد التقارب بين مختلف أجزاء البلاد العربية ، هي الأسس الواقعية الموضوعية التي تنبثق منها قضية الوحدة العربية .

لقد كان الاستعمار،وما يزال،العائق الرئيسي في وجه الوحدة العربية . ولهذا فإن شعار تضامن الشعوب العربية للتحرر من نير الاستعمار وانتزاع الاستقلال الوطني ، كان الشعار النضالي الذي تمليه الظروف الواقعية . وقد لعب هذا الشعار دوراً كبيراً في فضح وإحباط مناورات المستعمرين الرامية إلى فصل شعار التحرر الوطني العربي عن شعار الوحدة العربية ، وإلى تشويه فكرة الوحدة العربية ومسخهاوتحويلها إلى اتحادات جزئية،بين أقطار عربية مكبلة بقيود معاهدات استعمارية (مثلاً : العراق والأردن) وبين أقطار عربية مستقلة (مثلاً : سوريا ولبنان) وذلك لإرجاع الاحتلال إلى هذه الأخيرة (مشاريع سوريا الكبرى والهلال الخصيب واتحاد القطرين ... إلخ) . إن الشعوب العربية تدرك اليوم ، بشكل واضح ، أنه لا يمكن تحقيق الوحدة العربية إلا على أساس الديمقراطية والتحرر التام من الاستعمار .

فتبعاً لانحسار الاستعمار عن العالم العربي ينفتح ، كما تبرهن التجارب نفسها ، الطريق نحو تحقيق الوحدة العربية .

فإن انتصار عدد من البلدان العربية في معركة التحرر من نير الاستعمار،وفي الحصول على استقلالها ، وانتهاج هذه البلدان ، وفي طليعتها مصر وسوريا ، سياسة تحررية قوامها ممارسة السيادة الوطنية والنضال ضد التدخل الأجنبي وضد الأحلاف الاستعمارية ، كل ذلك أدى إلى انتقال شعار الوحدة العربية إلى الصعيد العملي كشعار واقعي ملموس .

إن الحجر الأساسي في الانطلاق نحو الوحدة العربية هو التعاون المتين بين البلدان العربية المتحررة ، وخصوصاً بين سوريا ومصر ، وتوثيق الروابط بينها في مختلف الميادين: السياسية والاقتصادية والعسكرية،إلى جانب تقوية التضامن مع الشعوب العربية التي ماتزال رازحة تحت نير العبودية الاستعمارية ، في نضالها الباسل من أجل حريتها واستقلالها الوطني .

ولا ريب أن نجاح الشعب العراقي الشقيق في نضاله الشاق لتحطيم حلف بغداد ، والخلاص من الاحتلال الأجنبي،سيزيل عائقاً كبيراً من طريق التعاون العربي،ويفتح السبيل،للسير بخطى أسرع نحو الوحدة العربية الشاملة .

وإذا كان طغاة الاستعمار العالمي ، بمعونة صنيعتهم إسرائيل والصهيونية العالمية ، يحاربون التضامن العربي وفكرة الوحدة العربية بمختلف الوسائل ، لأنهم ينظرون إلى البلدان العربية على أنها مراكز استراتيجية ومنابع للنفط الذي يغتصبونه من أصحابه العرب ، فإن المعسكر الاشتراكي العالمي ، وفي طليعته الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ، وكذلك الدول التي تحررت من الاستعمار في آسيا وإفريقيا،وأخذت تنهج سياسة قوامها السلم والاعتراف بحق الشعوب في السيادة والاستقلال،تؤيد جميعها،نضال الشعوب العربية في سبيل تحررها الوطني الكامل،وفي سبيل الوحدة العربية ، لأن قضية الوحدة العربية هي إحدى قضايا السلم والحرية في العالم .

ولا ريب أن توطيد العلاقات الأخوية الوثيقة بين البلدان العربية المتحررة ، وتحرير البلدان العربية التي ماتزال رازحة تحت نير الاحتلال الأجنبي ، والسير إلى الأمام في طريق الوحدة العربية الشاملة ، كل ذلك سيخلق ظروفاً أنسب لإنجاز المهمات الوطنية الكبرى الموضوعة أمام سوريا ولبنان ، والسير قدماً بالوسائل السلمية في تحقيق الإصلاحات الديمقراطية الجذرية التي تجابهها بلادنا ، وبناء الأسس اللازمة للتطور السلمي نحو الاشتراكية .

٧ أيار ١٩٥٦

وثيقة رقم (٥)

ومن قرارات الدورة العادية التي عقدتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري في شهري نيسان وأيار عام ١٩٥٦ القرار التالي حول الديمقراطية الحزبية :

قرار
عن مهمات الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان
بشأن مبادىء القيادة الجماعية وتطبيق الديمقراطية
في داخل الحزب ورفع مستوى الحزب السياسي والنظري

إن حزبنا الشيوعي في سوريا ولبنان تقدم تقدماً ملموساً في السنوات الأخيرة . فبفضل السياسة الصحيحة المستندة إلى تعاليم الماركسية ـ اللينينية،والقائمة على خطة الجبهة الوطنية التي يطبقها في النطاق الشعبي والبرلماني،والتي أكد صوابها،تطور الأحداث في سوريا ولبنان ، وبفضل وحدته المتينة التي هي من أهم مصادر قوته ومنعته ، خطا حزبنا خطوات ناجحة في طريق التحول إلى حزب جماهيري،وارتفع نفوذه بين جماهير العمال والفلاحين وفي جميع الأوساط الشعبية والوطنية . واستطاع الحزب في سوريا على أساس التعاون مع جميع الوطنيين والديمقراطيين ، أن يسهم في الجهود المشتركة الرامية إلى فرض احترام إرادة الشعب،فيما يتصل باتجاه السياسة السورية في وجهة وطنية ديمقراطية ، كما أن الحزب يسير نحو القيام بدور ملموس في توحيد القوى الوطنية في لبنان .

ومن الواضح أن الحزب مدين بما حققه من تطور ونجاح إلى وحدته الراسخة،وإلى جهود مجموع أعضائه وأصدقائه الذين استطاعوا بالتفافهم حول اللجنة المركزية،وبنشاطهم المتفاني وسهرهم على خطة الحزب وتنفيذ مهماته ، أن يؤدوا واجبهم بشرف في خدمة وطنهم وشعبهم وفي الأمانة لخطة الجبهة الوطنية .

والآن حيث تبرز في سوريا ولبنان إمكانيات فعلية للتطور السلمي نحو الأهداف الوطنية الأساسية والإصلاحات الديمقراطية الجذرية الموضوعة أمام كل من البلدين ، يجابه حزبنا مهمات سياسية وتنظيمية هامة ، متنوعة ومتعددة ، تتطلب منه أن يكون في المستوى اللازم نظرياً وسياسياً ، وتقتضي السهر على تقويته داخلياً ، ورفع مستوى نشاط جميع هيئاته القيادية ، وتوسيع قواعده في المدينة والقرية ، وتوثيق صلاته بالجماهير الشعبية ، وخصوصاً،جماهير العمال والفلاحين .

ورغم أن حزبنا قد حقق تقدماً ملموساً في جميع هذه الميادين ، فثمة نواقص جدية في نشاط هيئاته القيادية وفي أسلوب عملها ، وهذه النواقص تعيق تطور الحزب وتقدمه واتساعه .

القيادة الجماعية

وأبرز هذه النواقص إهمال التطبيق العملي لمبدأ القيادة الجماعية،والفهم الخاطىء لهذا المبدأ في أكثر الأحيان . فما زال عدد من مناضلي الحزب ومن بينهم أعضاء في اللجنة المركزية ، يعتمدون الأسلوب الفردي البيروقراطي في معالجة المهمات الحزبية ، رغم تعاليم الماركسية ـ اللينينية

القائلة بضرورة احترام مبدأ القيادة الجماعية ، وضرورة تطبيقه في جميع الهيئات ، في الفرقة وفي كل لجنة .

إن مبدأ القيادة الجماعية يقوم في الأساس على احترام دور هيئات الحزب المسؤولة بجميع درجاتها،واحترام حق جميع أعضائها،في مناقشة المهمات وتقريرها والإشراف على تنفيذها . فتطبيق هذا المبدأ في حياة الحزب ، في كل هيئاته ، في الفِرَق واللجان الفرعية واللجان المنطقية وفي اللجنة المركزية ، هو الذي يؤدي إلى تقوية نشاط مجموع الحزب ، ورفعه إلى مستوى أعلى ، وتطوير المبادرة الخلاقة وروح المسؤولية لدى جميع أعضاء الحزب ، وتربيتهم على الاهتمام الدائم والتفكير بمجمل مهمات الحزب والمشاطرة في مناقشتها وحلها .

على أنه من الخطأ الفادح التفكير بأن مبدأ القيادة الجماعية ينفي مسؤولية الأشخاص . فمن المعلوم أن كل عضو في هيئة حزبية يؤدي حساباً عن نشاطه أمام هيئاته ، وكل هيئة حزبية من واجبها مراقبة نشاط كل عضو فيها .

في هذا الضوء ينبغي النظر إلى الوضع في قيادة الحزب ، في لجنته المركزية،وكذلك في قيادته المركزية . إن بعض أعضاء اللجنة المركزية والقيادة المركزية لديهم اتجاه قوي للتهرب من المشاركة الفعالة في معالجة المهمات الرئيسية القيادية الكبرى السياسية والتنظيمية . فالطابع الذي يميز أكثر أعمالهم ومواقفهم هو عدم التقدير لمسؤولية العمل القيادي ، وميلهم في أكثر الأحيان إلى العمل الهَيِّن،وتصريف الأعمال الروتينية اليومية التي لا تتطلب الجهد والإبداع والمبادرة . وهم يفضلون انتظار التوجيهات والحلول دون التفكير بها والمساهمة في وضعها . ولا يعيرون قضية رفع مستواهم النظري الاهتمام الجدي المطلوب . إن هذا الاتجاه أدى ويؤدي إلى إلقاء تبعات العمل القيادي والتوجيهي في الحزب ، في جميع الميادين ، على عاتق شخص واحد في القيادة هو الأمين العام للحزب .

إن هذا الاتجاه ، إذا استمر ، سيؤدي بهؤلاء الرفاق إلى الجمود والعقم في التفكير ، ويجعل منهم مناضلين ضيقي الأفق ، ودون مستوى مهمات الحزب ، وغير صالحين للنهوض بتبعات العمل القيادي .

إن المفهوم الخاطىء لمبدأ القيادة الجماعية ، وضعف روح المسؤولية الذي يهبط بدور القائد في الحزب إلى مستوى منفذ عادي ، بالإضافة إلى انخفاض المستوى النظري ، تلك هي ، في آخر تحليل ، الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوء هذا الوضع في اللجنة المركزية وفي القيادة المركزية .

إن استمرار هذا الوضع في هيئات الحزب القيادية يلحق الضرر بمجموع الحزب ويعيق تطوره وتقدمه . في حين أن الإمكانيات متوافرة للخلاص من هذا الوضع بإزالة أسبابه وإجراء انعطاف جذري في نشاط القيادة وأسلوب عملها . وذلك يتطلب شعوراً رفيعاً بالمسؤولية وتطبيقاً دقيقاً لمبدأ القيادة الجماعية وعدم التساهل إزاء أي موقف يؤدي إلى إضعاف هذا المبدأ ، والقيام بانتقاد وانتقاد ذاتي حازِمَيْن ، كما يتطلب ، بوجه خاص ، عملاً دائباً متواصلاً من قبل جميع أعضاء اللجنة المركزية لرفع مستواهم النظري .

الديمقراطية الداخلية في الحزب

إن تطبيق مبدأ الديمقراطية الداخلية في الحزب واحترامه هو من الشروط الأساسية للعمل الجماعي في جميع هيئات الحزب ولضمان مساهمة جميع أعضاء الحزب في بحث مهمات الحزب وتنفيذها ، وهذا يساعد بالنتيجة على تطوير الكادر الناشىء وتشجيعه .

ومن الضروري أن يدرك جميع المناضلين الحزبيين المسؤولين وجميع الهيئات المسؤولة أن كل خرق للديمقراطية الداخلية من شأنه أن يلحق الضرر بنشاط الحزب وعمل هيئاته ومعنويات ملاكاته .

فعليهم أن يتقبلوا جميع ملاحظات الرفاق وانتقاداتهم بكل رحابة صدر،وأن يهتموا بها ويبحثوها بشكل ديمقراطي في هيئات الحزب ، بحيث ينشأ الجو الذي يشعر فيه جميع الرفاق بالارتياح والحرية،فيما يبدونه من آراء وملاحظات وانتقادات،هدفها مصلحة الحزب . كما ينبغي عليهم أن يهتموا اهتماماً جدياً دائباً بتطبيق وتطوير الديمقراطية الداخلية في كل فرقة وكل لجنة فرعية وكل لجنة منطقية ، وفي اللجنة المركزية ، وعليهم أن يهتموا كذلك بتشجيع ممارسة الانتقاد والانتقاد الذاتي ورفع مستواهما ليكونا سلاحاً فعالاً في كشف النواقص والأخطاء دون اعتبار للأشخاص ، هذا مع البحث الجدي المستمر عن الوسائل لتلافي الأخطاء .

العمل الثقافي

إن العمل الفكري والتثقيف النظري يلعبان دوراً هاماً رئيسياً في بناء الحزب وتطويره . غير ان المجهود الذي بذلته هيئات الحزب المسؤولة حتى الآن في ميدان العمل التثقيفي مازال غير كاف . فليس في كل مكان حلقات للتثقيف الجماعي . أما الحلقات الموجودة فغالباً ما يكون عملها مطبوعاً بالجمود والانفصال عن حياة الحزب ومهماته . ومازال كثير من الرفاق المسؤولين يعتبرون الاهتمام بهذه الحلقات وبنشاطها من المهمات الثانوية . وينبغي إجراء تحسين ملموس في هذا الميدان . ينبغي أن تدرك الهيئات المسؤولة أهمية العمل التثقيفي وضرورته القصوى لحزبنا . ومن المهم الإشارة إلى أن التثقيف الجماعي في الحلقات لا يمكن أن يغني الرفاق المسؤولين على مختلف الدرجات ، عن بذل الجهود الشخصية لتثقيف أنفسهم فردياً .

ولا شك أن إغناء مكتبة الحزب بترجمات جديدة لمؤلفات الماركسية ـ اللينينية ، وجعل هذه المؤلفات في متناول أعضاء الحزب ونشرها بصورة واسعة هو من المهمات الحيوية التي يواجهها الحزب .

وعلى جميع الشيوعيين،ولا سيما الرفاق المسؤولين،أن يدرسوا باهتمام وعمق،تاريخ بلادهم وأوضاعها الاقتصادية،وأن يعنوا بدراسة التراث العربي وإحيائه .

تقوية الحزب وتوسيعه

تنفتح أمام حزبنا اليوم إمكانيات فعلية كبرى لكي يكون حزباً جماهيرياً قوياً . ومن الواضح ان تطبيق سياسة الحزب بأمانة وجرأة ، مع تطبيق المبادىء اللينينية في تنظيمه وأساليب عمله ، هما الوسيلة التي تجعل الحزب قوة منظمة قادرة على الاستفادة من هذه الإمكانيات العظيمة ، وتتيح له السير قدماً في طريق الاتساع والتوطد ، واكتساب جميع صفات الحزب الجماهيري القادر على القيام بالمهمات التاريخية الكبرى التي تواجهه في المرحلة الحاضرة من تطور سوريا ولبنان .

إن تأدية هذه المهمات بنجاح تتطلب من منظمات الحزب أن تكون على اتصال وثيق بالجماهير،وأن تنوّع هذا الاتصال وتعمّقه يومياً،عن طريق الاهتمام الجدي بمطالب الجماهير الشعبية والدفاع العنيد المستمر عنها والسير على رأس النضال من أجل تحقيقها ، على أساس تطبيق خطة العمل المشترك والجبهة الوطنية في كل ميدان .

لقد اتسع حزبنا في السنوات الأخيرة ولكن هذا الاتساع لا يتناسب مع تعاظم نفوذه وإقبال الجماهير على تبني شعاراته والتفافها حول خطته . والسبب في ذلك يعود إلى أن كادر الحزب وهيئاته القيادية لا تشعر بعد شعوراً كافياً بعظم الإمكانيات المتوفرة أمام الحزب ولاتزال تنظر إلى مهمة توسيع الحزب بمنظار قديم ، بمقاييس العهود الغابرة . ولا شك انه قد آن الأوان للتخلص من هذه النظرة الضيقة .

إن إمكان تطور بلادنا في الطريق السلمي والنظرة إلى البرلمان على أساس إمكان تحويله إلى هيئة تمثل إرادة الشعب فعلاً ، يتطلب من مجموع الحزب أن يأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار،سواء في نشاطه اليومي أم في أسلوب تنظيمه،بحيث يستطيع الاتجاه نحو توسيع قواه الانتخابية وتوطيدها ، وتوجيه منظماته إلى الاهتمام البالغ بهذا الميدان .

وينبغي أن يكون واضحاً كل الوضوح لدى جميع أعضاء الحزب أنه مهما كانت أشكال التطور أمام سوريا ولبنان،بما فيها شكل التطور السلمي ، فإن الشرط الأساسي في كل الأحوال والظروف ، هو وجود حزب شيوعي قوي ، جماهيري ، مشبع بروح الكفاح والتفاني ، متين البناء ، عالي المستوى نظرياً وسياسياً ، غني بالتجارب ، قادر على مجابهة الانعطافات المفاجئة في التطور الاجتماعي والسياسي .

ولدى حزبنا جميع الإمكانيات للسير بسرعة في هذا الطريق وهو ما ينبغي أن يعتبره جميع الشيوعيين مهمتهم الكبرى الأساسية .

٧ أيار ١٩٥٦

وثيقة رقم (٦)

من مقاله: اتجاهان في الحركة الوطنية العربية ، الذي نشره خالد بكداش في المجلة الدولية الجديدة في عدد رقم ١١ الصادر في تشرين الثاني ١٩٥٩ نقتطف المقطع التالي حول الوحدة العربية :

القومية العربية والوحدة العربية

إن الشيوعيين العرب،وسائر المناضلين التقدميين العرب،ليسوا أبداً ضد القومية العربية والوحدة العربية . بل هم ، على العكس ، إنما يريدون أن تتطور القومية العربية والوحدة العربية في الطريق الطبيعي ، طريق التقدم والديمقراطية .

إن القومية العربية من حيث هي حركة ترمي إلى توحيد البلدان العربية برزت وتطورت في ظروف تاريخية معينة ، خلال النضال ضد الاستعمار ، وذلك ما جعلها تختلف عن قومية الأمم الأوربية التي تكونت قبل عهد الاستعمار[1] .

يقول لينين : « إن في كل قومية برجوازية لأمة مظلومة مضطهدة ، محتوى ديمقراطياً عاماً موجهاً ضد الاضطهاد . وهذا المحتوى هو ما نؤيده دون أي تحفظ » (من مقال « حق الأمم في التصرف بنفسها » . المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٢٠ ـ الصفحة ٣٨٤ ، الطبعة الروسية) .

وبالفعل اصطدمت القومية العربية دائماً ، في كل خطوة من خطواتها،وفي كل بلد من البلدان العربية ، بنير المستعمرين وحرابهم . وهذا ما أدى بشكل رئيسي إلى إبراز المحتوى الديمقراطي التقدمي للقومية العربية الذي تمثل في السعي للانعتاق من سيطرة الاستعمار،وفي التضامن مع قوى السلم في العالم بأسره .

واليوم ، تريد الأوساط اليمينية طمس وقتل هذا المحتوى التقدمي للقومية العربية ، وتحويل القوميين إلى حلفاء للاستعمار الأمريكي . غير أنه يجدر بالذين يحاولون هذه المحاولات أن يذكروا أن نوري السعيد نفسه زعم في زمانه أنه حامل لواء « القومية العربية » وجمع تحت هذا اللواء جميع العناصر الرجعية في العراق ، ونادى بأعلى صوته،أن العدو الأول للقومية العربية هو « الشيوعية الدولية » .

وماذا يبقى من قومية أمة بقيت خلال أجيال وأجيال ، مجزأة،أناخ عليها الاستعمار بنيره فاضعفها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً . ماذا يبقى منها إذا هي تنكرت لمصالح ومطامح الجماهير الشعبية في بلادها ، وإذا هي عزلت نفسها عن قوى التقدم في الميدان الدولي ؟ إن مثل هذه القومية ، تتحول ، في مثل هذه الحالة ، إلى حركة فئة ضيقة ، معزولة ، وتصبح ، في النهاية ، ستاراً يخفي تحالف هذه الفئة مع الاستعمار .

إن الوقائع تثبت أن القومية العربية يمكن أن تكون قوة ذات شأن فقط في معمعان النضال العام الذي تشنه الشعوب العربية في سبيل تحررها .

---

(١) الاستعمار هنا (وفي كل المقال) بمعناه العلمي الحديث (الإمبرياليزم) وقد نشأ وأخذ يتطور في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويسميه لينين : المرحلة العليا للراسمالية حيث تسود الاحتكارات الراسمالية الكبرى ، ويتمتع تصدير الرساميل ، ويحتدم النضال ، بين الدول الراسمالية العظمى لإعادة تقسيم الأسواق والمستعمرات فيما بينها مما يؤدي إلى اصطدامات عنيفة وحروب دورية .

إن فكرة الوحدة العربية تقوم على أساس واقعي . فالعرب ينتمون إلى قومية واحدة ، ولهم لغة مشتركة ، وثقافة مشتركة ، كما تتطور لديهم العلائم الأساسية الأخرى المميزة للأمة ، غير أن هنالك واقعاً تاريخياً هاماً هو أن العرب ، منذ أن غابت من الوجود،الدولة العربية العظمى المتمركزة التي كانت عاصمتها أولاً دمشق وبعدها بغداد ، عاشوا خلال مئات السنين في دول وأقطار مختلفة ، ذات ظروف وأوضاع مختلفة . وقبل الحرب العالمية الأولى بمدة طويلة ، انتزع المستعمرون أجزاء عديدة من العالم العربي وأخضعوها لنيرهم (مصر ، السودان ، بلدان المغرب العربي ، عدن ، إمارات جنوبي الجزيرة العربية ...إلخ) . وبعد الحرب العالمية الأولى ، استولى المستعمرون على العالم العربي بأسره .

ومن الواضح تماماً أن تحرر الأقطار العربية من سيطرة الاستعمار ، هو الشرط الأولي الضروري لتوحيدها . وبالتالي ، فالتضامن بين الشعوب العربية في النضال ضد الاستعمار ، وتوحيد قواها للحصول على الاستقلال،ولصون هذا الاستقلال ، يبقى العنصر الأساسي الحاسم في حركة الوحدة العربية . وعلى هذا ، ينبعي أن يدخل في الحسبان اختلاف الظروف في البلدان العربية ، ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أن أشكال الوحدة يمكن أن تكون مختلفة ، فليس من الضروري الحتمي أبداً في المرحلة الحاضرة أن تندمج جميع الدول العربية ، من حيث هي دول ، اندماجاً كلياً تاماً .

وأبرز مثال على ذلك هو لبنان . فحتى الغلاة من أنصار الوحدة العربية ، أو أكثريتهم الساحقة،إن لم نقل جميعهم ، يعترفون بوضع لبنان الخاص ويستثنونه من مختلف مشاريع الوحدة بين العرب . غير أن ذلك لا يعني أبداً أن لبنان بلد غير عربي،أو أن الوطنيين اللبنانيين لا يناضلون في سبيل إقامة أوثق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع سائر البلدان العربية .

ولنأخذ الآن بعض الأمثلة في البلدان التي تسعى إلى الوحدة مع الأقطار العربية الأخرى،أو حتى من البلدان التي توحدت مع غيرها كمصر وسوريا . إن في بعض هذه البلدان صناعة نسيج ، غير أن تكاليف الانتاج في أحدها أقل من تكاليفه في البلد الثاني ، فإذا لم يؤخذ ذلك بعين الاعتبار ، فسيؤدي التوحيد المستعجِل المرتَجَل إلى أن صناعة البلد الأول ستهدد صناعة البلد الثاني بالاضمحلال ويتحول الاحتكاك بين الفئتين من الصناعيين إلى احتكاك بين البلدين .

ومثال آخر : متوسط أجور العمال في سوريا (وسكانها أربعة ملايين) أعلى بمرتين وحتى ، أحياناً ، بثلاث مرات من متوسط أجور العمال في مصر (وسكانها ٢٣ مليوناً) . فهل سيكون في المستطاع ، بعد التوحيد ، وخلال مدة معينة ، رفع مستوى أجور العمال المصريين إلى مستوى أجور العمال السوريين ؟ طبعاً لا . بل إن الذي سيحدث هو أن مستوى معيشة عمال البلد الأصغر هو الذي سينزل إلى مستوى معيشة عمال البلد الأكبر ، أي ستسوء حالة العمال في سوريا،دون أن تتحسن حالة العمال في مصر ، والرابح هو فقط فئة معينة من فئات البرجوازية المصرية .

ومثال ثالث : تكونت في سوريا تاريخياً تقاليد ديمقراطية (حرية الكلام والنشر والصحافة ، وحرية الاجتماعات ، وحرية النشاط النقابي ، وحرية الأحزاب السياسية ...إلخ) ولم تبق وقفاً على فئة مختارة من الإقطاعيين أو البرجوازيين أو محترفي السياسة ، بل تغلغلت هذه التقاليد الديمقراطية في الجماهير الشعبية التي مارستها للنضال في سبيل حقوقها ولمراقبة سلوك القائمين على الحكم . فهل من الممكن محو هذه التقاليد الديمقراطية بجرة قلم دون أن يحدث ذلك نفوراً واستياءاً واحتجاجاً ؟

في أواخر عام ١٩٥٨ ، كتب أحد « مفكري » حزب البعث زاعماً أن الظروف الموضوعية في سوريا ، التي « ينوح » عليها الشيوعيون السوريون ، هي « ظروف رجعية » (كذا !...) ولكن هل وجود صناعة في دولة عربية هو ظاهرة رجعية فينبغي أن تزال ؟ وما هو الشيء الرجعي في ارتفاع مستوى أجور العمال ؟ أم ربما أن الحريات الديمقراطية التي يمارسها الشعب هي كذلك أشياء رجعية فينبغي محوها ؟

لقد مضى عام منذ ذلك الحين . وخلال هذا العام ، فقد البعثيون ، نتيجة سياستهم ، كل ثقة لدى الشعب السوري ، وأصبحوا في عزلة مطلقة حتى أن جمال عبد الناصر نفسه قرر أن يتخلص منهم بأمل أن يحرز تأييد بعض فئات من الساسة السوريين ، خصوم حزب البعث . فبودنا أن نسأل اليوم قادة البعث : هل هم موافقون على جعلهم ، هم أيضاً ، في عداد « الظروف الموضوعية الرجعية » ، التي ينبغي التخلص منها ؟ يقول مثل سائر في سوريا « إن التجارب تفتح حتى أعين العميان » . ولكن هل يصح هذا المثل على أعضاء حزب البعث ؟

إن كل محاولة ترمي إلى تجاهل الظروف الموضوعية أو طمسها ، مصيرها الفشل المحتوم . وقد كانت الدعاية المصرية ، ودعاية حزب البعث ، قبل الوحدة بين مصر وسوريا ، تؤكد أن من الضروري ، لنجاح الوحدة « تماثل » الأوضاع بين البلدين . وعلى هذا الأساس برروا حل الأحزاب السياسية وحل البرلمان في سوريا ، وبرروا القضاء على حرية الكلام والصحافة والاجتماعات والنقابات . وقالوا للشعب أنها « تضحيات تافهة » ـ ولكنها مؤقتة على كل حال ـ ولا قيمة لها بالمقارنة مع « الخيرات العظمى » التي ستجلبها الوحدة .

ماذا كانت هذه « الخيرات » وماذا كانت نتائج الوحدة بعد انقضاء ما يقارب السنتين عليها ؟

لقد كان الاقتصاد السوري ، قبل الوحدة ، بوجه عام ، في حالة تطور ونهوض . أما اليوم فإن سوريا ، التي كانت قبلاً بلداً مصدراً للقمح ، أصبحت تستورد القمح من الولايات المتحدة الأمريكية ومن إيطاليا وغيرها . وانخفضت المساحة المزروعة قطناً . أما زراعة الرز فهي في هبوط وانحطاط .

والتجارة تعاني الركود والكساد . أما الانتاج الصناعي فهو في تقلص وهبوط مستمر . وفي صناعة النسيج ، وهي الصناعة الرئيسية في سوريا ، أوقفت كثير من المعامل الصغيرة والمصانع الحرفية أعمالها تماماً . وأخذت معامل النسيج في حلب ، وهي تعد أكبر وأقوى المعامل في سوريا تقلص انتاجها وتسرح عمالها شيئاً فشيئاً أو تشغلهم جزئياً . وهبط انتاج الجلود والسكاكر والموبيليا وأفلس عدد من معامل الصابون . وشملت البطالة آلاف الناس ، هذا عدا عشرات الألوف الذين هاجروا إلى الأقطار المجاورة وخصوصاً إلى لبنان سعياً وراء اللقمة . وقد صرحت مصادر رسمية في الحكومة اللبنانية أن عدد الشغيلة السوريين المهاجرين إلى لبنان بلغ خمسين ألفاً .

وهبطت قيمة النقد السوري ، وتقلص التوظيف بشكل ملحوظ واتخذ تهريب الرساميل إلى الخارج نطاقاً واسعاً . وتفاقم الغلاء بشكل فاحش ، وقد ارتفعت أسعار اللحم والسمن بصورة سريعة وبلغت حداً لم تعرفه سوريا منذ الحرب العالمية الثانية .

إن السبب الرئيسي لتدهور الوضع الاقتصادي في سوريا هو السياسة التي تنتهجها حكومة القاهرة تجاه الإقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة ، هذه السياسة التي تكمن وراءها المطامع الأنانية للأوساط الاحتكارية من البرجوازية المصرية ، التي لم تكن الوحدة مع سوريا في نظرها سوى وسيلة للاستيلاء على السوق السورية وإخضاع الاقتصاد السوري لمطامعها .

من أجل ذلك ينبغي أن يتوقف انتاج القطن في سوريا أو ، على الأقل ، أن يصبح انتاجه والتجارة به وتصديره وتحويله خاضعة كلياً لمصالح الماليين المصريين .والرز السوري يجب أن يزول أمام الرز المصري . والنسيج السوري ينبغي إما أن يزول ويتخلى عن سوقه السورية وأسواقه التقليدية الأخرى في الأقطار المجاورة للنسيج المصري وإما أن ينتقل إلى قبضة الرأسمال المصري . وفعلاً فإن المنسوجات المصرية ، نظراً لرخصها (بسبب انخفاض أجرة العامل المصري) أغرقت أسواق سوريا وأنزلت أضراراً كبرى بأصحاب مصانع النسيج السورية . وبينما تقفل معامل النسيج السورية الصغيرة أبوابها ، وبينما معامل النسيج الكبيرة مهددة كذلك بالمصير نفسه ، يجري الاستعداد لإنشاء معمل نسيج جديد في الاقليم السوري يقوم على تمويله بصورة رئيسية بنك مصر .

ويعاني المثقفون السوريون ويلات البطالة ، بينما يحل المعلمون والمدرسون المصريون محل السوريين في مدارس سوريا ومؤسساتها التعليمية .

إذا أضفنا إلى ذلك كله ، تسريح ألوف الموظفين السوريين ، المدنيين والعسكريين ، تتمثل لنا الصورة الكاملة للوضع في سوريا ولما تمض بعد على الوحدة سنة ونصف السنة .

ويتساءل الشعب السوري عن مصير المشاريع التي نصت عليها الاتفاقات الاقتصادية مع بلدان المعسكر الاشتراكي . صحيح تم بناء مصفاة النفط في حمص التي بدأت تشيكوسلوفاكيا ببنائها قبل الوحدة ولكن أين المشاريع الكبرى الأخرى التي نصت عليها الاتفاقات السوفيتية السورية المعقودة عام ١٩٥٧ . إن الناس في سوريا لا يسمعون أي شيء عنها،رغم مرور عامين على عقدها ، هذا بينما يعلم الشعب السوري علم اليقين أن الاتحاد السوفييتي كان ولا يزال أميناً كل الأمانة لتعهداته . ومما يقلق الرأي العام السوري قلقاً عظيماً ما يرى في الصحف ، بين حين وحين ، من أنباء عن أن نية حكام القاهرة متجهة إلى إعادة النظر في هذه المشاريع أو تسليم تمويلها ، إلى الدول الغربية .

أما من الناحية السياسية فإن سوريا تعاني اليوم حالة من الاستبداد المطلق لم تعرف لها مثيلاً في كل تاريخها الحديث . فقد عطلت وحلت جميع الأحزاب الوطنية . حتى مبادىء الدستور المؤقت التي أعلنها جمال عبد الناصر بصورة فردية فور قيام الوحدة ، ألقيت في سلة المهملات . وحتى البرلمان المؤقت الذي كان ينبغي أن يعين رئيس الجمهورية نوابه تعييناً (على أن يكون نصفه على الأقل من نواب البرلمانيين السابقين المصري والسوري) ويبقى طوال مرحلة الانتقال ، هذا البرلمان نفسه لم يؤلف رغم أن صلاحياته كانت محدودة جداً .

أما انتخابات الاتحاد القومي التي جرت في شهر تموز ، فقد كانت مهزلة أتت ومضت دون أن تترك أي أثر ملحوظ في حياة الشعب . فاللجان المحلية التي تم « انتخابها » لاتعرف ما هي مهمتها ولا وظائفها . وعندما حاولت بعض هذه اللجان أن تمارس ولو شيئاً من النشاط ، افهمت بأنها تتطاول وتتجاوز « صلاحياتها » وأن السلطات نفسها تعرف ما لها وما عليها ولم تلبث أن دخلت هذه اللجان في عالم النسيان .

وثمة ألوف من خيرة أبناء الشعب ، من خيرة الوطنيين الديمقراطيين : من العمال والفلاحين والحرفيين والضباط والمثقفين ، من الكادحين بسواعدهم وأدمغتهم ، يملؤون اليوم سجون سوريا ومصر . وغالبية هؤلاء المعتقلين (إذا استثنينا الـ ٦٤ وطنياً مصرياً ، الذين حوكموا سراً في الإسكندرية خلال آب وأيلول من العام الحالي ١٩٥٩) يعانون عذاب الاعتقال والسجن دون أن يحالوا إلى المحاكم . وقد ألغيت في سوريا وظيفة قاضي التحقيق وأصبح البوليس هو المحقق الوحيد .

أما أساليب الإهانة والإرهاب والتعذيب المطبقة على المعتقلين فلا يمكن تشبيهها إلا بالأساليب الفاشستية : شك الدبابيس تحت الأظافر ، التعرية والتغطيس في الماء البارد طوراً والساخن طوراً ثم الجَلد حتى الإغماء ، حرق أجزاء من الجسم بالنار ، التعذيب بالكهرباء ، نفخ البطن بإدخال أنبوب من خلف كما تنفخ دواليب السيارات ، منع النوم بتسليط الأنوار الوهاجة على الوجوه أو بإحداث ضجيج مستمر ، دفن المعتقلين حتى العنق في الأرض وهم أحياء ...إلخ .

وقد مات عدد من المعتقلين تحت التعذيب منهم : المعلمان سعيد الدروبي ومحي الدين فليون والطالب جورج عدس .

وتلجأ الشرطة السرية (المباحث) في الجمهورية العربية المتحدة إلى أساليب الغانغستر . فقد اختطفوا من أحد شوارع دمشق المناضل البارز في الحركة التحررية العربية الرفيق فرج الله الحلو . وقد رفضت شرطة المباحث حتى مجرد الاعتراف باعتقاله . وقد جاءت الأنباء الرهيبة عن التعذيب الذي لقيه فرج الله الحلو وعن موقفه الباسل البطولي الجدير بمناضل شيوعي ، فأثارت موجة عارمة من التأثر والاستنكار والاحتجاج بين الناس . وانطلقت في لبنان وكذلك في البلدان العربية الأخرى ولدى الرأي العام الديمقراطي العالمي حركة واسعة عظيمة تحت شعار : الحرية لفرج الله الحلو .

في خريف عام ١٩٥٨ ، حين بدأت تبرز وتتفاقم في سوريا المصاعب الاقتصادية والسياسية ولما تمض على الوحدة بضعة شهور ، تقدم الحزب الشيوعي بمنهج سياسي كان من الممكن أن يكون أساساً صالحاً لبناء الجمهورية العربية المتحدة وتطورها .

لقد جاء في هذا المنهج المؤلف من ١٣ بنداً اقتراحات عملية واضحة : إقامة حكومتين في كل من الإقليمين السوري والمصري من الجمهورية العربية المتحدة (إلى جانب حكومة مركزية للجمهورية كلها تهتم بشؤون الدفاع والسياسة الخارجية وغيرها من الشؤون المشتركة) ، تنظيم العلاقات الاقتصادية بين سوريا ومصر على أساس يؤدي إلى دعم التطور الاقتصادي ، وخصوصاً الصناعي ، في كلا الإقليمين ، حياة برلمانية ناشئة من انتخابات عامة حرة ، تأمين حرية الكلام والصحافة والاجتماع والأحزاب السياسية ونقابات العمال ومنظمات الفلاحين ، إصلاح زراعي شامل يؤمن الأرض لجميع الفلاحين المحرومين منها ويضمن لهم وسائل استثمارها .

أما فيما يتصل بالسياسة الخارجية فيقترح المنهج : إقامة علاقات إخاء وتعاون وثيق مع الجمهورية العراقية ـ توطيد الصداقة مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي لصيانة استقلال الجمهورية العربية المتحدة وضمان تطور اقتصادها الوطني ، مقاومة مطامع المستعمرين،وخصوصاً،الاستعمار الأمريكي ، حماية الاقتصاد من تغلغل الرأسمال الاستعماري .

وقد أثار هذا المنهج الذي تقدم به الحزب الشيوعي ، غضب بنك مصر . وانبرى جمال عبد الناصر في خطاب ألقاه في بور سعيد في ٢٣ كانون الأول ١٩٥٨ يتهم الحزب الشيوعي السوري بالانفصالية وبمقاومة الوحدة العربية والقومية العربية . تلت ذلك تدابير اضطهاد عنيفة كانت فاتحة الحملة الإرهابية الواسعة ضد القوى الوطنية الديمقراطية في سوريا ومصر . واضطر الحزب الشيوعي السوري للمرة الرابعة في تاريخه ، الانتقال إلى العمل السري .

غير أن الشعب السوري ، استقبل منهج الحزب الشيوعي بتأييد حار شامل ، حتى أنه أصبح شبه ميثاق وطني للبلاد بأسرها .

ويرى جميع الوطنيين اليوم أن هذا المنهج قد عالج قضية الوحدة العربية بشكل صحيح ، وأبان السبيل الناجع لإحباط مساعي الاستعمار الرامية إلى تحطيم وحدة العرب الوطنية وضرب العرب بالعرب .

خالد بكداش

أواخر أيلول ١٩٥٩

وثيقة رقم (٧)

ألقى خالد بكداش كلمة في الندوة العلمية التي انعقدت في برلين ، في أواخر شهر أيلول عام ١٩٦٤ بمناسبة الذكرى المئوية للأممية الأولى . نورد منها هذه المقتطفات :

أيها الرفاق:

ان تطور حركة التحرر الوطني يضع باستمرار، على بساط البحث قضايا جديدة حول تلاحق مراحل الحركة، وحول المحتوى الاقتصادي والاجتماعي للحركة في مختلف مراحلها، وحول دور مختلف القوى الاجتماعية في كل مرحلة، وحول مكان هذه الحركة في العملية الثورية العالمية، أي حول الصلة بين هذه الحركة وبين المنظومة الاشتراكية العالمية، وبينها وبين حركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتقدمة، وغير ذلك من القضايا الهامة.

ان الحياة نفسها تضع هذه القضايا بشكل جديد غير مألوف سابقاً فلا بد للفكر الاشتراكي العلمي، الماركسي ـ اللينيني، أن يجابه هذا الجديد بجرأة وشجاعة، وان يجد له الحلول على نحو جديد، أي انطلاقاً من تحليل الواقع نفسه تحليلاً موضوعياً، لا انطلاقاً من العواطف والرغبات، ولا انطلاقاً من ترديد أفكار تجاوزها التطور نفسه.

ومن أهم القضايا التي هي اليوم موضع نقاش، قضية دور الطبقة العاملة في الحركة الوطنية التحررية، وفي تطورها الحاضر والمستقبل. قديماً، أو بعبارة أصح، قبل الحرب العالمية الثانية، كان من المُسَلَّم به لدى الماركسيين ـ اللينينيين ان الثورة الوطنية التحررية ضد الاستعمار لا يمكن أن تنتصر، أي لا يمكن أن تنتزع الاستقلال السياسي لبلد ما إلا بقيادة الطبقة العاملة في هذا البلد، لأن البورجوازية الوطنية قد أفلست بوجه عام، وبحكم طبيعتها الاصلاحية لا يمكنها أن تذهب الى النهاية في النضال لأجل انتزاع الاستقلال الوطني والتحرر من سيطرة الاستعمار، أما الفئات المتوسطة، أي مختلف فئات البورجوازية الصغيرة في المدينة والريف، ومن جملتهم المثقفون، فلا يستطيعون القيام بأي دور قيادي في حركة التحرر الوطني نظراً لطبيعتهم المترجرجة المتقلبة. ونظراً لفقدان المقومات التي تسمح باعتبارهم طبقة لها مصالح طبقية محددة تجعلها أهلاً لتسنم مركز القيادة في حركة التحرر الوطني. كانت البورجوازية الوطنية، قبل الحرب العالمية الثانية تخشى الاستعمار خشية شديدة، وتقر بضعفها الشديد أمامه، فكانت بوجه عام تبحث عن تسويات معه تؤدي الى مساهمتها في الحكم واشتراكها في استثمار السوق الداخلية. أما بعد انتصار الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية، وبروز المنظومة الاشتراكية العالمية، وهبوط هيبة الاستعمار هبوطاً عاماً، فقد ازدادت البورجوازية الوطنية جرأة، وأخذت تطمح الى الاستيلاء على الحكم كاملاً في بلادها، وبالتالي لعبت في العديد من البلدان المستَعمَرة وشبه المستَعمَرة دوراً قيادياً في انتصار الثورة الوطنية التحررية، وانتزاع الاستقلال الوطني. وفي عدد من هذه البلدان لعبت الفئات المتوسطة أيضاً، من ضباط ومثقفين، إما دوراً قيادياً في الحركة التحررية منذ البداية (الجزائر مثلاً)، وإما في انجاز الحركة ضد الاستعمار التي كانت بدأت بقيادة البورجوازية الوطنية (مثلاً مصر).

ان انكار دور الطبقة العاملة في تطور حركة التحرر الوطني وفي انتقالها من مرحلة الى مرحلة أعلى بلغ حداً غريباً في بعض الأوساط. فبما أن الطبقة العاملة لم تلعب دوراً قيادياً في حركة التحرر

الوطني، وبما أنه حدث فيما بعد أن بعض التحولات الاجتماعية والاقتصادية التقدمية التي يمكن أن تكون مرحلة انتقالية نحو بناء الاشتراكية، والتي كان من المفروض حسب المفاهيم السابقة أن تقوم بها ديكتاتورية البروليتاريا، أخذت تتحقق عن طريق حكم وطني شعبي ليس قوامه ديكتاتورية البروليتاريا، أي ليس قوامه سلطة الطبقة العاملة المتحالفة مع جماهير الفلاحين وسائر الشغيلة، فقد أخذ البعض يميلون الى الاستنتاج بأن الطبقة العاملة في البلدان المتحررة حديثاً قد فقدت دورها نهائياً وأن الانتقال التام الى الاشتراكية، ثم بناء الاشتراكية، سوف يتحقق تماماً بهذه الأقطار، ليس بدون قيادة الطبقة العاملة فقطبل حتى بدون أن يكون لها أي دور هام أو أساسي في هذه العملية كلها.

يقول لينين: يكفي للحط من قيمة فكرة ما، المغالاة فيها ودفعها الى درجة المحال. وهذا ما يجري أحياناً خلال المحاولات المبذولة لدرس الطرق الجديدة للسير نحو الاشتراكية في بعض البلدان المتحررة. فيما أن بعض التدابير التقدمية الاقتصادية والاجتماعية حدثت بشكل جديد بقيادة فئات ليست بروليتارية، يسرع البعض الى مثل تلك الاستنتاجات حول دور الطبقة العاملة ومستقبلها، وفي ذلك خدمة كبرى لحملات أتباع التحجر العقائدي، وربما كانت هذه الآراء الخاطئة عن دور الطبقة العاملة، ناشئة عن بعض البلبلة في مفهوم الاشتراكية نفسه. فهل إن بعض التدابير التقدمية، مثل الاصلاح الزراعي (ولو كان غير جذري)، مع تأميم بعض البنوك وبعض الشركات الكبرى وحتى تأميم جميع البنوك وجميع الشركات الكبرى، هل هذه التدابير تعني قيام النظام الاشتراكي؟ هل تعني قيام الاشتراكية كما يدعي أصحاب هذه التدابير أنفسهم؟ أم أنها ليست سوى تدابير تقدمية هامة يمكن – أقول – يمكن – أن تكون بداية المرحلة الانتقالية الى الاشتراكية اذا توفرت الظروف والعوامل الأخرى اللازمة لذلك؟

وهنا يبرز سؤال هام وهو: هل أن الاشتراكية كنظام اجتماعي، لها محتوى معروف واضح بخطوطه العامة، ولكن الطريق اليها يختلف في كل بلد حسب خصائصه القومية؟ أم أن الاشتراكية نفسها، كنظام اجتماعي، أصبح لها محتوى خاص حسب كل بلد ويختلف من بلد إلى بلد؟... هذه قضية هامة تحتاج فيما نعتقد، الى بحث وايضاح بجهود مشتركة وبوضوح وصراحة.

كان لينين قبل ثورة أكتوبر يصف بالطوباوية كل رأي يقول بامكان تجنب مرحلة الرأسمالية في السير نحو الاشتراكية. ولكن بعد ثورة أكتوبر، بَيَّن لينين أن بامكان الأقطار المتخلفة، التي لم تصل بعد الى الرأسمالية، وليس فيها لا طبقة عاملة ولا بورجوازية، أن تتجنب المرحلة الرأسمالية وان تقفز من فوقها بمعونة البلد الذي انتصرت فيه البروليتاريا وظفرت بالحكم. وقد تحققت نبوءة لينين كما هو معروف بالنسبة لعدد من أقطار آسيا الداخلة ضمن الاتحاد السوفياتي أو المتاخمة له.

وهذا يمكن أن يصح اليوم بعد بروز المنظومة الاشتراكية العالمية، ومع تعاظم قوتها باستمرار بالنسبة حتى لأقطار غير متاخمة للاتحاد السوفياتي. ولكن ثمة أقطار ليست القضية فيها قضية اجتناب مرحلة الرأسمالية لأن الرأسمالية موجودة فيها، وفيها طبقة عاملة، وان كانت على درجات متفاوتة من التطور العددي والسياسي (مثلاً: مصر، الجزائر، الهند، سورية، الخ...).

وفي هذه الأقطار أخذت حركة التحرر الوطني تتخذ محتوى جديداً يندمج فيه العداء للاستعمار بالعداء للرأسمالية، وبعبارة أخرى، أخذ التطور نفسه يجعل النضال ضد الاستعمار يولِّد النضال ضد الرأسمالية أو يصبح نضالاً ضد الرأسمالية، وهكذا تحققت نبوءة لينين عندما قال بأن هذه الشعوب خلال نضالها ضد الاستعمار ستنذار ضد الرأسمالية أيضاً. لقد أخذ النزاع بين الطريق الرأسمالي للتطور والطريق غير الرأسمالي للتطور يصبح المحتوى الرئيسي الأساسي للنضال السياسي القائم في هذه البلدان. ولكن بقي النضال في الأساس نضالاً ضد الاستعمار، بمعنى أن النضال ضد الرأسمالية، عند الكثير من العناصر والفئات، لم يبرز كعداء للرأسمالية على أساس طبقي كما هي الحال مثلاً بالنسبة للعمال بوجه عام، وخصوصاً في البلدان الرأسمالية المتقدمة، بل برز العداء للرأسمالية عند هذه العناصر كنتيجة للقناعة بأن ترك الحبل على الغارب للتطور

الرأسمالي والبورجوازية الكبرى لن يؤدي الى تقدم البلاد الاقتصادي، كما أنه سيؤدي الى عودة الاستعمار بأشكال جديدة، وبالتالي يهدد الاستقلال السياسي أيضاً. وهكذا برزت لدى الكثير من الفئات والعناصر القومية الاتجاهات نحو الاشتراكية، لا على أساس طبقي بل على أساس وطني، على أساس قومي اذا صح التعبير، أو بعبارة أخرى: نظراً لضعف البورجوازية الوطنية في العديد من الأقطار، وعدم استطاعتها، بعد تحقيق الاستقلال السياسي فرض هيمنتها الكاملة على جهاز الدولة، وعجزها عن قمع الحركة الشعبية أو حجزها في نطاق مصالحها الطبقية ونظراً لعدم بلوغ الطبقة العاملة المستوى اللازم لتسنُّم القيادة في حركة التحرر الوطني، أخذت العناصر والفئات المتوسطة (الضباط، المثقفون... الخ) تبرز وتلعب دوراً أكبر فأكبر، وأخذت في الوقت نفسه تحت دافع العداء للاستعمار والخشية من عودته بشكل جديد، وتحت دافع الرغبة في التقدم الاقتصادي للبلاد، تتجه نحو الاشتراكية.

وهذا الوضع بمجموعه هو الذي وضع قضية دور الطبقة العاملة موضع البحث، أي أن السؤال هو: هل سيبقى الدور القيادي في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية في أيدي الفئات والعناصر المتوسطة من عسكريين ومثقفين؟ وهل لن يكون للطبقة العاملة، الى النهاية، أي دور قيادي أو حتى أي دور هام؟ أم أن الطبقة العاملة، مع تطور البلاد ومع تطور الوضع الدولي، ستتطور حتماً عددياً وسياسياً وتقترب أكثر فأكثر من الدور القيادي في المجتمع؟

لا ريب أن دور الطبقة العاملة العالمية، المتمثلة بوجه خاص في المعسكر الاشتراكي، وفي طليعته الاتحاد السوفياتي، هو دور كبير، ويصبح أكبر فأكبر في تطور الوضع الدولي كله، وفي تطور الوضع في كل بلد. وخطأ القادة الصينيين هو أن تحجرهم العقائدي يحجب عنهم هذه الحقيقة.

ولكن الدور المتعاظم الذي يصبح حاسماً، للمعسكر الاشتراكي العالمي، لا يؤدي كما يعتقد البعض الى نفي دور الطبقة العاملة في كل بلد أو انقاصه، بل سيؤدي على العكس، مع التطور، الى زيادة وتعاظم دور الطبقة العاملة في كل بلد أيضاً.

ان تأثير العالم الاشتراكي لا يقضي على القوى التقدمية الداخلية، ومن جملتها الطبقة العاملة في كل بلد، بل يقويها أكثر فأكثر خلال تقدم العملية الثورية العالمية بمجموعها.

وكل نجاح للمقاومة الناشئة في الداخل (من قبل العناصر الرجعية) وفي الخارج (من جانب الاستعمار) ضد تعاظم الدور السياسي للطبقة العاملة وسائر الجماهير الكادحة في هذا البلد أو ذاك يهدد طريق التطور غير الرأسمالي، يهدد الخطوات الأولية نحو الاشتراكية بالانتكاس، أي يهدد بالعودة الى الطريق الرأسمالي، وبالتالي، الى عودة الاستعمار بأشكال جديدة.

ان اللينينية تؤكد، والحياة نفسها تبرهن، أن من الصعب بناء الاشتراكية بالاعتماد على جهاز الدولة البيروقراطي، وان من الصعب، دون اطلاق الحريات الديموقراطية للشعب ودون الاعتماد على المبادرة الخلاقة للجماهير، لا السير فقط الى أمام، بل كذلك حماية المنجزات التي تحققت وصونها من مؤامرات الرجعية المدعومة من الاستعمار. وينبغي القول ان ثمة أقطاراً تعلن عن طموحها الى الاشتراكية، ولكن لا يزال الاعتماد فيها هو على أساليب الحكم الفردي وعلى جهاز الدولة البيروقراطي، ويجري فيها كبت مُصطَنَع لقدرة الطبقة العاملة ومبادرتها الخلاقة. ويكفي أن تطلق الحريات الديموقراطية للعمال وسائر الشغيلة في هذه الأقطار لكي يتبين مقدار الطاقة الهائلة التي يمكن أن تضعها الطبقة العاملة في خدمة قضية ولادة المجتمع الجديد وبنائه، وبعبارة أخرى، من الخطأ الحكم على دور الطبقة العاملة وامكانياتها بوجه عام من خلال الوضع في هذه الأقطار. لأنه وضع غير طبيعي ولا يصلح تماماً للتعميم. وهو وضع لا يمكن أن يدوم ومصلحة النضال ضد الاستعمار وفي سبيل الاشتراكية تقضي على جميع القوى التقدمية المخلصة في هذه الأقطار أن تعجّل بالخلاص من هذه السدود المصطنعة التي لا يمكن، اذا استمرت، الا أن تنفجر عاجلاً أو آجلاً بفعل قوانين التطور الموضوعي نفسها.

لا ريب أن من أهم الظواهر في عصرنا الحديث، انتشار الأفكار الاشتراكية بين أوسع الجماهير الشعبية، وكذلك بين فئات وعناصر تلعب دوراً قيادياً في حركة التحرر الوطني.

لقد أخذت التحولات الاقتصادية والاجتماعية تؤلف المحتوى الرئيسي لحركة التحرر الوطني في مرحلتها المعاصرة. وهذا الواقع جعل الكثير من القوميين المخلصين يرون بالتجربة ان الطريق الوحيد لتحقيق هذه التحولات هو طريق الاشتراكية. وهكذا لم يعد الشيوعيون هم وحدهم الذين يريدون الاشتراكية ويناضلون باخلاص في سبيلها.

ومن الواضح ان الاتجاهات الاشتراكية لدى غير الشيوعيين بدأت كاتجاهات غامضة جداً. وبما أنها برزت لدى حامليها في البداية على أساس قومي، فانها بطبيعة الحال كانت خالية تقريباً من أي محتوى طبقي واضح، وكان أصحابها في البداية ينكرون نضال الطبقات، بل حتى وجود الطبقات. وفي أحسن الحالات كانوا يقولون أن غايتهم إذابة الفروق بين الطبقات. ورغم التقدم الذي وقع خلال الفترة الوجيزة في تفكيرهم فلا تزال لديهم مفاهيم غامضة. فمنهم مثلاً من يحاولون حتى الآن تقسيم الرأسمال الى نوعين: رأسمال مستَغِل ورأسمال غير مستَغِل، أي أنهم لا يدركون المفهوم العلمي للرأسمال من حيث أنه لا يمكن أن يكون الا نتيجة الاستغلال، ولا يمكن أن يوجد الا على أساس الاستغلال. وآخرون ينكرون دور الطبقة العاملة الخاص والرئيسي في بناء الاشتراكية. و فريق ثالث لا يفرقون بين التدابير المؤدية الى بناء الاشتراكية والنظام الاشتراكي نفسه، فينعتون الوضع في بلادهم، وهو وضع لا يزال يتميز بغلبة علاقات الانتاج الرأسمالية في الحياة الاقتصادية وبانتشار البطالة والفقر والأمية، بأنه وضع اشتراكي أو نظام اشتراكي.

وهنا أخذت تبرز في بعض أوساط حركة التحرر الوطني وحتى التقدمية منها بل حتى في بعض الأوساط الماركسية ــ اللينينية تساؤلات حول دور الشيوعيين في تطور حركة التحرر الوطني بوجه عام، وفي عملية تطور البلدان المتحررة في الطريق غير الرأسمالي بوجه خاص. وبلغ الأمر بالبعض حد الميل الى انكار أي دور للشيوعيين وللأحزاب الشيوعية من الأساس. ان أتباع التحجر العقائدي يُنكِرون في الواقع أي دور الا للشيوعيين في عملية السير نحو الاشتراكية، وهي وجهة نظر انعزالية خطرة، منفصلة عن الواقع الحي، وتهدد بعزل الشيوعيين، كما تهدد بعزل المعسكر الاشتراكي عن حركة التحرر الوطني، وبالتالي اضعاف هذه الحركة. غير أن انكار دور الشيوعيين بتاتاً والمغالاة في دور العناصر والتيارات الأخرى الجديدة الداعية الى الاشتراكيةي معناه الوقوع في الجانب الآخر وهو كذلك يؤدي الى إضعاف حركة التحرر الوطني، والى استمرار الغموض في الاتجاهات الاشتراكية الأخرى.

والواقع ان وضع السؤال على هذا الشكل: أي هل بقي للشيوعيين في كل قطر دورهم أم لا مع ظهور الاتجاهات الجديدة نحو الاشتراكية؟ هو تحريف ساطع للمسألة.

فالقضية ليست قضية نفي دور الشيوعيين أو تثبيته بل هي قضية كيفية توحيد جميع التيارات والاتجاهات الطامحة الى الاشتراكية والمناضلة في سبيلها، بمن فيها، بل وفي رأسها الشيوعيون. ان الشيوعيين هم الحاملون الحقيقيون الحازمون لايديولوجية الاشتراكية العلمية. وقد قاموا على درجات مختلفة بدور لا يُنكَر في تطور حركة التحرر الوطني نفسها، وفي نشر أفكار الاشتراكية العلمية، وفي وضع الحلول الحقيقية المعقولة للمهمات الاقتصادية والاجتماعية، وفي النضال من أجل مطالب العمال والفلاحين وسائر جماهير الكادحين. ووجود الشيوعيين ضمن تيار التحرر التقدمي ضمن التيار الاشتراكي في كل بلد، تقتضيه مصلحة الشعب في هذا البلد، تقتضيه مصلحة الاتجاهات الاشتراكية الأخرى، تقتضيه مصلحة عملية تطور هذا البلد في طريق التحرر الوطني الكامل، وطريق التقدم الاقتصادي والاجتماعي. أما السعي لاخراجهم من الساحة فهو موضوعياً، يخدم مصالح الاستعمار الجديدة والرجعية، وهو على الضبط ما يريده ويعمل له الاستعمار الجديد والرجعية.

ان وجود الشيوعيين ونشاطهم في قلب العملية الثورية في كل بلد، هو عامل من العوامل الأساسية، وشرط من الشروط الرئيسية، لاقتراب الاتجاهات التقدمية الأخرى أكثر فأكثر من مفاهيم الاشتراكية العلمية وسيرها في الطريق الصحيح.

القضية اذن هي قضية جمع التيارات والاتجاهات التقدمية والاشتراكية وتوحيدها في كل بلد.

فكيف يمكن ذلك؟

هنا لا يمكن التعميم. فالظروف في كل بلد مختلفة جداً. وسير التطور يدل على أنها تزداد اختلافاً. ان الجبهة الوطنية التقدمية في سبيل السير بالثورة الوطنية الديموقراطية ضد الاستعمار والاقطاعية الى نهايتها، وفي سبيل السير نحو الاشتراكية، قد يتخذ في بلد من البلدان المتحررة حديثاً شكل حزب واحد يتألف من ممثلي جميع الفئات التي تعتنق الاشتراكية وتعمل في سبيلها. ولكن تجمُع القوى المناضلة ضد الاستعمار والاقطاعية وفي سبيل التقدم الاجتماعي، قد يتخذ، في بلد آخر شكل جبهة وطنية تتألف من ممثلي جميع الأحزاب والفئات والعناصر الوطنية التقدمية دون استثناء: أي من الشيوعيين ومن الاشتراكيين على اختلاف تسمياتهم وكذلك من ممثلي الفئات التقدمية للبورجوازية الوطنية الذين لا يعادون الاشتراكية.

على انه في قطر معين مأخوذ لوحده، لا يمكن أن يكون هناك، فيما نعتقد، شكل واحد مقرر سلفاً ولا رجوع عنه لتوحيد القوى والاجاهات الداعية للاشتراكية. فان الوضع العام خلال تطوره، يمكن أن يتجاوز هذا الشكل أو ذاك ويضع على بساط البحث شكلاً آخر جديداً كان يبدو قبلاً غير ممكن أو غير ملائم.

فلا يمكن أن يقال سلفاً أن هذا الشكل المحدد بذاته، سواء كان الحزب الواحد أو الحركة الواحدة أو الجبهة الموحدة هو الشكل الملائم لهذا البلد أو ذاك ولا شكلَ غيره. فالأوضاع تتطور بسرعة، والمهم أن يكون شكل توحيد القوى التقدمية والاشتراكية مطابقاً للمعطيات الحقيقية الواقعية للوضع في هذا البلد أو ذاك خلال مرحلة معينة. فعلى هذا الأساس فقط يكون توحيد القوى قابلاً للحياة وحائزاً على مقومات الاستمرار والتطور.

ان أي شكل لتوحيد القوى التقدمية والداعية للاشتراكية لن يُكتَبَ له الحياة اذا سار في اتجاه يؤدي الى طمس الايديولوجية الاشتراكية العلمية والابتعاد عنها، اذا سار في اتجاه يعوق أو يعرقل الدور الموجه والقيادي للطبقة العاملة في المجتمع.

ان بروز الايديولوجية الاشتراكية العلمية في كل بلد، وانتشارها وتطورها الى ايديولوجية سائدة في المجتمع، هو ضرورة تاريخية، وما من قوة يمكن أن تحولَ دون ذلك. وقد خرجت هذه الضرورة من نطاق البحث النظري وبرهنتها الحياة نفسها خلال المئة عام التي انقضت منذ تأسيس الأممية الأولى وحتى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، بقيت هذه الايديولوجية محصورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة. وبعد ذلك تجاوزت هذا النطاق وانتشرت تقريباً في جميع البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة التي برزت فيها طبقة عاملة. أما بعد الحرب العالمية الثانية وبروز معسكر البلدان الاشتراكية، وتعاظم قوته، وخاصة قوة طليعته الاتحاد السوفياتي، فقد انتشرت الاشتراكية انتشاراً عظيماً وشملت جماهير جديدة غير بروليتارية، ودخلت حتى البلدان التي لم تتكون فيها بعد طبقة عاملة.

وثيقة رقم (٨)

في عام ١٩٦٥ كتب خالد بكداش مقالاً تحت عنوان : سورية على الطريق الجديدة ، وقد نشرته مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» في عددها الثالث الصادر في شهر آذار من ذلك العام . وفيما يلي نورد منه هذه المقتطفات :

أمام انتشار أفكار الاشتراكية بشكل واسع بين الجماهير الشعبية في أقطار آسيا وافريقيا، ومن جملتها الدول العربية، بتأثير اشعاع الاتحاد السوفياتي وسائر بلدان الأسرة الاشتراكية العالمية، وتحت وطأة شعور البورجوازية السورية الكبرى بعجزها أمام التيار الشعبي الصاعد وعدم ثقتها بالمستقبل، أخذ ممثلوها ينهجون نهجاً قتّالاً للاقتصاد السوري. فأولاً ــ أخذت البورجوازية الكبرى تسعى للتفاهم مع الاستعمار الجديد وتعمل لفتح المجال لتغلغله الاقتصادي بأمل التصدي لنهوض النضال الشعبي. ثانياً ــ تخلت عن أي توظيف جديد في المشاريع الموجودة ورفضت المساهمة في أي مشروع جديد،خصوصاً إذا كان لا يدر الربح الوفير العاجل. ثالثاً ــ عمدت إلى تهريب الأرباح والرساميل إلى خارج البلاد، واعادة الانتاج البسيط بواسطة القروض والاعتمادات التي تمنحها البنوك المؤممة.

وإذا كانت البورجوازية السورية الكبرى وعملاؤها لم ينجحوا في تحقيق القسم الأول من برنامجهم، بسبب مقاومة الشعب لكل محاولة لفتح المجال واسعاً أمام تغلغل الاستعمار في البلاد، وكذلك لتردد الدول الاستعمارية نفسها في توظيف رساميلها في سورية لعدم ثقتها بالتطورات المحتملة فيها، فإنهم نجحوا نجاحاً ملموساً في تحقيق القسمين الثاني والثالث من برنامجهم، فقد بلغت الرساميل المُهربة إلى الخارج حسب التصريحات الرسمية ــ ٨٠٠ ــ مليون ليرة سورية (أي ما يقارب مئتي مليون دولار) وهو مبلغ كبير بالنسبة لبلد صغير مثل سوريا. وقد أدى كل ذلك إلى ركود الانتاج الصناعي وكساد التجارة وانتشار البطالة. واضطر عشرات الألوف من السوريين إلى الهجرة إلى لبنان والكويت وغيرهما. وازداد العجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات كما تفاقم العجز في الموازنة العامة للدولة.

وهكذا في سبيل تأمين تطور الاقتصاد السوري لم يبق سوى مخرج واحد هو انتزاع مقاليد الانتاج الصناعي من أيدي البورجوازية الكبرى عن طريق التأميم. وقد أُممت في البداية شركات الغزل والنسيج الكبرى، وقد تم ذلك قبل أكثر من عام. ولكن هذا التدبير لم يكِف لحل المشكلة إذ بقي القطاع الخاص،رغم هذا،هو السائد في الصناعة. واستمرت المصاعب، بل واستفحلت. فإن كبار الرأسماليين في فروع الانتاج الأخرى،لخشيتهم من أن يصيروا إلى نفس المصير الذي آل إليه أرباب معامل النسيج، أمعنوا في تهريب رساميلهم إلى الخارج والاعتماد على القروض الممنوحة من بنوك الدولة.

فالتطور الموضوعي نفسه إذن أدى إلى عملية التأميم الواسعة التي تمت في مطلع عام ١٩٦٥ وبنتيجتها أصبح قطاع الدولة هو القطاع السائد في مجموع الانتاج الصناعي في سورية، وهو يشمل اليوم، وفقاً لبعض التقديرات التقريبية، ٧٠ بالمئة من الانتاج الصناعي السوري.

شملت عملية التأميم هذه (١١٤) مؤسسة صناعية، (٢١) منها أممت مئة بالمئة وانتقلت بكاملها إلى ملكية الدولة، و٢٨ منها أممت بنسبة ٩٠ بالمئة أي بقيت ١٠ بالمئة من قيمتها مُلكاً لأصحابها القدماء، أما بقية المؤسسات فقد أممت بنسبة ٧٥ بالمئة. وقد أعلنت الصحف الحكومية أن ١٠٦ من هذه الشركات المؤممة تستخدم ١٢ ألف عامل تقريباً ويبلغ مجموع رساميلها ٢٤٣,٣ مليون ليرة سورية، في حين أن مجموع القروض الممنوحة لها من بنوك الدولة يبلغ ٨٢ مليون ليرة سورية. وبين هذه الشركات المؤممة ٣٩ شركة يبلغ مجموع رساميلها ١٥١ مليون ليرة سورية.

وبين المؤسسات التي أممت تأميماً كاملاً خمسة معامل لصنع الاسمنت يبلغ مجموع رساميلها ٥٠,٧ مليون ل.س. ومعملان لتقطير السكر (مجموع رساميلهما ٢٤,٥ مليون ل.س). ومعملان لاستخراج الزيوت النباتية (مجموع رساميلهما ٨ ملايين ل.س) ومعمل لصبغ الأصواف رأسماله ٤ ملايين ليرة سورية، ومعمل الزجاج والبورسلين في دمشق ورأسماله ٨ ملايين ليرة سورية، ومعمل لانتاج البيرة في حلب ورأسماله ٣ ملايين ل.س، ومعمل الكبريت في دمشق ورأسماله ٢,٤ ملايين ل.س.

وينص مرسوم التأميم على أن الشركات المساهمة المؤممة تتحول أسهمها بقيمتها الاسمية إلى سندات على الدولة لمدة ١٥ سنة، بفائدة سنوية مقدارها ٣ بالمئة، ويمكن وضع هذه السندات في التداول. وينص مرسوم آخر على أن المساهمين الصغار الذين كانوا يعتمدون في معيشتهم على مداخيل أسهمهم قبل التأميم ستدفع لهم الدولة القيمة الاسمية لهذه الاسهم نقداً.

هذا وقد أعلنت مصادر مسؤولة أن ثمة عدداً قليلاً من المؤسسات الصغيرة شملها التأميم خطأ لأنها كانت قد أعطت بيانات مبالغاً فيها عن راسمالها وحجم انتاجها لكي تحصل على قروض واعتمادات أكبر من البنوك، وقالت هذه المصادر أن هذا الخطأ سوف يصلح وسوف تعاد هذه المؤسسات إلى أصحابها، وفعلاً أخذت تعاد إليهم وهو طبعاً تدبير صائب تماماً.

وينص مرسوم حكومي آخر على أن تدار المؤسسات المؤممة على طريقة التسيير الذاتي.

لننظر كيف يتمثل الوضع الاقتصادي في سورية بعد تدابير التأميم الأخيرة حتى في حالة نجاحها التام الكامل، وهو ما يتمناه ويعمل له دون ريب كل شيوعي وكل انسان تقدمي.

في الاحصاءات أن مجموع الانتاج الصناعي في البلاد يؤلف فقط ١٤ بالمئة من الدخل القومي (وهو في مصر يؤلف ٢٢ بالمئة من الدخل القومي). وبعد التأميم الواسع الأخير، أصبح التطور السائد في الصناعة هو التطور اللارأسمالي الذي يؤدي إلى اتساع صفوف الطبقة العاملة ونموها، ولكنه، وإن كان لا يؤدي إلى نمو طبقة البورجوازية وتقويتها، فهو قد يؤدي، إذا لم تتخذ التدابير اللازمة، غلى عرقلة عملية تطور عناصر الاشتراكية ومقوماتها، والحؤول دون نشر الديموقراطية في البلاد، والاحتفاظ بأشكال رأسمالية الدولة وابعاد الشعب عن الاسهام في ادارة الاقتصاد الوطني وقيادته، وكل هذا بدوره يمكن أن يؤدي إلى تكوين وتقوية بورجوازية بيروقراطية يمكن أن تتكون لها، في ظروف معينة عن طريق استغلال قطاع الدولة، امتيازات الطبقة البورجوازية وإن هي لم ترث ملكيتها.

ولكن إذا استطاع الشعب السوري بفضل وعيه ويقظته ونضاله الدائب أن يتلافى هذا الخطر، وهو شيء ممكن تماماً، فإن اللوحة العامة للانتاج الصناعي تصبح مع ذلك كما يلي: قطاع سائد مسيطر يتطور في الطريق غير الرأسمالي، وقطاع رأسمالي خاص يتكون من صغار الصناعيين وصغار المنتجين وهو قطاع لابد أن يبقى مدة طويلة.

وثيقة رقم (٩)

في يوم الاربعاء الواقع في ٢٨ شباط ١٩٦٨ ألقى خالد بكداش خطاباً في اللقاء الاستشاري للأحزاب الشيوعية والعمالية في بودابست ننقل منه المقطعين التاليين :

الدفاع الكاذب عن النفس كان شعاراً للعدوان الاسرائيلي الغادر

لقد هيأ حكام اسرائيل للعدوان الذي كانوا ينظمونه بحملة عالمية كبرى تُظهر اسرائيل بمظهر المُهدَّد وجودُها بالخطر، وبمظهر المدافعة عن وجودها كدولة «ديموقراطية مسالمة» محاطة بدول «متخلِّفة شوفينية» تريد إبادة اليهود. وساعدت الحركة الصهيونية العالمية حكام اسرائيل في حملة الدعاية هذه. كما أن الدعاية الاستعمارية الاميركية الانكليزية والالمانية الغربية ساهمت في نشر هذه الحملة وتوسيعها.

وبالمقابل رأينا أن الأوساط القومية التقدمية الحاكمة في سورية ومصر وغيرها، والتي علمت أن اسرائيل تهيىء عدواناً عليها، أخذت تتهيأ للدفاع ضد هذا العدوان تحت شعارات متطرفة، أمكن تفسير بعضها، بأنها تدعو إلى تحويل النزاع المسلح إلى معركة لمحو اسرائيل كدولة. وقد استغلت الأوساط الصهيونية والاستعمارية هذه التصريحات غير المسؤولة لتغذية دعايتها حول مزاعمها بأنها تدافع عن نفسها. وهكذا أصبح الوضع من الناحية الخارجية غير مفهوم لدى الرأي العام الشعبي العالمي. فالمعتدي الذي يتهيأ للعدوان يرفع شعار الدفاع عن وجوده. والمعتدى عليه الذي يتهيأ للدفاع عن أرضه، وكأنه إنما يستعد للهجوم. طبعاً لم تؤخذ الحركة الشيوعية العالمية بهذه المظاهر الخارجية لأنه اتضح لها منذ اللحظة الأولى أن الاستعمار الاميركي يدعم اسرائيل ضد البلدان العربية. وهكذا وقفت الاكثرية الساحقة للأحزاب الشيوعية مع الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي، وكان للموقف الحازم الذي اتخذه الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى أثر حاسم في وقف امتداد الغزو الصهيوني للاراضي العربية وفي اجبار اسرائيل على الخضوع لقرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار.

ولكن الحركة الشيوعية العالمية في دعمها للشعوب العربية ضد العدوان، اضطرت في أكثر الأحيان لأن تتخذ موقف دفاع تجاه حملة الدعاية الصهيونية الواسعة التي خدعت عدداً كبيراً من الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية أيضاً وجرّتها معها. لقد حدثنا الرفاق الفرنسيون والطليان عندما زاروا سورية بدعوة من حزب البعث الحاكم، عن المصاعب الكبرى التي واجهوها في حملة الدعم للشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي رغم قوة الحزبين الشيوعيين في فرنسا وايطاليا.

ميكونيس صهيوني وموقف الوفد الروماني منه غير مفهوم

واقتراح الرفاق الرومان الذي يطالب بدعوة جماعة ميكونيس في اسرائيل الى الاجتماع العالمي، لا ندري كيف نفسره نحن الشيوعيين السوريين، ونعتقد أن أشقاءنا العرب يشاطروننا ذلك.

إن المدعو ميكونيس لا يصح أن يطلق عليه اسم شيوعي، انه صهيوني، وهو يخدم في سلوكه وفي نشاطه، ليس مصلحة الصهيونية العالمية فقط، بل ومصلحة الاستعمار الاميركي.

لقد أيد العدوان الاستعماري الاسرائيلي على الشعوب العربية، ودعا ويدعو للاحتفاظ بالاراضي العربية التي احتلها القوات الاسرائيلية، ويؤيد شعار اسرائيل الكبرى. وقد شن خلال العدوان حملة قذرة ضد الاتحاد السوفياتي وضد حركة التحرر العربية. وكان زميله المدهو سنيه قائداً للعصابة الصهيونية المسماة هاغانا، وساهم في قتل المئات من السكان العرب الآمنين، بمن فيهم النساء والأطفال.

إننا فعلاً لا نستطيع فهم هذا الموقف من رفاقنا الرومان، وخاصة إذا ربطناه بموقفهم العام من العدوان الاسرائيلي الاستعماري. فقد رفضوا تسمية الهجوم الاسرائيلي بأنه عدوان، ورفضوا إدانته، ورفضوا المساهمة بأي تدبير ضد اسرائيل، وهكذا لم يخرجوا فقط على اجماع الحركة الشيوعية العالمية، بما فيها، تقريباً، حتى جميع الأحزاب التي لم تحضر اجتماعنا الاستشاري هذا، بل خالفوا كذلك بموقفهم الغريب، أوساطاً سياسية وطنية وديموقراطية بعيدة جداً عن الشيوعية.

وثيقة رقم (١٠)

بعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري في أواسط أيلول ١٩٦٨ مذكرة إلى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي حول وجهة نظرها في الأوضاع التي تعيشها البلاد من جميع الجهات وفي الحلول المقترحة . وفيما يلي نص هذه المذكرة :

القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ؛

تحيات أخوية ؛

إننا نعتقد بأن المؤتمر العاشر لحزبكم وشيك الانعقاد . ونظراً لأن هذا المؤتمر يرتدي أهمية خاصة في الظرف الراهن ، ولأنه لا يمكن النظر إليه كحدث حزبي داخلي خاص ذلك بحكم المركز الذي يشغله حزبكم والمسؤولية التي يحملها بصفته تلك،السلطة الفعلية في البلاد ، وانطلاقاً من حرصنا على توطيد الوضع والمحافظة على النهج الوطني التقدمي الحالي ، وتطويره وتعميقه ولف أوسع الجماهير حوله ومتابعة السير بالبلاد في طريق التقدم الاجتماعي نحو آفاق الاشتراكية ، فقد رأينا من واجبنا ومن حقنا ، أن نتوجه إليكم ببعض آرائنا حول المرحلة التي تجتازها بلادنا ، وحول بعض المهمات التي تطرحها هذه المرحلة آملين أن تكون موضع اهتمامكم وأن يستفاد منها في الأعمال القادمة .

مامن شك في أن الظروف التي تحيط ببلادنا شديدة الخطورة . فآثار النكسة ما تزال قائمة ، والعدوان الإسرائيلي ما يزال مستمراً ، وينوء إخوان لنا من أبناء وطننا ومن الأقطار العربية الشقيقة تحت نير الاحتلال،متعرضين للاضطهاد والتقتيل والتشريد ، وقد ارتدت الاعتداءات الإسرائيلية على البلدان العربية المجاورة طابعاً خطيراً،الأمر الذي يهدد باحتمال حدوث اصطدام واسع قد يتحول إلى حرب كبيرة .

كذلك تستمر الإمبريالية العالمية ، والإمبريالية الأمريكية على الخصوص،في تقديم مساعداتها لإسرائيل فتمدها بالسلاح وتساندها في تجاهل قرارات الهيئات الدولية وتحدي الرأي العام العالمي ، مما يجعل الاصطدام أمراً لا مفر منه تقريباً .

وكذلك تستمر الأوساط الرجعية العربية والداخلية في أعمالها التخريبية وتصر على القيام بالمؤامرة تلو المؤامرة ضد سوريا .

وتبتغي جملة هذا النشاط المعادي تحقيق أهداف كثيرة أبرزها :

– استدراج القوات المسلحة العربية إلى معركة كبرى وتوجيه ضربة إليها قبل أن تستكمل رفع قدرتها القتالية إلى المستوى الواجب ، واستيعاب كل ما تجمع لديها من وسائل التكنيك الحديث .

– تحقيق أهداف توسعية جديدة في مصلحة إسرائيل على حساب الأردن وسوريا وغيرها .

– وإجبار الأردن على الدخول في مفاوضات منفردة والاستسلام للغزاة الإسرائيليين لضرب الوحدة العربية .

– تحقيق مالم يتمكن عدوان إسرائيل من تحقيقه . أي ضرب الأنظمة التقدمية،خصوصاً في الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة،وإقامة أنظمة حكم رجعية في مختلف البلدان العربية،وحل القضية الفلسطينية نهائياً،في مصلحة الاستعمار والصهيونية .

وبكلمة أخرى فإن الاستعمار يطمح ، استناداً إلى إسرائيل ، إلى توجيه ضربة قاضية لحركة التحرر الوطني العربية وضرب الاتجاهات الاجتماعية التي أخذت تسودها وحماية الاحتكارات

البترولية واستعادة مواقعه المفقودة في العالم العربي وإخضاعه لمصالح الشركات الاحتكارية وجعله نقطة استناد له في استراتيجيته العامة .

ويستغل الأعداء ، من أجل تحقيق أهدافهم الإجرامية هذه،كل إمكانية مهما ضؤلت،وكل ثغرة في أي صف كان .

من البديهي أن يكون في رأس المهمات الملحة المطروحة أمام البلاد تجاه الأخطار المحيقة بها مهمة التصدي لكل عدوان إسرائيلي استعماري جديد والعمل لإزالة آثار العدوان السابق وتحرير الأراضي العربية المحتلة وإرغام العدو على الانسحاب إلى النقاط التي انطلق منها صبيحة عدوان الخامس من حزيران .

إن هذه المهمة في مصلحة الشعوب العربية . والتقدم ينبغي أن يكون برأينا الموضوع الأساسي لعمل كل قوة وطنية وتقدمية .

ولكن مما لا شك فيه أنه من الخطأ الفاضح مقارنة هذه المهمة بالمهمات الأخرى ، مهمات التنمية وتصنيع البلاد وتحرير الاقتصاد من التبعية الاستعمارية . فمن الواضح أن حل المهمات الأساسية المقررة سابقاً بالانطلاق من الظروف الجديدة هو عنصر فعال لا يمكن الاستغناء عنه في حل هذه المهمة . وأننا بالاستناد إلى ذلك رأينا أن نعرض عليكم بعض القضايا التي نعتقد أن حلها يساهم مساهمة فعالة في إنجاز المهمة الرئيسية الموضوعة أمام البلاد .

أولاً – ينبغي برأينا متابعة العمل بالسرعة القصوى الممكنة لرفع القدرة الدفاعية للبلاد من جميع النواحي ، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وهذا يقتضي كما نعتقد :

أ – تشديد العناية بالجيش وتقوية الروح الوطنية والشعبية فيه وإعداده الإعداد المطلوب بالاستفادة من نواقص الماضي وضرورات المعارك القادمة وتحسين التدريب ، والاستفادة من كل الكفاءات الوطنية والتقدمية المخلصة ووضعها في المكان المناسب ورفع الانضباط إلى المستوى اللازم والاهتمام بالمثل والقدوة على مختلف المستويات وجعل العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين علاقات ودية وتقوية الصلات بينهم .

إن الاهتمام بجميع هذه الجوانب هو من الأمور الأساسية التي تحتاج إلى حدب دائم ومتابعة واستمرار ، وسيكون لها آثارها في رفع المعنويات وتثبيت الثقة بالنصر على العدو .

ب – زيادة الاهتمام بالجيش الشعبي وإفساح المجال أمام كل وطني تقدمي كي يساهم فيه ، وجعله قوة فعالة في المعركة القاسية ضد الإمبريالية والصهيونية .

ج – تمتين الروابط القائمة بين الشعب والجيش واتخاذ كل ما ينبغي لجعل هذه الروابط قوية بصورة تتناسب مع متطلبات الظروف الحالية .

إن مسألة الثقة المتبادلة فيما بين الشعب وجيشه هي إحدى أهم المسائل المتعلقة برفع القدرة الدفاعية للبلاد .

د – الاهتمام الجدي بمسائل الدفاع المدني ، وهذا لا يعني الاقتصار على تحديد الملاجىء والأقبية بل يعني أيضاً إعدادها بشكل كاف ، وإجراء المناورات والتمارين وتدريب الأهلين والمارة ، وإعارة الانتباه لتنظيم عمليات التموين والإسعاف . ويمكن للجان الدفاع عن الوطن ، التي تجمدت أعمالها مؤخراً . أن تلعب دوراً رئيسياً في هذا المجال .

هـ – العمل ، في شتى المجالات ، لجعل دمشق ، العاصمة ، قلعة حصينة ، والاهتمام بالمناطق الواقعة في خط الدفاع الأول بتقوية وسائل الدفاع عنها ، وتحقيق المطالب الحيوية لجماهيرها الكادحة وإجراء إصلاحات جذرية فيها تساعد على رفع مستواها المعاشي والمعنوي .

إن مثل هذا الموضوع تطرحه الحياة بصورة ملحة،والتعجيل به يساعد على شل مخططات الأعداء ، ويخلق المناخ اللازم كي يقوم الجيش بسائر عمليات الدفاع على نحو أحسن ، وفي جو شعبي مناسب له .

ثانياً ـ ضمان استمرار النهج الوطني التقدمي في البلاد ، وصيانته وتوطيد مواقعه ، وإحباط جميع محاولات الأعداء هذه ، وذلك :

١ ـ بتحديد فترة ، تكون أقصر ما يمكن ، لإنهاء المرحلة الانتقالية ، ومباشرة العمل بجد من أجل وضع دستور دائم يكرس المنجزات الشعبية ، ويثبت التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، ويؤكد على مطامح الجماهير الشعبية في السير بالبلاد نحو الاشتراكية .

إن وضعاً دستورياً يعتمد الديمقراطية الشعبية ويستند إلى جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع الكادحين بأيديهم وأدمغتهم ، وإلى القوى والعناصر السياسية الممثلة لها ، سيكون مرحلة في تاريخ البلاد وسيقوي مواقع الحكم الوطني التقدمي ، ويمكنه من مواجهة الاستعمار والصهيونية والرجعية بصف شعبي موحد لا يمكن اختراقه .

وأننا نرى أن تشكيل مجلس وطني مؤقت (ذي صفة استشارية) والسير في طريق تطبيق نظام الحكم المحلي سيؤلفان خطوة هامة في هذا السبيل .

٢ ـ بتوسيع الحريات الديمقراطية للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع الفئات الوطنية التقدمية وكذلك للقوى والعناصر السياسية الممثلة لهذه الطبقات والفئات . فالتضييق على الحرية والحرمان منها ينبغي ، برأينا ، أن يقتصر على أعداء الوطن والمتآمرين عليه ، وعلى أولئك الذين يعملون ضد النهج الوطني التقدمي وللقضاء على التحولات الاقتصادية والاجتماعية .

وإننا نرى أن فسح المجال للتعبير عن الرأي للقوى التقدمية الأخرى ، عن طريق النشر ، يساعد على تجنيد الرأي العام حول الأهداف التقدمية ويساعد على تلافي النواقص وإزالة الأخطاء .

٣ ـ إننا ، دون تحفظ ، من أنصار محاكمة وإدانة كل متآمر على سلامة الوطن والنهج الوطني التقدمي للبلاد ، واستخدام أشد الحزم ضده . ولكننا نرى ، في الوقت ذاته ، وبالانطلاق من مصلحة توطيد الأوضاع وحل المهمات الكبرى التي تواجه البلاد ، أن يعاد النظر ، رغم جميع الملابسات ، بالموقف من بعض المعتقلين خصوصاً المعروفين بماضيهم الوطني التقدمي ، والعمل للإفراج عنهم في أسرع وقت ممكن . وأننا لعلى ثقة بأن مثل هذه الخطوة ستؤثر في إيجاد المناخ الملائم لإعادة تجميع كافة القوى الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية وضد غلاة الرجعية .

٤ ـ بإقامة تعاون واسع حقيقي فعال يشمل جميع القوى والعناصر الوطنية التقدمية في البلاد ، ولا يهمل أية إمكانية . إن مثل هذا التعاون ضرورة موضوعية تفرضها المرحلة الحالية الداخلية والعربية ، وهو لا يعني أي مساس بالدور الذي يطلع به حزب البعث العربي الاشتراكي بل يعني مساعدته على أن يلعب هذا الدور بصورة أفضل وعلى نحو يمكنه من تلافي الصدامات التي لا مبرر لها مع الوطنيين والتقدميين الآخرين ، ومن تجميع كل القوى المساهمة بنشاط وحماس في مجابهة القضايا الموضوعة أمام البلاد .

ومن الواضح أن هذا التعاون يمكن أن يتم على صورة جبهة وطنية تقدمية أو بأي شكل آخر مناسب . إن إقامة مثل هذا التعاون سيكون له آثار إيجابية كبرى على النطاقين الداخلي والعربي معاً . وإن التغاضي عن ذلك لن يكون في مصلحة الوضع . ولا يصح أن ننسى أن هذا مطلب شعبي واسع ، وأن أوساطاً بعثية ممن عرفت بمواقفها السابقة ضده أخذت تقول به في صيغته الجبهوية الواضحة الأمر الذي لا يمكن تجاهل أثره .

طبعاً هناك منظمات جماهيرية عديدة كالنقابات والاتحادات النقابية ، واتحادات الفلاحين ولجان الدفاع عن الوطن وغيرها وغيرها ، ويتحسن ، رغم كل شيء ، التعاون الذي يجري في إطار هذه المنظمات أو بعضها ، فيما بين البعث وممثلي القوى والعناصر التقدمية الأخرى . ويمكن لهذا التعاون أن يرتفع إلى مستويات أرفع ، وأن يتبع بحث يشمل أوساطاً أوسع فيما إذا نظر إلى هذه المنظمات على أنها جماهيرية لا حزبية وأنها ينبغي أن تكون لجميع المخلصين ، كما يمكن لهذا التعاون أن يتسع إذا أطلقت مبادرات بعض هذه المنظمات كلجان الدفاع مثلاً ، ولكن رغم ذلك كله نقول

مخلصين أن هذه الأشكال للتعاون لا يمكن أن تستنفد كل الأشكال الأخرى ، وهي لا تغني عن إيجاد شكل أعلى من التعاون يستطيع فيما إذا تحقق على أسس محددة ، أن يساهم في تحسين العمل كله بما في ذلك عمل هذه المنظمات الجماهيرية الشعبية .

إننا نعتقد أيضاً أن لتطور الوضع الاقتصادي في البلاد انعكاساته الكبرى وبالدرجة الأولى على حل المهمة الأساسية المطروحة أمامنا في هذا الظرف العصيب . وبمقدار ما تقوى مواقع البلاد الاقتصادية بمقدار ما تزداد قدرتها على الدفاع وأحراز النصر على العدو . ولهذا فإننا نؤكد مرة أخرى اعتقادنا بسلامة السياسة الرامية إلى تنفيذ المشاريع الكبرى الأساسية ، وتطوير الوضع الاقتصادي كما نرى في الوقت ذاته ضرورة اتباع مايلي :

١ ـ الاستمرار في العمل من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادي والسعي خلافاً للنظريات القائلة بسياسة التوازن التي تحمل أخطاراً جدية وانطلاقاً من المصالح الوطنية بالدرجة الأولى ، لتحرير اقتصادنا من تأثير الرأسمال العالمي الاحتكاري ، وتوطيد علاقاتنا الاقتصادية بالسوق الاشتراكية وإقامتها على أسس ثابتة وقوية ووطيدة .

٢ ـ زيادة الاهتمام بالقطاع العام وتحسين إدارة المؤسسات المؤممة والمشاريع التي يتم تشييدها ومقاومة الإسراف والتبذير والتصدي لأعمال التخريب والإهمال فيها ، واعتماد التخطيط العلمي في كل نشاطها وتطهير الأجهزة من العناصر الرجعية المتفسخة وتعديل القوانين التي وضعتها البرجوازية لحمايتها بشكل يجعل هذه القوانين تنسجم مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة .

كذلك إيجاد صلات واسعة بين هذا القطاع وبين جماهير المستهليكن مباشرة وعن طريق صغار التجار ومتوسطيهم والتخلص من كبار الوسطاء الذين يشغلون هذا القطاع لزيادة إثرائهم . وكذلك إحداث فروع لمؤسسة سيمكس في المدن والمراكز الكبرى .

٣ ـ الانتهاء بأسرع وقت ممكن وبالاعتماد على جماهير الفلاحين أصحاب المصلحة في تنفيذ الإصلاح الزراعي والسير بحزم في طريق بناء مزارع ومؤسسات زراعية حكومية نموذجية وتشجيع الحركة التعاونية على اختلاف درجاتها في الزراعة .

٤ ـ الاهتمام بمصالح صغار المنتجين وبمطالب الجماهير الشعبية الكادحة،والسعي لتحسين أحوال الجماهير بالقدر الممكن في إطار الظروف الحالية .

٥ ـ اتباع سياسة مالية صحيحة مستندة إلى متطلبات الظروف ، واعتماد أسلوب التوفير الدقيق واستخدام جميع المواردفي أفضل السبل .

تقوم منذ فترة علاقات تعاون فيما بيننا نحن الشيوعيين السوريين وبينكم . ومن الملاحظ أن هذه العلاقة تطورت إلى الأمام رغم كل التعرجات .

وان مراجعة لهذه العلاقات تبين أننا نحن الشيوعيين بذلنا الكثير في سبيل توطيد الوضع في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والدفاعيةأيضاً . وقد كان بالامكان أن تكون مساهمتنا أكبر في هذا الاتجاه لو توفرت لذلك الظروف . فالتضييق علينا ما زال مستمراً والتعاون معنا ما يزال محدوداً .

ان تسريحات تتم للعديد من اصدقائنا واخواننا على اساس سياسي بحت ، ولم يقبل عدد من الشيوعيين في وظائف الدولة رغم حيازتهم على كافة المؤهلات كما حدث في معهد التخطيط ووزارة التربية وفي المسابقة التي نظمت من قبل مجلس الوزراء ، ولاتزال دوائر الأمن السياسي تحاول باستمرار الضغط على عناصر شيوعية بسيطة لشرائها للعمل ضد الحزب الشيوعي ... كما تشجع بعض التيارات المعادية للحزب الشيوعي .

كذلك يحال بعض اخواننا الى المحاكم بتهمة الانتماء الى منظمة سرية ويوقف البعض لمدد

طويلة ويضربون أحياناً ، عدا عن اتجاه التضييق الذي يلاحظ في نشاط اتحاد الطلاب والنساء وفي اتحاد الفلاحين أيضاً .

كذلك اعترض على وجود ممثلين عن الحزب الشيوعي السوري في مؤتمر حوض البحر الابيض المتوسط في روما رغم اضعاف ذلك لمركز سورية بالذات . إننا لا ننفي أن عدداً من إخواننا يحتلون مراكز مسؤولة كما أن بعضهم أعيد إلى عمله ، ولكن ذلك لا ينفي أن رواسب من الماضي ماتزال موجودة مما يدفع بنا مخلصين للتذكير بأن اتجاه العداء للشيوعية مايزال يفعل فعله لدى البعض وهو يحمل في طياته أخطاراً قد تستفحل فتلحق الضرر بالوضع وبالبلاد .

إننا ندرك وإنكم تعلمون كما نعلم بأن مكافحة الشيوعية هي الراية السوداء التي تسير تحتها جميع مؤامرات الإمبريالية والصهيونية والرجعية ضد حركات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي .

إننا من جهتنا نود أن تزول جميع العوائق التي تعرقل توسيع تعاوننا على أسس مبدئية صحيحة ، وإننا مستعدون كما في الماضي لبذل كل ما يتعلق بنا في هذا المجال .

إن طابع المعركة التي نخوضها ، بالإضافة إلى كل العناصر الأخرى ، يضع أمام البلاد مهمة تقوية التضامن العربي في جميع المجالات وخصوصاً بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية وغيرها من البلدان التقدمية .

ومن الواضح أن مفهوم التضامن ينبغي النظر إليه من زاوية الظروف الجديدة ، وعلى نحو أرقى من أي وقت مضى ، وهو يقتضي :

١ ـ إيجاد تنسيق كامل سياسي واقتصادي وعسكري خصوصاً بين مصر وسوريا .

٢ ـ الاستفادة من جميع الإمكانيات المتوفرة في النضال ضد الاستعمار والصهيونية ومن أجل مواجهة كل عدوان ولإزالة آثار عدوان حزيران بأسرع وقت ممكن .

٣ ـ إيجاد تنسيق عسكري كامل وتأمين كل ما ينبغي في هذا السبيل حتى إيجاد قيادة عسكرية موحدة ، وذلك لمواجهة الاحتمالات الممكنة ، خصوصاً بالنسبة للبلدان العربية التي تواجه المعتدين وفي مقدمتها مصر وسوريا والأردن والعراق .

متابعة النهج الوطني المعادي للاستعمار والإمبريالية والصهيونية العالمية ، وتوطيد العلاقات وتوسيعها ، في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، مع بلدان الاشتراكية وخصوصاً مع قوتها الأساسية ... الاتحاد السوفييتي الذي أثبتت تجارب الحياة المتعلقة بنا وبغيرنا من البلدان القريبة والبعيدة أنه الصديق الصادق ، والحصن المتين والسند القوي لنضال الشعوب من أجل حريتها واستغلالها وتطورها ، وكذلك توطيد وتعزيز العلاقات مع سائر قوى الحرية والتقدم في شتى أنحاء العالم .

أيها الأصدقاء الأعزاء :

نحن لا ننفي أن جزءاً هاماً مما أتينا على ذكره قد بوشر به ، وأنه يسير سيراً حسناً ، ولكننا ، من جهة ثانية ، نرى أن حلقات رئيسية في الوضع العام وخاصة في الوضع السياسي الداخلي لا تزال تشوبها نواقض جدية ، تهدد فيما إذا استمرت مجمل الوضع القائم .

لقد أشرنا إلى هذه القضايا الأساسية سواء في مقابلات مع أخوان لكم أو في صحافتنا . ولا شك أنكم تقدرون بأن الباعث على التأكيد عليها في رسائلنا هذه هو الحرص على استمرار الوضع وتوطيد النهج التقدمي وتعميقه وتوسيعه ، ومتابعة السير في طريق الاستقلال والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والوحدة العربية الصحيحة ونحو الاشتراكية .

إننا نتمنى لكم مزيداً من النجاح في النضال ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية وفي سبيل التقدم !

مع أخلص تحياتنا الرفاقية .　　　　　　　　١٨ أيلول ١٩٦٨

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري

وثيقة رقم (١١)

حول تدقيقات المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية لموضوعات الماركسية اللينينة ومواقفها المبدئية فيما يتصل بحركة التحرر الوطني يتحدث خالد بكداش عن قضية امكانية تجنب المرحلة الرأسمالية في تطور البلدان المتحررة حديثاً ، ويتناول في هذا المجال الوضع في سورية ..

وفي ما يلي مقطعاً من المحاضرة التي ألقاها في ٢٥ آذار ١٩٦٩ في الدورة العلمية العالمية التي أقيمت في موسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الأممية الشيوعية :

لقد تكلم لينين، كما قدمنا، عن امكانية تجنب مرحلة الرأسمالية،ولكنه لم يستعمل تعبير « طريق التطور اللارأسمالي » الذي يستعمله بعض الرفاق فيما يتعلق بالطرق الذي تسير عليه بعض البلدان المتحررة حديثاً.

وقد استعملنا نحن في سورية أيضاً هذا التعبير،عند الكلام عن بلداننا وعن بعض البلدان العربية الاخرى. ولكن ذلك لاينفي ان التجربة العملية، في هذه البلدان نفسها، بينت ان تعبير « التطور اللارأسمالي » هذا، يجب أن لايترك مجالاً للارتباك والبلبلة فيما يتصل بالعلاقة بين طبيعة الحكم القائم وبين عملية السير نحو الاشتراكية. ذلك لأن بعض المؤلفين يقولون هكذا: البلدان التي اختارت « طريق التطور اللارأسمالي »، ثم يضعون فاصلة (،) ويضيفون « الاتجاه الاشتراكي »، أو حتى « الطريق الاشتراكي »، وهذا يمكن تفسيره بأنه يعني ان هذه البلدان أصبحت تسير في طريق التطور الاشتراكي. بل يمكن تفسير الأمر بأن بعض المؤلفين عندما يقولون « الطريق اللارأسمالي للتطور »، انما يعنون في الواقع « الطريق الاشتراكي للتطور » وان كانوا لايعلنون ذلك صراحة لكيلا يقال عنهم بأنهم صاروا يعتقدون بامكان بناء الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة وبدون تعاليم الماركسية – اللينينية. على كل حال، ان مثل هذا المفهوم الذي يمكن أن يستخلص من تعبير « طريق التطور اللارأسمالي » لاينطبق على الواقع فيما يتعلق بهذه البلدان. لنأخذ بلادنا سورية مثلاً: لقد تمت فيها تدابير تقدمية هامة وتحولات عميقة. فالاصلاح الزراعي هو أكثر جذرية من أي اصلاح زراعي آخر في المنطقة، وان لم يكن جذرياً تماماً،لأنه لايقتلع بقايا الاقطاعية من جذورها،ولايمس ملكية عدد كبير جداً من كبار الملاكين. كذلك جرى تأميم المشاريع والمعامل الصناعية العائدة للبورجوازية الكبرى تأميماً كلياً أو جزئياً، كما أُخضِع القسم الأعظم من التجارة الخارجية للدولة مباشرة. وبقي قسم هام من الصناعة المتوسطة والصغيرة، وكذلك من التجارة الداخلية، في يد الرأسمال الخاص، كذلك الأمر فيما يتعلق بالبناء والتعهدات وقسم من التجارة الخارجية نفسها.

صحيح ان قطاع الدولة في الصناعة ينمو بسرعة، خصوصاً بفضل المشاريع الكبرى التي تُبنى بمعونة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، ونسبة نمو قطاع الدولة في الصناعة أكبر وأسرع من نسبة النمو في الانتاج الصناعي الذي بقي في يد الرأسمال الخاص.

ولكن لأجل اعطاء وصف صحيح للتطور الجاري في البلاد ينبغي ملاحظة قضيتين أولاً: السمة الراجحة لعلاقات الانتاج في البلاد. ثانياً: طبيعة الحكم.

ففي الزراعة التي تؤلف القطاع الأكبر من الاقتصاد الوطني تسود علاقات الانتاج الرأسمالية سيادة تامة كاملة، بل ان الاصلاح الزراعي (في سورية كما في مصر) أدى إلى تعجيل وتقوية تطور الرأسمالية في الريف.

أما الصناعة لاتؤلف بمجموعها (أي بقطاعيها المؤمم والخاص) حسب الاحصاءات الرسمية أكثر من ١٤ بالمئة من مجموع الدخل القومي. ففي القطاع الخاص يسود التطور الرأسمالي تماماً طبعاً، أما في انتاج القطاع العام فكذلك تعمل قوانين الرأسمالية، وفي رأسها قانون القيمة... الخ. وليس الأمر على خلاف ذلك في قطاع التجارة بطبيعة الحال، أما العلاقات الاقتصادية وعلاقات التبادل مع الخارج فهي تتسع مع المعسكر الاشتراكي، ولكنها لاتزال أوسع، مع السوق الرأسمالية العالمية.

ففي مثل هذا الوضع، هل يمكن أن يؤدي تعبير « طريق التطور اللارأسمالي »، (فاصلة) « الاتجاه الاشتراكي »، إلى اعطاء فكرة واضحة تماماً عن طبيعة التطور الجاري في البلاد ؟ صحيح ان القطاع العام، أو قطاع الدولة، في الصناعة، لايولد، خلال عمله وتطوره، برجوازية كبرى جديدة. هذا واضح وهو شيء هام. ولكن من الواضح أيضاً أن مصير قطاع الدولة يتقرر في النهاية حسب تطور طبيعة الحكم في البلاد. فإما أن يتحول إلى قطاع اشتراكي، عندما يصبح الدور القيادي للطبقة العاملة، واما أن يتحول إلى قطاع من رأسمالية الدولة في الأحوال الاخرى. وطبعاً حتى رأسمالية الدولة يمكن أن تلعب دوراً تقدمياً في ظروف البلدان المتحررة حديثاً وينبغي عندئذ تأييدها. كما انها يمكن أن تلعب دوراً أخر، وكل ذلك يتعلق هو ايضاً بتطور طبيعة الحكم في هذه البلدان.

طبعاً ان التحولات التي جرت في سورية تقدمية، والحزب الشيوعي السوري يؤيدها بكل قوة. ولكن حزبنا يسمي الاتجاه الذي تسير فيه البلاد «اتجاهاً وطنياً تقدمياً»، ويسمي الحكم «حكماً وطنياً تقدمياً»، ويتجنب كل تعبير أخر يمكن أن يؤدي الى نشر الوهم بان التطور الجاري هو تطور اشتراكي، وبالتالي بان من الممكن بناء الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة، وبدون تطبيق تعاليم الماركسية ـ اللينينية.

يقول بعض الرفاق من أنصار تعبير «التطور اللارأسمالي، انهم يعنون به مثلاً بعض البلدان الافريقية التي لم تدخل مرحلة الرأسمالية، بل كانت في مرحلة العلاقات الاقطاعية أو البطريركية، وتحاول الان تجنب مرحلة الرأسمالية ويقول أخرون إن المسألة تاكتيكية فقط، مراعاة لمشاعر حكام بعض هذه البلدان وهم من الوطنيين والتقدميين... الخ....

أي، بكلمة، يراد، بأي ثمن، المحافظة على هذا التعبير الذي بينت التجربة أنه لايصلح تماماً لتصوير الاوضاع الواقعية الملموسة في البلدان المتحررة حديثاً التي سارت في طريق التقدم الاجتماعي.

نحن من جهتنا نفضل التعبير الذي جاء في نداءات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في اول ايار عام ١٩٦٨ والتي جاء فيها «تحية الى البلدان المتحررة حديثاً التي اختارت طريقاً تقدمياً في تطورها الاجتماعي».

ان تقدير حزبنا للمرحلة التي تجتازها بلادنا هو بان امامها انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ضد الاستعمار والاقطاعية، والسير بها الى نهايتها، ودعم التأميم الذي جرى، والنضال في الوقت نفسه، لتأمين جميع الشروط، لتأمين جميع المقدمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (بما فيها طبعا وفي الدرجة الاولى مايتعلق بالحكم وطبيعته)، الضرورية، اللازمة للسير في طريق التطور الاشتراكي، لبناء الاشتراكية.

وثيقة رقم (١٢)

تعتبر كلمة خالد بكداش في المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري في تشرين الثاني ١٩٧١ من الوثائق الهامة التي يمكن الرجوع إليها بشأن الأزمة التي نشأت في الحزب في تلك الآونة ، ومن هذه الكلمة انتقينا هذه المقاطع :

حول المرحلة التي تجتازها سوريا

قال كثير من الرفاق هنا أنهم موافقون على الآراء والملاحظات فيما يتصل بالمرحلة التي تجتازها سورية، فيما يتصل بتطورها الاقتصادي والاجتماعي وآفاقه.

هذا طبيعي شيء حسن. غير ان علينا أن نذكر بوجه خاص نصيحة ترددت كثيراً وهي تقول بأن من الضروري لحزبنا أن يتمركز على المهمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تجابهها سورية وأن ينطلق في تقييم جميع القضايا الاخرى من هذه المهمات بالذات.

انها نصيحة ثمينة وينبغي لنا أن نأخذ بها في نشاطنا.

قبل كل شيء، كان من أثمن الأشياء التي اتضحت من خلال الآراء والملاحظات: معنى طريق التطور اللارأسمالي وشروطه وأهدافه وآفاقه ! أكرر: شروطه وأهدافه وآفاقه !

أنا من جهتي، كما هو معروف، أعلنت في ندوة عالمية انعقدت في موسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لثورة أكتوبر اني لم أكن موافقاً على تعبير طريق التطور اللارأسمالي، ليس انطلاقاً من اعتبار مبدئي، أي ليس من حيث المحتوى، بل من حيث الشكل، أو انطلاقاً من اعتبارات تتعلق بملاءمة هذا التعبير أو عدم ملاءمته.

كنت أخشى أن تفسر عبارة طريق التطور اللارأسمالي بأنها تعني أن قوانين الرأسمالية، وفي رأسها قانون القيمة، لم تعد تعمل في سورية، وأن يؤدي ذلك إلى ايهام الرفاق والجماهير بأنه لم تعد هناك علاقات رأسمالية في الانتاج وأن بعض القوميين التقدميين على حق عندما يقولون بأن سورية دخلت طريق التطور الاشتراكي.

غير أنه خلال تبادل الآراء مع الرفاق الكبار،ثم مع الرفاق البلغار،اتضحت قضية هامة لم نكن منتبهين إليها،وهي،أن طريق التطور اللارأسمالي إذا كان، بالنسبة للبلدان التي لم تدخل بعد في طريق التطور الرأسمالي، يعني تجنب الرأسمالية، كمرحلة اجتماعية، فهو،بالنسبة للبلدان التي بدأت فيها الرأسمالية مثل سورية، يعني فقط قطع الرأسمالية كتشكيلة اجتماعية ولا يعني بتاتاً قطع التطور الرأسمالي كعلاقات انتاج، لايعني بتاتاً قطع أو توقيف علاقات الانتاج الرأسمالية، بل ان هذه تبقى، بل حتى تتطور في ظل التطور اللارأسمالي،وخصوصاً في الزراعة. وقد استقر الرأي خلال المحادثات الأخوية المذكورة أن من الضروري الاشارة إلى ذلك بوضوح في البرنامج. وعلى أساس هذا التفسير أعلنت أنا ومعي رفاق آخرون (مثل أبو جلال) موافقتنا على استعمال تعبير طريق التطور اللارأسمالي فيما يتصل بوصف المرحلة التي تجتازها سورية.

كذلك فيما يتصل بتفسير الديموقراطية الثورية. أنا أعلنت في الندوة العلمية العالمية نفسها أني غير موافق على استعمال هذا التعبير لأن كلمة الديموقراطية مقترنة في أذهان رفاقنا والجماهير الشعبية بإطلاق الحريات الديموقراطية للجماهير وللقوى التقدمية،فاذا استعملناها فقد يدخل في الأذهان اننا راضون بهذا القسط من الديموقراطية التي يتمتع بها العمال والفلاحون، ويتمتع بها

حزبنا (مع أنه مثلا يطبع جرائده في مطابع سرية، وإن كان يوزعها بشكل علني أو نصف علني) لذلك قلت إنني أفضل استعمال تعبير القوميين التقدميين الذي أقره المؤتمر الثالث لحزبنا. ولكن ذلك لا يعني طبعاً اننا نطالب بديموقراطية بورجوازية، كما يحلو لبعض الرفاق أن يشيعوا في دعاياتهم بملء الأسف، بل فقط لأننا نطالب بالحريات الديموقراطية للعمال والفلاحين وللقوى التقدمية، وفي رأسها حزبنا الشيوعي.

ولكن كان من الواضح لي ولبقية الرفاق قبل تبادل الآراء،وأصبح ذلك أوضح بعد، ان التدابير التي يتخذها القوميون التقدميون ضد الاستعمار والاقطاعية هي في محتواها تدابير ديموقراطية وثورية، ولذلك فمن الممكن استعمال تعبير الديموقراطية الثورية أو الديموقراطية الوطنية أو الوطنية الثورية (التي استعملها لينين) لوصف هذه الفئات القومية التقدمية.

هذا ايضاح كان لا بد منه لقطع الطريق على كل محاولة استغلال من هذه الناحية، بمعنى أننا كنا ضد تعبير طريق التطور اللارأسمالي، وكذلك تعبير الديموقراطية الثورية، ولكن من حيث الشكل إذ أننا، من حيث المحتوى، كنا دائماً موافقين – وهذا هو المهم – على دعم وتأييد النظام الوطني التقدمي في سورية، أما الخلاف فكان على التسمية، وقد زال هذا الخلاف أيضاً الآن بعدما جرى من أحاديث أخوية وتبادل في الرأي حول هذه المواضيع كلها.

حول الوضع في الحزب

لقد تبين من المناقشات بشكل واضح لاجدال فيه ان الأساس الرئيسي للخلافات في الحزب هو سياسي وفكري.

أما الطريق نحو تذليل العقبات القائمة أمام توطيد وحدة الحزب فيمر عبر التراص حول الآراء والملاحظات المعروضة على مجلسنا الوطني حول مشروع برنامج الحزب.

هذا هو الطريق في رأينا. وإلا فدلونا على طريق آخر.

ان أسباب الأزمة في الحزب أو أسبابها الرئيسية هي: فكرياً: ضغط الأفكار القومية والضغط القومي بوجه عام. وهذا مفهوم. فهناك جزء من أرض الوطن احتله الأعداء. وهناك بالتالي احتدام للاتجاهات القومية، اتجاهات التعصب القومي مما يؤثر على الحزب نفسه.

وكيف ينعكس ذلك على التنظيم ؟.. ان عضواً من أعضاء وفدنا الذي ناقش الآراء والملاحظات حول مشروع البرنامج، قال في اجتماع للوفد مايلي حرفياً تقريباً: « إن الموقف صعب. فقد عبأنا رفاقنا في اتجاه معين. وليس من السهل الرجوع عن ذلك الآن »! وما معنى ذلك ؟.. معناه ان بعض الرفاق يخشون أن يؤدي تأييدهم للملاحظات أو موافقتهم عليها إلى انفضاض أنصارهم عنهم لأنهم عبؤوهم في اتجاه آخر، وهذا اعتراف واضح بأن الأساس الرئيسي للخلافات هو فكري، وانه حصلت تعبئة للقوى على أســاس فكري معين وأصبح من الصعب على البعض أن يتراجعوا عن مواقفهم السابقة حتى ولو تبين لهم من خلال المناقشات انها لم تكن مواقف صحيحة.

أما سياسياً: فمن أسباب الأزمة دون شك تلك المهمات الجديدة المعقدة والصعبة التي يجابهها الحزب في المرحلة الحالية.

ففي الوضع الجديد، ربما اعتقد بعض الرفاق ان هذه المهمات الجديدة تتطلب تنظيماً جديداً للحزب، تتطلب تغييراً لبنيته التنظيمية من الأساس.

وأدى ذلك بهم إلى نوع من التأرجح فيما يتصل بمفهوم المركزية الديموقراطية: فهم تارة يطلبون ديموقراطية أوسع، وتارة يطلبون مركزية أشد وذلك حسب متطلبات البنية التنظيمية « الجديدة » المنشودة التي يتطلعون إليها، ويريدون الوصول إليها كيفما كان،وبأي سبيل كان، فكأنما الأساليب القائمة على تعاليم اللينينية في التنظيم لم تعد صالحة.

ومن أجل إدراك حقيقة الوضع ينبغي النظر بشكل موضوعي إلى بنية الحزب وتركيبه.
عموماً كيف وممن يتكون الحزب الشيوعي ؟..

يتكون بوجه عام من عمال أو فلاحين فقراء تدفعهم غريزتهم الطبقية السليمة وتجربتهم نفسها إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي، أو من مثقفين تدفعهم ثقافتهم الواسعة إلى إدراك الخط العام لسير تطور الانسانية فيعون دور الطبقة العاملة ومهمتها التاريخية، فينضمون إلى طليعتها، إلى حزبها.

هكذا يتكون الحزب من حيث الأساس.

ولكن في الوقت نفسه يجتذب الحزب، كما قال لينين، عناصر من مختلف الفئات الاجتماعية، دون استثناء،ولكن ليس لكي «يتقولب» معها،بل لكي يقلبها هو إلى العقلية البروليتارية. وأشد هذه العناصر خطراً هي تلك العناصر التي هي لابروليتارية ولانصف بروليتارية ولامثقفة ثقافة واسعة، أي عناصر بورجوازية صغيرة،قد تدفعها مصالح آنية أو اغراءات أو يدفعها البحث عن زعامات.. الخ.. للدخول إلى الحزب،وذلك خصوصاً في « ساعات النهوض » إذا صح التعبير.

فلا يجوز تغطية خطر مثل هذه العناصر وخطر عقليتها بالتلويح بعقلية البورجوازية الكبرى وخطرها على الحزب. فالبورجوازية الكبرى لامكان لها في حزبنا. والعناصر الآتية منها أو من البورجوازية المتوسطة قليلة جداً في حزبنا. أما العناصر الآتية من البورجوازية الصغيرة فهي واسعة، بل هي شبه بحر. هذا هو الفرق. ومن هنا منشأ الخطر: خطر ضغط الأفكار القومية، وضغط اتجاهات التعصب القومي، أو بكلمة، ضغط العقلية البورجوازية الصغيرة.

فعلى أساس الماركسية اللينينية، على أساس الأممية البروليتارية، يمكن مجابهة مثل هذه الأخطار. وليس هناك أساس آخر.

لذلك أكرر بأنه يمكن السير نحو وحدة الحزب على أساس وضع المسودة الجديدة للبرنامج في ضوء الآراء والملاحظات التي نناقشها اليوم بما فيها طبعاً ملاحظات رفاق القاعدة في حزبنا بمجموعه.

وهل هناك طريق آخر ؟.. دلونا !

أما إذا كان الخلاف ليس فكريا، كما قال بعض الرفاق، أي إذا كان الخلاف الفكري، كما قالوا هو واجهة فقط... فهيا نتساهل إذن، لكي يصبح من الممكن تسليط الأضواء على الوضع تماماً ولكي يبدو كما هو على أوضح وأسطع شكل !

أجل: دعونا من شعار الحزب الشيوعي العربي الموحد، ودعونا من المزاودات ومن الشعارات المتطرفة في القضية الفلسطينية، ودعونا من شعار الوحدة العربية غير المشروطة بأي شرط... دعونا من ذلك كله، لكي تنكشف الأوراق الاخرى !

وإلاّ فقولوا إذن بصراحة ان الأساس الرئيسي للخلافات هو سياسي وفكري ! ليس هناك مخرج آخر !...

ان معالجة الأزمة في الحزب وصون وحدته وترسيخها تحتاج إلى:

– أساس فكري وسياسي موحد على مبادىء الماركسية – اللينينية والأممية البروليتارية (هذه الأممية البروليتارية التي يتجنب بعض الرفاق ذكرها أو التحدث عنها !) وهذا الأساس موجود في وثائق المؤتمر الثالث.

– الالتفاف حول الاتحاد السوفياتي،حول حزب لينين، ليس من حيث هو صديق فحسب، بل من حيث هو طليعة الحركة الثورية العالمية.

– احترام مبادىء المركزية الديموقراطية من حيث هي كل لايتجزأ وتطبيقها ليس بشكل جامد، ليس بشكل حقوقي، بل على أساس خلاّق،حسب مصلحة الحزب،وفي كل مرحلة، في كل ظرف تاريخي معين. تلك هي نصيحة الأشقاء الكبار وفقاً لتعاليم الماركسية – اللينينية وعلى هديها.

– ترك الكلام عن الماضي (كما اتفق الوفد بجميع أعضائه) وعدم جعل هذا الكلام حملة شاملة في الحزب وذلك لايمنع طبعاً تأليف لجنة لبحث هذا الأمر بل ولكتابة تاريخ حزبنا.

وفعلاً أيها الرفاق ما الفائدة في مثل هذا الاجتماع من ذكر عبارة قيلت مثلاً قبل أربعة وثلاثين عاماً ؟.. ما الفائدة ؟..

وأخيراً: التمركز على المهمات التي يجابهها حزبنا في سورية. ولاريب انهم على حق أولئك الرفاق الذين انتقدوا فقد المبادرة، واهمال المهمات الملموسة، ومحاولة شن الحملات الكلامية الواسعة حول الماضي أو حول المهمات البعيدة والبعيدة جداً ! فإن في ذلك ضرراً كبيراً على الحزب !

ان السعي لحل المهمات الكبرى والمعقدة والصعبة التي تجابهها بلادنا من شأنه أن يجمع الصفوف، وأن يؤلف القلوب، بل حتى لايبقى مجال أو وقت للمهاترات والمناقشات عن الماضي البعيد أو المستقبل البعيد !

ان تمركزنا جميعاً على المهمات يبين لنا كم نحن بحاجة بعضنا لبعض، وكيف أن قوانا كلها مجتمعة غير كافية !

ان الحزب الشيوعي أيها الرفاق هو للجميع: هو للشعب وليس لأفراد ! ان الأفراد زائلون، يأتون ويذهبون أما الحزب والشعب فباقيان، هذه الحقيقة ينبغي أن تكون نبراساً لنا جميعاً !

أيها الرفاق !

ان ماجرى في مجلسنا الوطني كان شيئاً طبيعياً على أساس الوضع الناشيء داخل الحزب. ورغم بعض الانفعالات أو ردود الفعل من هذا أو هذا الرفيق، فإن أعمال المجلس كانت مفيدة.فقد عرفتم جميعاً آراء بعضكم البعض بشكل واضح وصريح وبصورة مباشرة، وليس عن طريق « حدثني فلان عن فلان انه قال كذا وكذا » الآن أصبحت الصورة أوضح. كما أن رفاقنا من الأقطار العربية الشقيقة عرفوا مختلف الاراء وهو شيء هام بالنسبة لحزبنا.

وإذا تمسك الجميع بالروح التي ظهرت في مجلسنا الوطني، وهي روح المحافظة على وحدة الحزب وترسيخها على أساس مبادىء صحيحة فإن مجلسنا هذا قد يكون مساعدة هامة للسير بنجاح على هذا الطريق، طريق توطيد وحدة الحزب على أسس الماركسية ـ اللينينية والأممية والبروليتارية !.

وثيقة رقم (١٣)

في احتفال الذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية الذي أقيم في دمشق عام ١٩٨٧ ألقى خالد بكداش كلمة كشف فيها الدور التخريبي الذي تلعبه الصهيونية العالمية ضد الشعوب ولأهمية هذه الوثيقة ننشرها كاملة :

... أيها الرفاق والرفيقات، أيها الأصدقاء:

في لقاء ممثلي الأحزاب والمنظمات التي شاركت في مهرجانات موسكو أمانة مناطيس فقط لمصالحنا الوطنية المباشرة، بل أمانةً منا أيضاً لتعاليم الماركسية ـ اللينينية بوجه عام، عملنا على فضح حركة رهيبة هي الحركة الصهيونية العالمية.

ان لينين العظيم، قبل وعد بلفور المشؤوم بسنوات وسنوات، كشف جوهر الصهيونية من حيث هي حركة رجعية، من حيث هي أداة في يد الاستعمار والرأسمالية، من حيث هي عدو شرس للحركة العمالية ولأية حركة تقدمية في أي مكان.

ونحن العرب الذين نعاني الآن من أظافر الصهيونية الدامية في جلودنا،ونناضل ضد عدوان حكام اسرائيل المتحالفين استراتيجياً مع الامبريالية الأمريكية، ندعو جميع الشرفاء في العالم الى تأييدنا في نضالنا العادل ضد العدوان الصهيوني، كما ندعوهم الى نبذ الصهيونية وتطويقها ومنعها من تضليل الجماهير التي تسير وراء الحركات التقدمية.

ان الصهيونية لا مستقبل لها بل مكتوب لها الفشل وحتى الاندثار التام في كل مكان.

وانه لمن باطل الأباطيل وقبض الريح أن يعتقد أو يتوهم أحد أن بالامكان كسب الصهيونية الى جانب الاشتراكية.

وكما هو معروف،لعب كثير من كبار الصهاينة دوراً قذراً، خلال الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفياتي ضد الفاشية الهتلرية. فقد عملوا على اجهاض النصر السوفياتي ولكنهم فشلوا،وانتصر الشعب السوفياتي وهزم الفاشية هزيمة مُنكَرة، وفتح بذلك عهداً جديداً في تاريخ تطور البشرية، وكنا نحن في سورية أول من اقتطف ثمار هذا العهد الجديد، بحصولنا على استقلالنا الوطني واجلاء الجيوش الفرنسية والانكليزية عن أراضي وطننا.

ونحن كماركسيين لينينيين واثقون من أن لا مستقبل للصهيونية في منطقتنا، بل النصر الأكيد هو للشعب العربي ـ الفلسطيني في نضاله الباسل من أجل حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة على ترابه الوطني.

ان ترسيخ أسس التحالف السوري الفلسطيني الوطني اللبناني، هو حجر الزاوية في السير نحو النصر على أعدائنا الامبرياليين والصهيونيين.

ويؤيد حزبنا الشيوعي السوري المساعي المبذولة لعقد مؤتمر دولي لحل قضية الشرق الأوسط بحضور جميع الأطراف المعنية،بمن فيها طبعاً منظمة التحرير الفلسطيني،الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني.

وفي اسرائيل نفسها لن يكون المستقبل للصهيونية التي تطمع في بناء اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات، بل المستقبل هو للمناضلين الذين يريدون أن يعيش العرب واليهود بسلام وفي جو من الصداقة مع بلاد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التي منعت وحَرّمت قيام حركة صهيونية في جميع ربوع الاتحاد السوفياتي.

وثيقة رقم (١٤)

في اللقاء الكبير الذي تم في موسكو بحضور ٧٨ وفداً من ٢٢ بلداً بمناسبة الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى قدم خالد بكداش كلمة الحزب الشيوعي السوري التي نشرتها جريدة «البرافدا» كاملة . وفي هذه الكلمة تحدث خالد بكداش عن التقرير الذي قدمه ميخائيل غورباتشوف قائلاً :

إن حكام اسرائيل الصهاينة، المتحالفين استراتيجياً مع الامبريالية الأمريكية، يلعبون دوراً أساسياً في توتير الوضع في الشرق الأوسط، وفي الحؤول دون إيجاد حل عادل لهذا الوضع، بعقد مؤتمر دولي، كما يقترحه الاتحاد السوفييتي.

ان لينين نبّه منذ البداية الى خطر الصهيونية وكشف جوهرها من حيث هي حركة رجعية معادية للاشتراكية، ولكل حركة تحررية، ومن حيث هي أداة مطواعة للرأسمالية والامبريالية.

ان الصهيونية تعمل في كل مكان لتسهيل مهمة الامبريالية في دق اسفين بين حركات التحرر الوطني وحركات التقدم الاجتماعي، وبين الاتحاد السوفييتي، ولكنها مساع فاشلة. وأريد أن أذكر هنا كلمة قالها أحد كبار المناضلين القوميين العرب، وهو موجود بيننا الآن حين قال في الندوة العالمية التي عقدت في دمشق بمناسبة الذكرى السبعين لثورة اكتوبر، إذ قال: (تصوروا العالم بدون الاتحاد السوفياتي). وهكذا فالدعاية الامبريالية والصهيونية فاشلة حتماً.

إن العدوان واحتلال أراضي الغير عسكرياً، أصبح أمراً صعباً على الامبريالية. ومن الدلائل على ذلك فشل محاولة الاحتلال الأطلسي للبنان وليبيا مؤخراً، بل كما يجري الآن في الخليج. فان أمريكا والدول الأطلسية تحشد أساطيلها، وعشرات البوارج الحربية، ولكنها لا تُقْدِم على انزال جنودها في الأراضي الايرانية. ان أمريكا التي تريد ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء تصطدم مع الوعي المتنامي للشعوب، وتعلقها العظيم بأن تعيش حرة سيدة بدون هيمنة واحتلال من الخارج.

لهذا تلجأ الامبريالية، وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية، تجاه معظم الدول النامية، في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، الى الأساليب الاقتصادية، أساليب تغلغل الاحتكارات المتعددة الجنسية لنهب خيرات هذه البلدان، وتخريب اقتصادها، وإثقالها بالديون التي تعجز هذه الدول في معظم الحالات عن ايفائها، وتدخل بالتالي في حَلْقة مُفرغة، أي المزيد من الديون لإيفاء الديون، ويشكل البنك الدولي مضخةً لامتصاص النقد الأجنبي من هذه الدول، وذلك بهدف تحقيق التبعية السياسية عبر التبعية الاقتصادية.

وقال بكداش في ختام كلمته :

وملاحظة أخيرة تخص جريدة أنباء موسكو. انها الجريدة الوحيدة السوفياتية التي تصدر باللغة العربية بانتظام، ومنها يتلقى رفاقنا في الحزب معلوماتهم، عن سير الأمور في الاتحاد السوفياتي، فيجب أن لا يكون محتوى هذه الجريدة متوقفاً على مزاج هذا المحرر أو ذاك، أو موقف هذه الفئة أو تلك في ظروف البرويسترويكا، بل أن تكون تحت إشراف وقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بشكل كامل.

وثيقة رقم (١٥)

ننشر فيما يلي نص الرسالة التي بعثها رشاد عيسى في ١٩٨٨/٣/١٢ إلى خالد بكداش ، ويؤكد فيها رشاد عيسى علاقة الصداقة مع خالد بكداش حتى الأيام الأخيرة من حياته ...

الرفيق العزيز خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري :

إنك كما عودتني في السابق وفي أشد الحالات التي تمر بي أجدك دائماً الصديق العزيز ، كما فعلتَ عندما أصبتُ بانفصال الشبكية وساعدتني إلى النهاية . وقد أتيتَ لنجدتي هذه المرة أيضاً . أشكرك وأشكر القائدة المناضلة أم عمار . ولا أعلم فيما إذا كانت نهايتي قد اقتربت ، إلا أنني واثق أنني دائماً صديقك القديم .

رشاد عيسى

١٩٨٨/٣/١٢

وثيقة رقم (١٦)

بعثت السيدة وصال فرحة بكداش برد على مذكرات السيد هاشم الأمين التي نشرها في مجلة «الراية» اللبنانية ، والتي يتناول فيها بالهجوم على الحزب الشيوعي السوري وشخصية خالد بكداش.

ونظراً لأهمية هذا الرد ننشره كاملاً. علماً أن مجلة «الراية» اللبنانية نشرته في عددها رقم ٧٤ الصادر في ٢٠ / ٤ / ١٩٩٢ :

السيد رئيس تحرير مجلة « الراية » المحترم :

نشرت مجلتكم ، العدد ٦٦ تاريخ ١٩٩١/١١/٢٥ مقالاً أو مقابلة مع السيد هاشم الأمين تحت عنوان : « في حلقة ساخنة مع كتاب الذكريات » وجاءت مقدمة مجلتكم تبرز بشيء من الاستحياء ما ورد في المقالة من تهجم شخصي وتشويه للحقائق تقولون : « في هذه الحلقة أسرار كثيرة وحملة قاسية على السيد خالد بكداش ، واتهامات جارحة ، نأمل أن تحسب على خانة حرية الرأي وأن تنزه « الراية » عن استهداف التجني ، لاسيما وأننا نفتح الباب عريضاً أمام كل رد أو ملاحظة » .

إن تلك المقدمة شجعتني على الكتابة إليكم ، وإنني أريد مخلصة أن أبرىء « الراية » من استهداف التجني ، ولكن لكي تحسب أقوال ما على خانة حرية الرأي ، يجب أن يكون هنالك رأي أو لا وقبل كل شيء . فأنا لم أعثر في أقوال السيد الأمين على أية آراء للمناقشة ، وكل ما وجدته ويجده القراء معي ، هو جملة من الشتائم والتهجمات الشخصية وهذا ما لا أستطيع مجاراته فيها .

واسمحوا لي أن أبدأ ردي بالعتب على مجلتكم الغراء لنشرها أموراً لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، دون التأكد من صحتها،خصوصاً،وكما هو معروف ، أن لمجلتكم صفة عقائدية معينة ، وهي ليست من صحافة الإثارة .

وعملاً بتقاليد الصحافة أرجو نشر بعض الإيضاحات التي سأتقدم بها إليكم ، وإلى القراء عبركم ، حرصاً على الحقيقة وتأكيداً لحقوق من قُصِد بهذه الاتهامات ، ولن يكون ذلك رداً على ما جاء في أقوال السيد الأمين فأنا لا أعرفه شخصياً ، كما أنني أعترف بعجزي عن الكيل بمكياله ، أو مجاراته باستعمال لغته « الفريدة » ، كما أنني لا أستطيع الرد على هجومه المقذع بمثله لأنني أحترم الشيخوخة حتى لدى من لا يحترمها هو نفسه ، كما أنني لا أحب أن أسبب أي حرج لأقرباء ، أو لأولاد السيد الأمين ، بل سأكتفي بإيراد بعض الإيضاحات والخواطر والتساؤلات استخلصتها من أقوال السيد هاشم الأمين نفسه .

منذ البداية يبدو جلياً ، أن الكاتب يصب جام حقده على خالد بكداش من مبادىء وأفكار ، والكاتب هنا يجسد ما يطلق عليه اسم « شيوعي ترانزيت » الذي يدخل الحزب صدفة ويخرج صدفة مبرراً خروجه بأخطاء أو ظلم الآخرين.يقول السيد الأمين مبرراً انتسابه للحزب الشيوعي : « فلا حيلة في اليد سوى البحث عن جديد أنتفع به ، فإن لم تكن منفعة – شخصية – فلتكن مشاركة سلبية عامة » ، ثم يردف قائلاً : « ووهبت الحزب كل طاقاتي وكل وقتي – بالمجان – ويضيف:مالي لا أنخدع بالماركسية وأنا المثقف البسيط » ويلخص كل ذلك بكلمة واحدة « حمرنة » .

بعد قراءة ما سلف من أقوال السيد الأمين ، نعرف أنه انضم إلى الحزب الشيوعي السوري اللبناني « حسب ما كان يسمى الحزب في حينه » صدفة أو ابتغاء لمنفعة ، وعندما لم يحصل على تلك

المنفعة راح يندب حظه لأنه وحسب قوله : « وهب طاقاته بالمجان كما يقول ، ويعلن موقفه صريحاً بأنه انخدع بالماركسية . وبعد هذا التقييم الذاتي الذي يتحدث به الكاتب عن نفسه ، هل بمقدور أحد أن يقول أنه كان شيوعياً حقاً وعن قناعة ؟ أو أن يصف من عرف هذه الحقيقة وفي وقت مبكر أو تنبأ بها أنه كان متجنياً ؟

إن مأساة السيد هاشم الأمين أنه أخطأ الطريق،وقصد حزباً ليس فيه سوى الصعوبات والتضحيات .

إن الحركات الثورية أشبه بقافلة فيها من يتابع السير حتى النهاية ، رغم العواصف والأعاصير ، وفيها من يأخذ منه التعب فيتخلف عن الركب . هنالك العديد من الشيوعيين تركوا الحزب لأسباب مختلفة : عدم قدرتهم على تحمل المشاق من ملاحقة وسجون وفقر وعوز ، أو لأنهم وجدوا مكاسب ومنافع خارج الحزب ، ولكن الكثير من هؤلاء ساروا في حياتهم الجديدة،دون أن يلقوا باللائمة على الحزب أو على هذا الشيوعي أو ذاك ، تبريراً لما قاموا به بمحض اختيارهم ، لا بل كان قسم منهم يقدم المساعدات المختلفة للحزب ، وحبذا لو كان السيد الأمين،وفي هذه المرحلة من العمر،ضمن هؤلاء .

لقد سمعت بعض قادة الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني يلومون الرفيق خالد بكداش على تقديمه هاشم الأمين ، وكان الأمين العام يردد قائلاً : أردت من هذا التقديم تحقيق تعايش فعلي وأخوي للطوائف داخل الحزب ، كبديل مستقبلي للتوجه الطائفي والانعزال ، متغاضياً بذلك عن كفاءات السيد هاشم الأمين .

يلوم السيد خالد بكداش لأنه لم يُقتل ، كما أنه ينكر أنه سجن أو حوكم أو تعرض للملاحقة . بالنسبة للرغبة الأولى ، أقول إن الأعمار بيد الله ، أما بخصوص الملاحقة فالكل يعرف أن خالد بكداش قضى نصف حياته الحزبية ملاحقاً ، واعتقل عدة مرات كان أولها عام ١٩٣١ حيث اعتقل مع هيكاز بوياجيان ورفيقين آخرين كانوا يطبعون صحيفة الحزب الأولى « المطرقة والمنجل » وقد أحيلوا إلى المحكمة المختلطة في دمشق ، وقد حولوا قاعة المحكمة إلى محاكمة للاستعمار الفرنسي ، وفي محاكمة أخرى أمام محكمة بيروت المختلطة هتف خالد بكداش باستقلال سورية ولبنان والحرية للشعبين الشقيقين.وقد حضر المحاكمة جمهور غفير ، كان بينهم الزعيم الوطني فخري البارودي ، الذي كانت دموعه تسيل تأثراً من المرافعة الوطنية الصادقة التي قدمها خالد بكداش ، ويستطيع السيد الأمين الرجوع إلى مذكرات الرفيق الراحل نيقولا شاوي ، والتي يقول فيها أنه قرر الانتساب إلى الحزب الشيوعي بعد أن استمع إلى مرافعة خالد بكداش أمام المحكمة المختلطة في بيروت . إنها صفحات من النضال تحفظها ذاكرة شعبنا ، ولن يستطيع من فقد الذاكرة أن يمحوها أبداً .

أما عن الفقر والحرمان الذي تقاسمتهما مع خالد بكداش فلن أتكلم عنها ، لأننا عرفنا مقدماً أنها ضريبة النضال ، ولا منّة لنا في ذلك ولا فضل .

يقول الكاتب : إن خالد بكداش كان في فندق الأوريان بالاس ، وأنه لأمر مضحك حقاً ، لم النزول في الفنادق وبيت السيدة أم خالد في قلب دمشق كانت تستضيف فيه ابنها ورفاق ابنها بكل ما عرف عنها من كرم ضمن حدود إمكاناتها .

وعن هواة المرابع الليلية ، فالصورة المنشورة ضمن المقابلة على صفحات مجلتكم والتي تضم السيد هاشم الأمين وقدري قلعجي تجيب على ذلك .

وبمناسبة الحديث عن قدري قلعجي ، لقد كان أيضاً شيوعياً لحين من الزمن ، ثم انسحب من الحزب وبدأ يهاجم الحزب ؛ وانتهى أن يكون مراسلاً محترفاً لإذاعة لندن ينفث عبرها سمومه ضد الفكر الماركسي . يُفهم من أقوال السيد الأمين أنه ترك الحزب الشيوعي عام ١٩٤٩ أي أنه بقي عضواً في الحزب قرابة ست سنوات ، وبعدها كان حراً طليقاً حسب مفهومه هو ، فما هي البطولات التي اجترحها خلال هذه المدة التي كان فيها خارج الحزب سوى أنه اكتشف فضائل السيد أحمد الأسعد الذي سبقه فلاحو الجنوب في هذا الاكتشاف ولكن بشكل آخر .

إن الحقد الذي يكنه السيد الأمين لخالد بكداش يمتد أيضاً إلى أسرة خالد بكداش ، وهو الذي أكل من خبزها وملحها ، ويمتد هذا الحقد إلى والده وأخته وأخيه وحتى على لهجته الشامية وإلى المعهد الذي درس فيه . إن خالد بكداش لم يتحدث عن والده إلا مؤخراً ، مع توفر كل الصفات في هذا الوالد التي يمكن لابن أن يفخر بها ، لقد كان والد خالد بكداش وطنياً حقاً ، تخرج من الكليةالحربية في اسطنبول ، وخدم في الجيش العربي كضابط مدفعية ، وشارك في معركة ميسلون وهذه حقيقة يعرفها الدمشقيون ، كما يعرفون أن هذا الضابط الوطني رفض الخدمة في الجيش الإفرنسي مفضلاً العمل في وظيفة مدنيّة بسيطة ، وقطعاً لكل التباس أرسل لكم صورة لهذا الوالد الكريم بلباسه العسكري ، أي لباس الجيش العربي الذي كان يرتديه أيضاً الشهيد البطل يوسف العظمة نفسه ، نرجو نشر الصورة دون الرد ، وإنني على ثقة بأنكم ستجدون من يزودكم بمعلومات دقيقة عن السلاح والرتبة من خلال الصورة المرفقة .

هل أصبح البر بالوالدين صفة ذميمة ؟

وعن شقيقة خالد بكداش،بهيجة بكداش ، حقاً كانت امرأة رائعة ، ولم تكن في يوم من الأيام عضواً في الحزب الشيوعي ، بالرغم من ذلك كانت تزود الرفاق بالطعام في السجون أو في المخابىء السرية ، وكانت من أوائل النساء المتعلمات في سورية ، وبكل أسف ، وعلى عكس ما يقوله السيد الأمين لم تطلق على أحد من أبنائها اسم ستالين . لقد كانت رحمها الله سيدة متواضعة جداً ، ولم يدر يوماً في خلدها . ان مجلتكم الغراء ستكتب عنها ، وإن كان السيد هاشم الأمين مهتماً لهذا الحد بأسماء أولاد شقيقة خالد بكداش ، فهم أدهم وفريد وفوزي ، وقد سمي الأخير باسم الرفيق المناضل فوزي الزعيم . هل سيكتفي السيد الأمين بهذه المعلومات ، أم علي أن أرسل له شهادات ميلاد هؤلاء الأبناء .

كنت أتمنى أن يتناول ردي هذا قضايا فكرية أو سياسية ، ولكني لسوء الحظ ، لم أعثر في مقابلة السيد هاشم الأمين أية قضية فكرية يمكن الرد عليها ، بل وتناولت أموراً خاصة ولكنها مزورة ، ولكن مجانبة الحقيقة في الأمور الخاصة المعروفة هي دليل على السلاح المشبوه الذي استعمل ويستعمل ضد المناضلين وما يحملونه من أفكار ومبادىء .

إن الهذيان المكتوب لا يصبح حقيقة ، تلك الحقيقة التي يعرفها الدمشقيون وعلى أساسها انتخبوا خالد بكداش لدورتين برلمانيتين ، الأولى عام ١٩٥٤ والثانية ١٩٧٣ معبرين بذلك وعلى اختلاف مشاربهم عن ثقتهم بابن مدينتهم الذي كرس حياته لخدمة بلده .

يقول الكاتب : إن خالد بكداش متخرج من مكتب عنبر ، ثم يضيف قائلاً ، وكانت « أي المدرسة » وقفاً على أبناء الارستقراطيين من رجال الإقطاع والرأسمال ... أجل خالد بكداش تخرج من مكتب عنبر بامتياز ، ولكنه دخلها بورقة فقر حال وبنجاحه في المسابقة ، ومكتب عنبر هو إحدى قلاع الوطنية زمان الاحتلال ، منها كانت تخرج تظاهرات الطلاب الهادرة ، ومنها تخرج خيرة الأساتذة والساسة في سورية والأردن وفلسطين ، وقد حولت الحكومة السورية هذه المدرسة مؤخراً إلى متحف ، ولا تزال جدران هذه المدرسة وجدران البيوت المجاورة لها تحمل آثار الرصاص والقنابل التي كان يطلقها جند الاحتلال على المتظاهرين ،ولم تشأ السلطات المعنية، وعن دراية ، أن ترمم آثار الرصاص ، تذكيراً للأجيال الحالية بما قامت به الحركة الطلابية في بلادنا من نضالات .

إن الحقيقة لا تضيع بين الحقد والجحود ، وأكبر دليل على ذلك ما روته تلك السيدة السورية عن خالد بكداش ، والتي يقول الكاتب نفسه إنه التقاها في بيت المرحوم رئيف الخوري ، وكما يقول الشاعر الكبير ولي الجين يَكن :

وهل يحجب شيء في البيت عن ساكنيه ؟

وصال فرحة بكداش

دمشق ١٩٩٢/١/٢٢

٢ ـ فهرس الأسماء

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

الزال

السين

الشين

الصاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

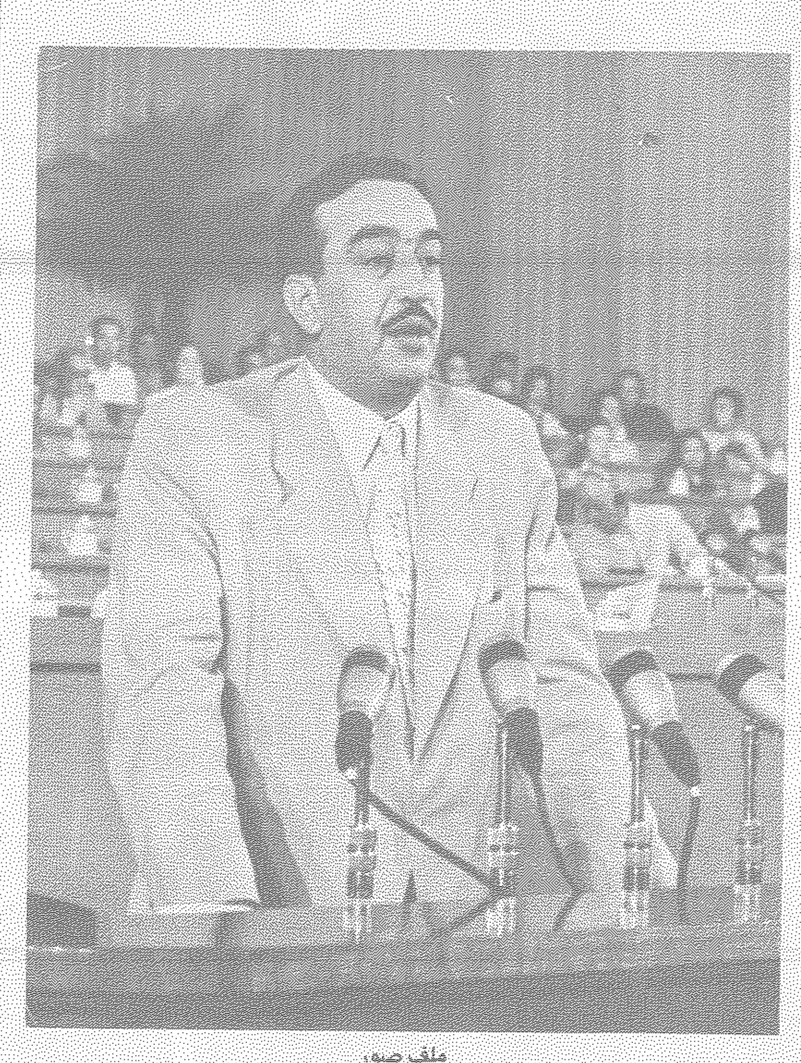
النون

الهاء

الياء

٣ ـ ألبوم صور





ملف صور

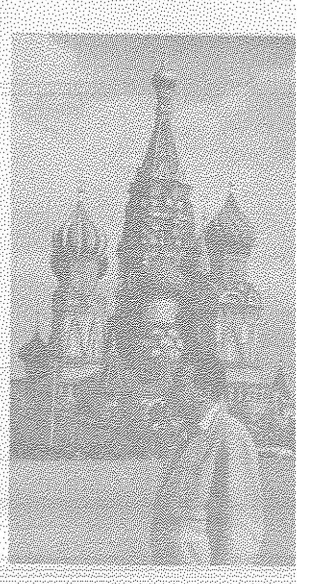
عن مسيرة حياة الرفيق خالد بكداش الأمين العام

للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري



في اجتماع للجبهة الوطنية التقدمية في سوريا.

مع قيادة الدولة والحزب في أذربيجان — مع الوفد البرلماني السوري في الكرملين



ساحة الحمراء في موسكو.

مع الأمين العام لحزب العمال البولوني غومولكا (بولونيا ١٩٦٨).

في لقاء مع يانوش كادار الامين العام للحزب الشيوعي المجري.



اثناء زيارة الوفد الحكومي السوري الى موسكو (١٩٥٧) ويبدو في الصورة رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي انذاك بو
وزير الخارجية اندريه غروميكو وعضو المكتب السياسي ميكويان ويبدو ايضاً خالد العظم الى جانب خالد بكداش.



مع فرج الله الحلو

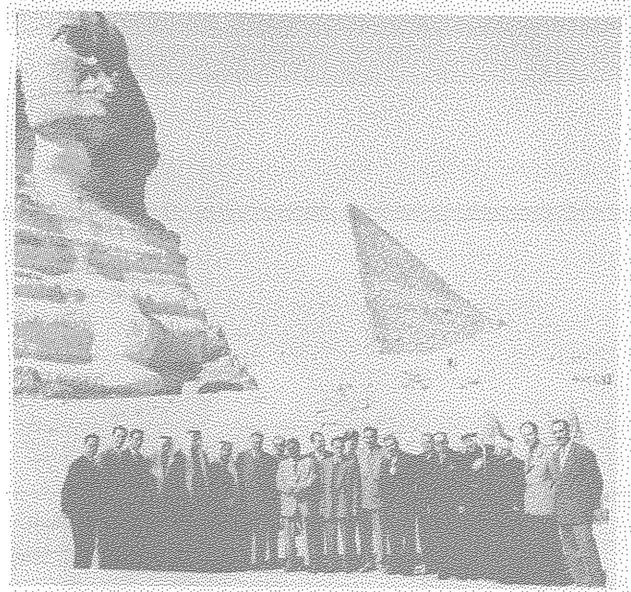


جتماع الاحزاب الشيوعية في برلين (١٩٦٤) ويظهر في الصف الاول يوري اندروبوف وليونيد برجينيف.





صر الكرملين ١٩٨٢ بعد تقليده وسام لينين.



في القاهرة اثناء زيارة الوفد البرلماني السوري عام ١٩٥٦ ويبدو في الوسط اكرم الحوراني وخالد بكداش.

رئيس الجمهورية التشيكوسلو
غوستاف هوساك يقلده ارفع وسام تشـ
١٩٧٢.

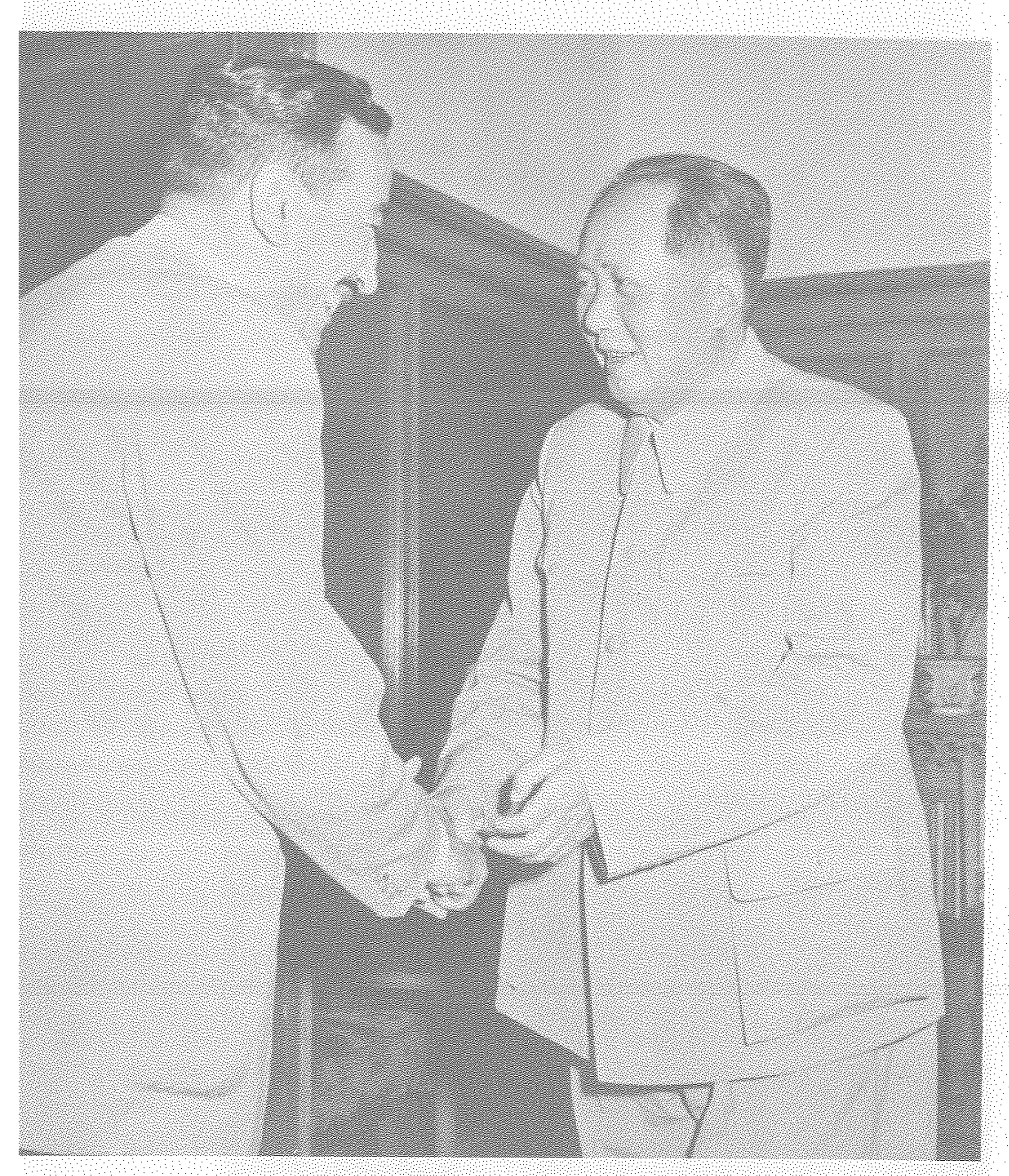


مع ابنته سلام.

الرئيس اليمني
عبد الفتاح
ل في عدن.



مع العمال في داره
ي حي ركن الدين
مشق.



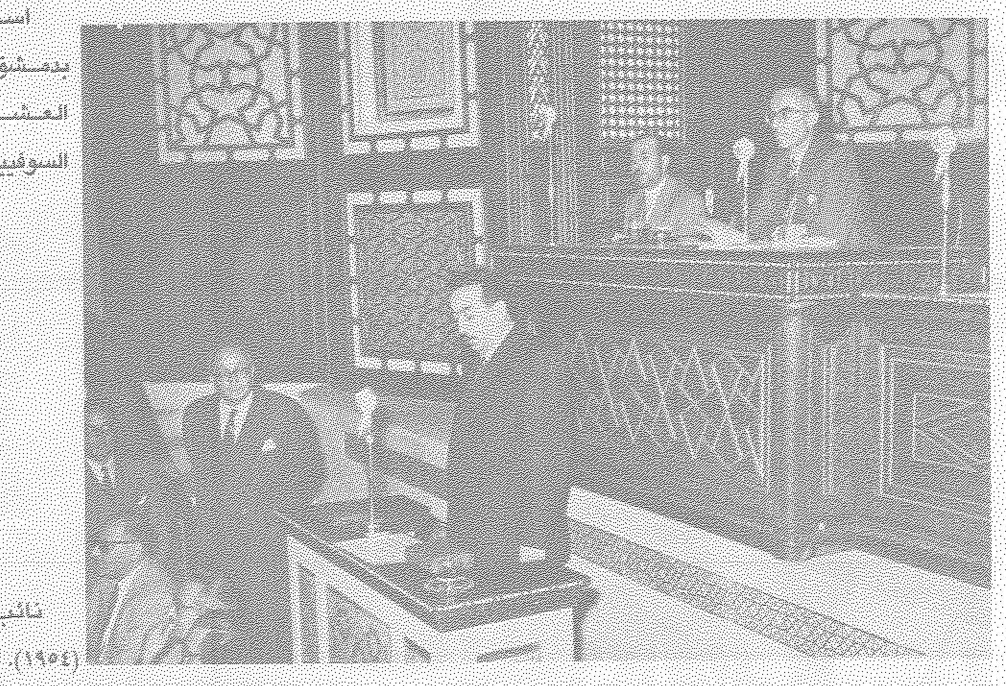
مع الزعيم الصيني ماوتسي تونغ بكين ١٩٥٩.



ريس توريز الامين العام للحزب الشيوعي الفرنسي نائب رئيس وزراء فرنسا وليون موفي وفرج الله الحلو في باريس ١٩٤٧.

الوفد البرلماني السوري الى موسكو

استقباله في م
بدمشق بعد عودته من
العشرين للحزب الش
السوفييتي.



نائب دمشق يؤدي ال
(١٩٥٤).

الأمين العـــام
الاشتراكي الألماني
اريك هونيكر (عام
رلين.



ع الجنرال جـيــاب
معركة ديان بيان فو
الشاوي.



مع مجموعة من النواب بينهم خالد العظم وناظم القدسي ورشدي الكيخيا.



مع الكاتب السوفييتي ايليا اهرنبورغ في منزله.

حت قبة البرلمان (١٩٥٤ -
)

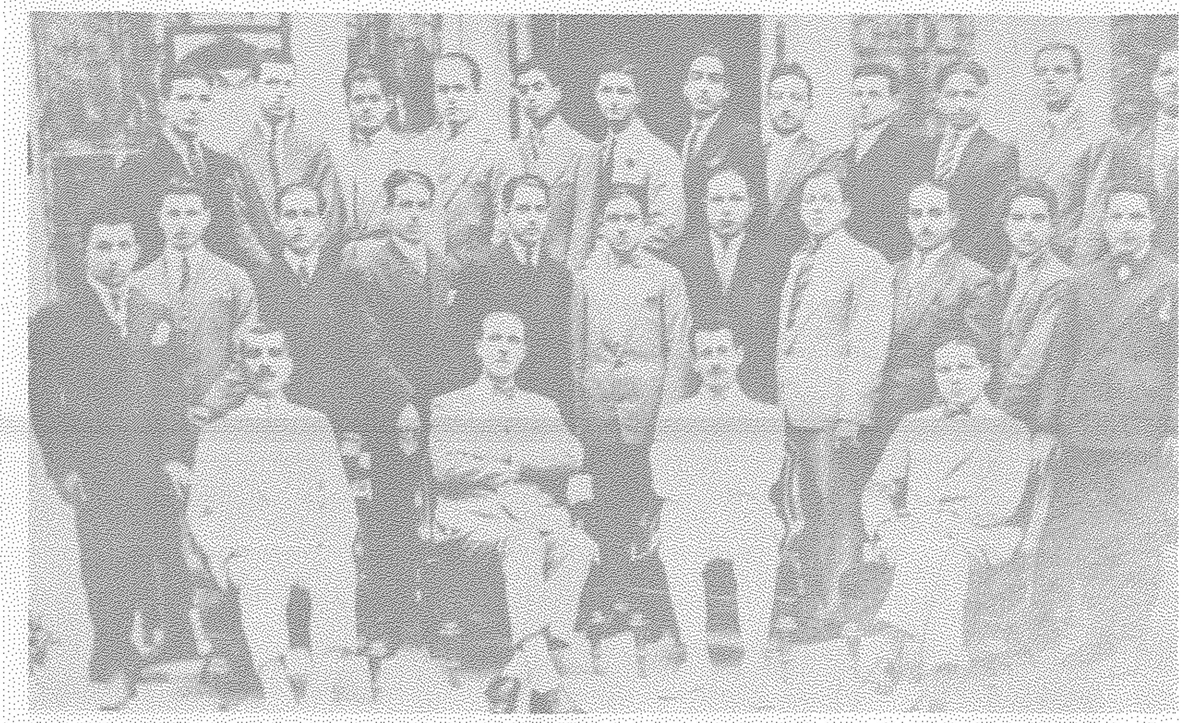


في باكو مع زوجته السيدة
وصال فرحة بكداش وابنه عمار.

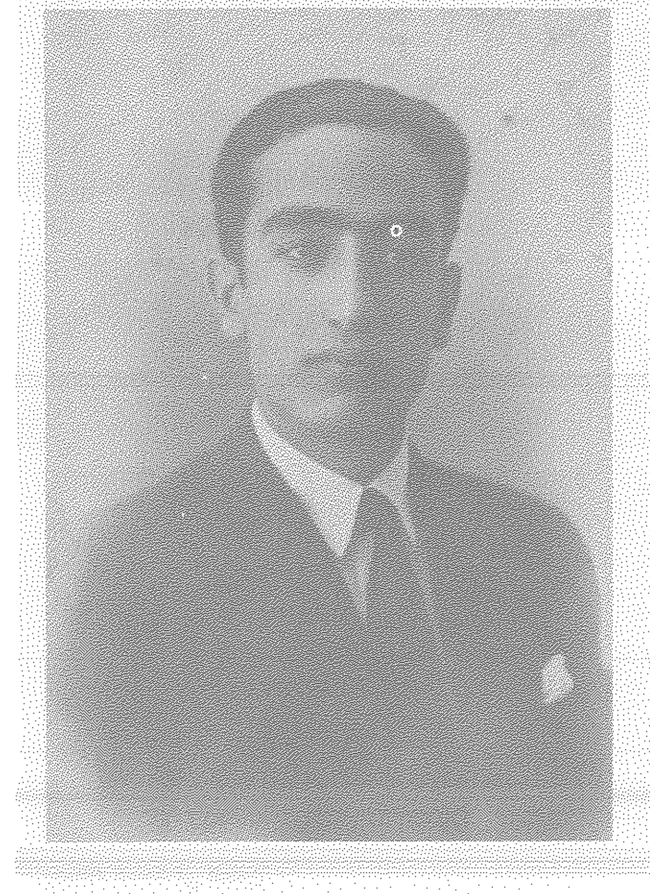
مع ابنه عمار بكداش اثناء القاء
الاخيرة على جثمان يوري اندر



يلقي كلمة تابينية على قبر احد
الشهداء الذين سقطوا برصاص
الفرنسيين.



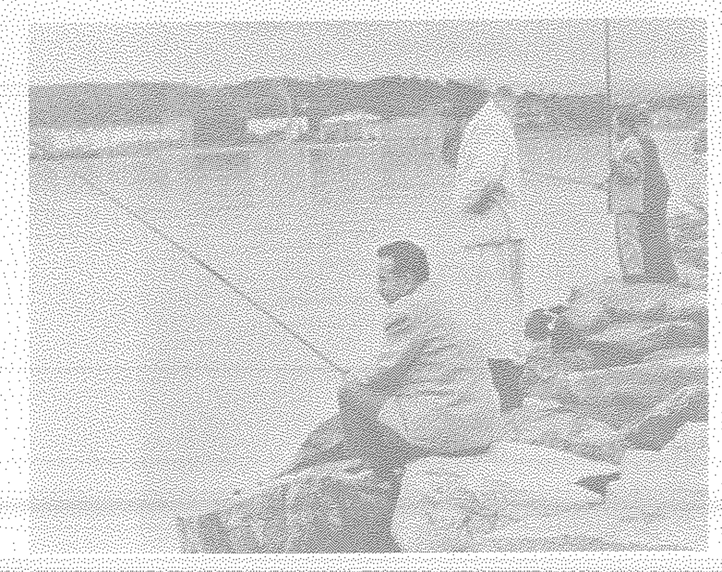
سورة للطلاب الذين حـصلوا على الشـهـادة من مكتب
ـع اساتذتهم ويبـدو خـالد بكداش الـسـادس على يمين
الاول من فوق.



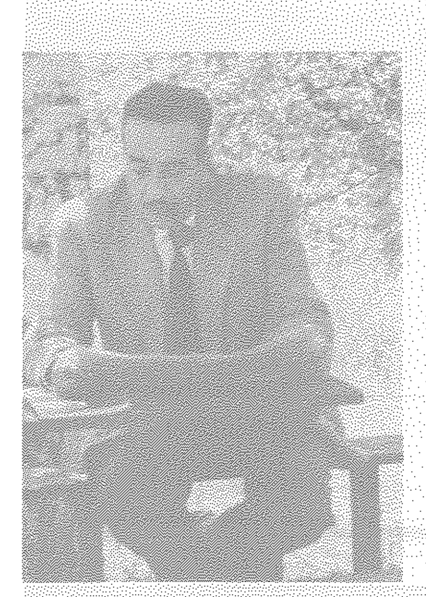




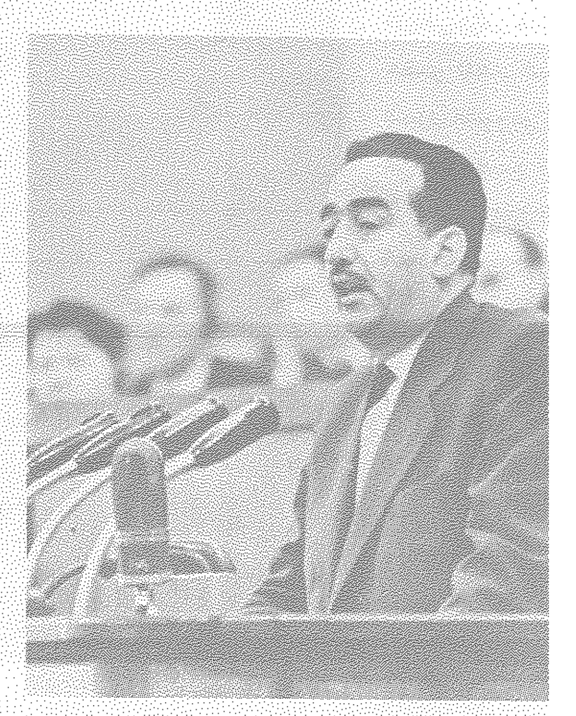
في الصين ١٩٥٦



يصطاد السمك في الصين



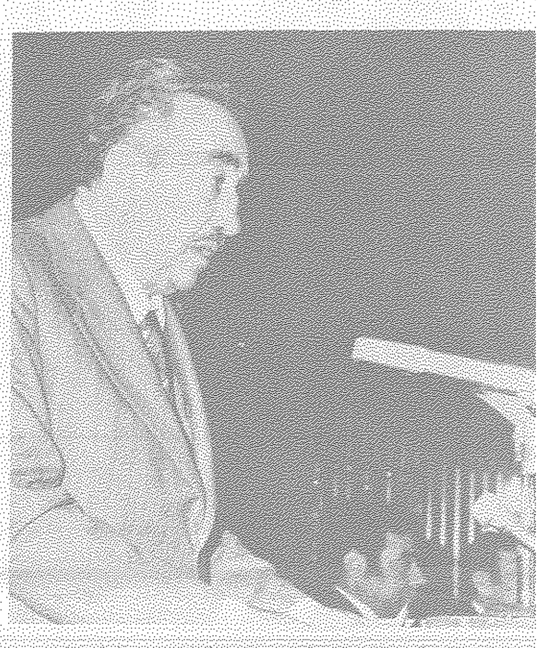
في ضواحي موسكو ١٩٥٤



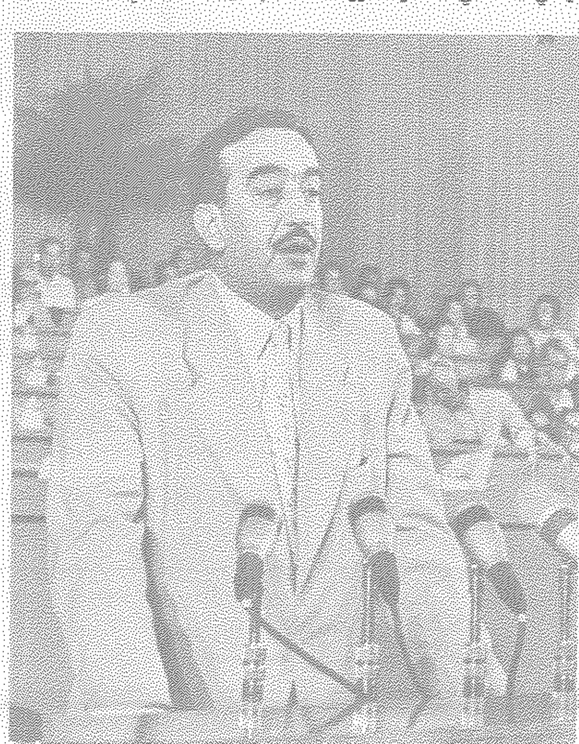
ؤتمر للحزب الشيوعي السوفياتي



يلقي كلمة في المنشية تأييداً لانتخاب رياض المالكي.

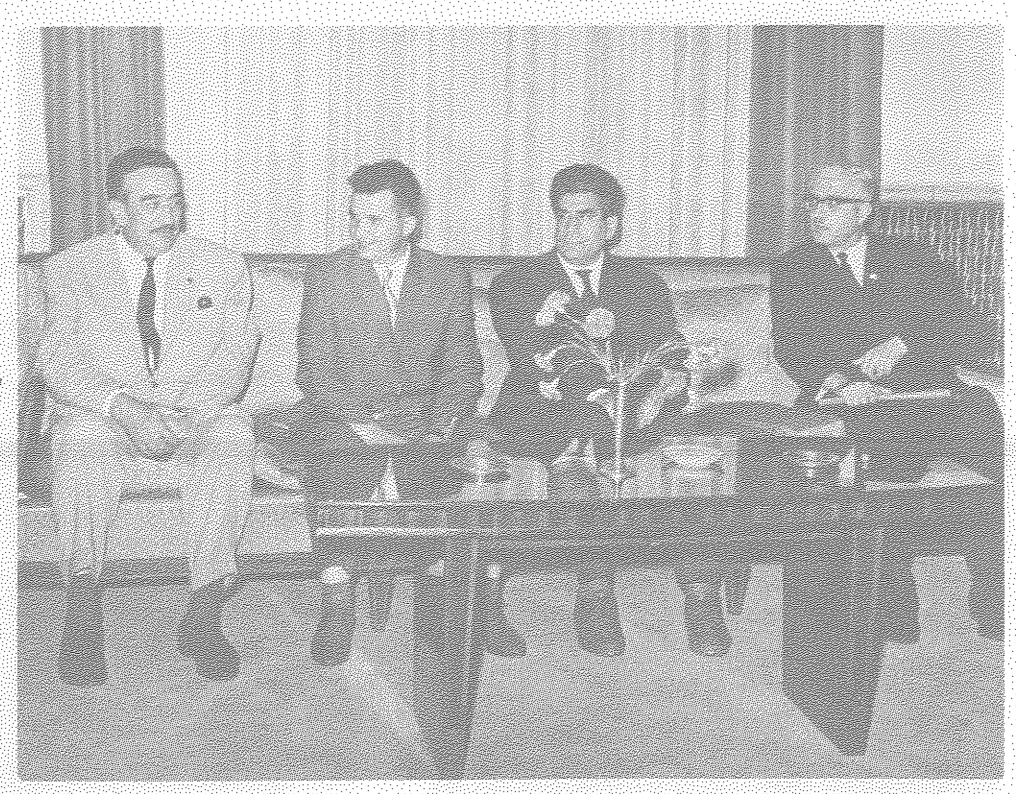


، كلمة في المؤتمر السابع لحزب البعث العربي الإشتراكي



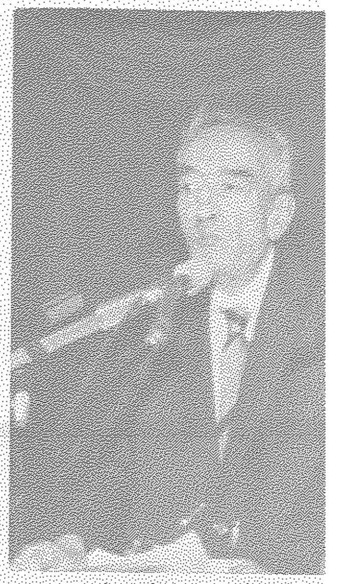
يلقي كلمة في الذكرى العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٩

مع فؤاد نصـ
العام للحزب الـ
الاردني وزكي خـ
عضو المكتب الـ
للحزب الشيوعي
في لقـــاء مع
الروماني الراحل
شاوشيسكو.



في الصين ١٩٥٦



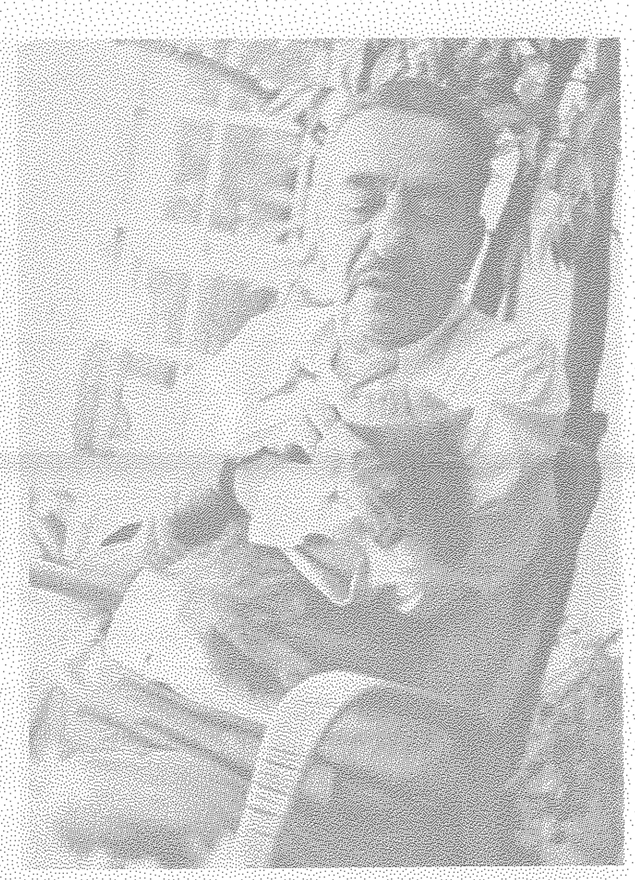


في ندوة الراسمالية والاشتراكية ١٩٩١ دمشق

فالات الذكرى ٧٤ لثورة اكتوبر
ق.

ال بعيد ميلاده السبعين





في داره بحي ركن الدين



يحمل ولده عمار.



يستقبل فيكتور انبيلوف

لنضال السري في بداية الستينات

غداة الحوار لهذا الكتاب

الفهرس



